



الدَّرْسُ الحَادِي وَالتَّسْعُونَ إِلَى الدَّرْسِ الثَّلَاثِ وَالتَّسْعِينَ
نَضَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَدِيرِ خُمٍّ بِالْوَلَايَةِ الْعَامَّةِ
المُطْلَقَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }^١.

١ الآية ٦٧، من السورة ٥: المائدة.

روى الحافظ أبو نعيم الإصفهاني بسنده عن عكرمة،
عن ابن عباس، قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ
آلِهِ] وَ سَلَّمَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَى حَيَاتِي، وَ يَمُوتَ مَمَاتِي، وَ
يَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ غَرَسَهَا رَبِّي، فَلْيُؤَالَ عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي وَ
لْيُؤَالَ وَلِيِّهِ، وَ لِيَقْتَدِ بِالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِي؛ فَإِنَّهُمْ عَثَرَتِي، خُلِقُوا
مِنْ طِينَتِي، رُزِقُوا فَهْمًا وَ عِلْمًا؛ وَ وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهِمْ
مِنْ أُمَّتِي، لِلْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي، لَا أَنَا هُمْ اللَّهُ شَفَاعَتِي".^١

إن قصة تنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه
السلام في مقام الولاية الإلهية الكبرى و العامة في غدیر
خَم من القصص المهمة للغاية في التأريخ الإسلامي. و

١ «الغدیر» ج ٤، ص ١٥٠، الطبعة الثالثة، مطبعة الحيدري بطهران. من أشعار
ابن حماد العبدي، محب أهل البيت عليهم السلام و شاعرهم في القرن الرابع،
عليه التحية و الرضوان.

لعلنا لا نشهد واقعة بهذه الأهميّة و المواصفات التي
ستطرّق إليها. ذلك لأنّ هذه الواقعة تمثّل في الحقيقة
خلود رسالة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم و
استمرار مرحلة ولايته الإلهيّة متجلّية في الوجود المبارك
لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

الغدِير يرمز إلى تأصر الرسالة و الإمامة، و النبوة و
الولاية. و يحكى لنا أنهما كالشدين المتلازمين لإرضاع و
إشباع الطفل، أو البرعمين المتلاصقين النابتين من جذر
واحد.

الغدِير معرض إلى: عَلِيٍّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ أمام أنظار جميع
الخلق و الامّة بأسرها. و إعلان و تبليغ الحقيقة لجميع أبناء
العالم حتّى يوم القيامة.

الغدِير محلّ ظهور الحقائق المخفّية، و البواطن
المخفّية، و إرشاد

الناس و هدايتهم إلى هذا الطريق.

الغدير هو الصراط المستقيم و السبيل الأعلى

للإنسانية إلى مقام العرفان و ولاية الحق الكلية.

الغدير مقام تجسيد القضاء الإلهي الكلي في عالم القدر.

و تشخيص النور اللامحدود للذات الأحديّة و تعيينه و

تحديده و تعريفه من خلال الأسماء و الصفات المرئية و

مشاهد الخلق، و ربط القديم بالحادث، و نزول التجرد و

البساطة في القيود و الحدود الإمكانية لتكون في متناول

جميع الخلق. و ذلك ليرتشف الناس جميعهم من الماء

المعين و المنهل العذب للفيض و الرحمة و السعادة و

البركة.

مواصفات يوم الغدير

الغدير يوم تتويج مولى الموحّدين، و وضع رسول

الله صلّى الله عليه و آله العمامة على رأسه بيده الشريفة.

الغدير يوم: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ".

الغدير يوم: "اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ

انصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَ اخذُلْ مَنْ خَذَلَهُ".

الغدير يوم البيعة مع الحقّ. و يوم الطاعة و التسليم،
و يوم معاملة النفس مع ربّها، و يوم المبارزة بين جنود
الشیطان و جنود الرحمن، و يوم مفارقة الظلام و الدخول
في عالم النور.

الغدير يوم المحكّ، و يوم تمايز الإيمان و الكفر، و
الخلوص و النفاق، و الصفاء و الحيلة، و النور و الظلام.
الغدير يوم تألّق الشمس المنيرة للعالم من وراء
الغمام المثقلة، و يوم إشعاعها في قلوب الكائنات.

الغدير يوم التعريف السويّ، و ذهاب الخوف من
الشیطان، و انصرام عصر التقيّة، و وحي الأمر الإلزاميّ
بضرورة كشف حجاب الحقيقة عن

وجه الولاية، وإبراز هُوَ الهُوِيَّة.

الغدِير يوم بَخِّ بَخِّ لَكَ يَا عَلِيَّ أَصْبَحْتَ وَ أَمْسَيْتَ

مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ.

الغدِير يوم العيد الأكبر: يوم رفع رسول الله عليّ بن

أبي طالب على رؤوس الأشهاد. وإلقاء الخطبة المشهورة،

و أمر الأمة بالتسليم لأوامر مولى المتقين و نواهيهِ.

و لله الحمد، و له المنّة أن وفّقنا لعرض واقعة الغدير

العظيمة على قدر جهدنا الضئيل هديّة منّا إلى ساحة رسول

الله و ساحة أخيه و صاحب ذي الفقاره. و هي هديّة

متواضعة كهديّة القبرة التي أتت بضلع الجراد يوم العرض

على سليمان و لا بدّ لنا من ذكر عدد من المقدمات قبل أن

ندخل في أصل قضية الغدير.

إبلاغ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام طيلة فترة النبوة

المقدمة الاولى: إنّ تعريف أمير المؤمنين عليه

السلام إماماً لم يقتصر على يوم الثامن عشر من ذي الحجّة

في السنة العاشرة من الهجرة ضمن حجّة الوداع في وادي

غدِير خمّ على بُعد ميلين عن أرض الجُحفة، بل كان ذلك

اليوم يوم التنصيب الكلّيّ، و التعريف لجميع الناس، و
الإعلان لعموم الامّة، و إلاّ فإنّ الرسول الأكرم صلّى الله
عليه و آله و سلّم كان يصرّح بمقامات أمير المؤمنين عليه
السلام و درجاته و إمامته و ولايته و وصايته و خلافته و
اخوّته و سائر مناقبه و فضائله، و ذلك في مجالس و محافل
عديدة، و في الخفاء و العلن، و في الصلح و الحرب، و في
مكّة و المدينة، و لكلّ رهط و جماعة كانت على اتّصال به
طيلة حياة أمير المؤمنين عليه

السلام.

ولد أمير المؤمنين عليّ عليه في الكعبة؛ و حينما اعطي رسول الله صلّى الله عليه وآله قماطه، تلا سورة {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}. و نشأ في حجر الرسول الكريم. و هو أوّل من صدّقه يوم كان في العاشرة من عمره. و هو القائل: نزل الوحي على رسول الله يوم الاثنين، و آمنت يوم الثلاثاء. و عند ما كانت الدعوة في سنينها الثلاث أو السبع و حيث كانت دعوة الرسول في دور الخفاء، فإنّ أحداً لم يصلّ معه في الكعبة غير أمير المؤمنين، و غير خديجة.

و في اليوم الأوّل الذي صدع النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله بدعوته في المجلس الذي أقامه لعشيرته الأقربين، إذ دعاهم لمؤازرته في حمل أعباء النبوة، و معاضدته على القيام بشؤون الرسالة، لم يجبه إلاّ ذلك الفتى اليافع، و العاشق المُستبسل، و النابه الواعي. و عندئذٍ اختاره للوزارة و الولاية و الخلافة.

و لقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

"فَأَيْكُمْ يُؤَاذِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَصِيِّي

وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ مِنْ بَعْدِي؟"

و لم يجبه إِلَّا عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قال: "فَأَنْتَ أَخِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي وَ خَلِيفَتِي

فِيكُمْ!"

و نلاحظ هنا أَنَّ تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام

في مقام الوزارة و الخلافة و الوصاية كان في إِبَّانِ البعثة، و

منذ ذلك اليوم الذي اعلنت فيه النبوة لقريش وفقاً لتعيين

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِيَّاهُ عملاً بآية الإنذار: ﴿وَ

أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، و حديث العشيّة.

و يدلّ هذا المعنى بكلّ وضوح أَنَّ مقام الرسالة، و

مقام الإمامة متلازمان متّصلان، و لا يقبلان الانفصال و

الانفكاك، و لا أساس للرسالة بدون الوزارة و الخلافة، و

لا أصل و لا جذور للنبوة بدون الولاية. فالولاية خفيرة

الرسالة، و الإمامة حافظة للنبوة، و أَنَّ الوجود المحدث

للوحي و الإنزال من قِبَلِ الرسول الكريم يصل إلى كماله

بواسطة الوجود الحافظ و الحفير و المخلد لأمر
المؤمنين، فقد قال عز من قائل: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينًا} ١.

و قد تكلمنا عن حديث العشيرة و آية الإنذار بشكل
واف في الدرس الخامس من الجزء الأول من كتابنا هذا
«معرفة الإمام».

هذا و قد دعا النبي الأكرم أمير المؤمنين صلوات الله
عليها و آلهما كراراً و مراراً ب: "أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَ سَيِّدُ
الْمُسْلِمِينَ، وَ الْإِمَامُ، وَ الْحُجَّةُ، وَ الْوَصِيُّ، وَ سَيِّدُ الْعَرَبِ،
وَ سَيِّدُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، وَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ، وَ سَيِّدُ
الْخَلَائِقِ، وَ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ، وَ أَمِيرُ الْبَرَّةِ، وَ إِمَامُ الْبَرَّةِ، وَ
خَيْرُ الْبَشَرِ، وَ خَيْرُ الْأُمَّةِ، وَ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ، وَ خَيْرُ الْخَلْقِ
بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ".

١ قسم من الآية ٣، من السورة ٥: المائدة.

و عند ما ترك رسول الله المدينة في غزوة تبوك، و

استخلف عليها عليّاً، فإنّه قال له: "أَنْتَ مِنْنِي بِمَنْزِلَةِ

هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي".

أي: أنّ كلّ ما كان لهارون من مواصفات فهي لك إلاّ

النبوة، فإنّه لا يأتي نبيّ بعدي، و لن تكون نبياً- أنت

كهارون! أي: أنت أخي؛ أنت وصيّي! أنت خليفتي من

بعدي! أنت وزيري و معيني و حافظ نبوّتي!

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: "إِنِّي تَارِكٌ

فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ

اللَّهِ وَ عِثْرَتِي، وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى
الْحَوْضِ".

و قال: "مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا
نَجَى، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ".

و المراد من أهل الذكر في الآية: {فَسَأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.^١ هم أهل البيت صلوات
الله و سلامه عليهم.

و المراد من حبل الله في آية: {وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا}.^٢

فهم الصراط المستقيم، و العروة الوثقى إذ لا يقبلُ
اللهُ الأَعْمَالَ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا بِوِلَايَتِهِمْ عَلِيًّا.

و المقصود من النعيم في الآية الشريفة: {ثُمَّ
لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}. هو نعيم الولاية.

١ مقطع من الآية ٤٣، من السورة ١٦: النحل.

٢ صدر الآية ١٠٣، من السورة ٣: آل عمران.

والمقصود من المؤاخذة و السؤال في آية: {وَقِفُّهُمْ

إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}.^١ هي المؤاخذة و السؤال عن الولاية.

و قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَجُوزُ أَحَدٌ

عَنِ الصَّرَاطِ إِلَّا وَ كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الْجَوَازَ".

و قال النبيّ: عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ.

و قال: عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَ الْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ.

و قال: عَلِيٌّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ.

١ الآية ٨، من السورة ١٠٢: التكاثر.

و قال: **عَلِيٌّ مَنِّي كَنَفْسِي وَ كَرَأْسِي مِّنْ بَدَنِي.**

و قال: **عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ: اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ**

مَعَهُ حَيْثُ دَارَ.

و قال: **عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ، مَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ.**

و المراد من اولي الأمر في قوله: تعالى: { **أَطِيعُوا اللَّهَ**

وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }، ^١ هم أمير

المؤمنين و الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين.

و نزلت آية التطهير: { **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ**

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً } في رسول الله، و

أمير المؤمنين، و الزهراء، و الحسن، و الحسين عليهم

السلام، و في الأئمة الاثنى عشر المعصومين عموماً.

و قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"أَهْلُ بَيْتِي**

أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ".

و جاء في آية المباهلة: { **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ**

مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ

وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

١ صدر الآية ٥٩، من السورة ٤: النساء

فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} ^١. و المقصود من
«أَنْفُسَنَا» هنا هي نفس أمير المؤمنين التي جعلتها الآية
نفس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و في قوله تعالى: {بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ
فِيهَا اسْمُهُ} ^٢،

حيث إنَّ تجليات النور الإلهي المشعَّة و المنتشرة في
شبكات عالم الإمكان هي في البيوت التي {أَذِنَ اللَّهُ أَنْ
تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}. و المراد من البيوت هنا هي
قلوب الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم و أرواحهم
المقدَّسة.

و المقصود من {ذَوِي الْقُرْبَى} في قوله تعالى: {قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} ^٣، هم قربي
الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من نسل

١ قسم من الآية ٣٣، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٢ الآية ٦١، من السورة ٣: آل عمران.

٣ قسم من الآية ٢٣، من السورة ٤٢: الشوري.

الصديقة الكبرى عليها السلام و أمير المؤمنين عليه السلام.

و المقصود من { خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }^١، هم أمير المؤمنين و شيعته.

و لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "إِنَّ عَلِيًّا وَ شِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ".

و المراد من النبأ العظيم في قوله تعالى: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ }^٢. هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

و المقصود من قوله: { مِنَ النَّاسِ } في الآية: { وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ }^٣. هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

١ الآية ٦، من السورة ٩٨: البيّنة.

٢ الآيتان ١ و ٢، من السورة ٧٨، النبأ.

٣ الآية ٢٠٧، من السورة ٢: البقرة.

و الذي كان شريكاً لرسول الله في سرّه، و عمل بآية
النجوي من خلال تقديمه الصدقة و الهدية إلى رسول الله
هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام طبق الآية: **{ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ**

يَدِي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ} ١.

و في الآية الشريفة: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ

بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} ٢.

اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام في مصافّ الذات

الإلهية المقدّسة تعالى شأنها، في الشهادة و الدلالة على

صدق الرسالة و أحقيّة الرسول.

و جعل عليه السلام وليّاً و مَوْلىً و ظهيراً و نصيراً و

شريكاً لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في سرّه، و

ذلك في قوله تعالى: {وَ إِنَّ تَظَاهَرَا (أي عائشة و حفصة)

{عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}

(أي أمير الموحّدين عليه السلام) {وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ

ظَهِيرٌ} ٣.

و في إعلان البراءة من المشركين عند ما دفع رسول

الله صلّى الله عليه و آله الصحيفة التي تضمّ البراءة إلى أبي

١ الآية ١٢، من السورة ٥٨: المجادلة.

٢ الآية ٤٣، من السورة ١٣: الرعد.

٣ قسم من الآية ٤، من السورة ٦٦: التحريم.

بكر ليقراها على الناس في موسم الحج في السنة التاسعة للهجرة في منى فنزل عليه الوحي يأمره بأن يقرأها هو أو رجل منه، فانتدب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام وأرسله خلف أبي بكر ليأخذ منه الصحيفة و يذهب بنفسه إلى مكة فيقرأها على المشركين في موسم الحج.

أخذ أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحيفة من أبي بكر، وتوجه إلى مكة، وقرأها على المشركين في موسم الحج بعقبة " منى! { وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ } ١ - (الآيات). وانتقلت هذه

المهمة إلى أمير المؤمنين الذي كانت نفسه وروحه من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

و المراد من الأذن الواعية في قوله تعالى: {وَتَعِيهَا
أُذُنٌ وَاَعِيَّةٌ}،^١ هو الوجود المقدّس لأمير المؤمنين عليه
السلام.

و المقصود من آل ياسين في قوله جلّ شأنه في الآية:
{سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ}، هم الأئمة المعصومون سلام الله
عليهم أجمعين.

و المراد من الذي شُرح صدره بنور الله في قوله تبارك
اسمه: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ
مِنْ رَبِّهِ}،^٢ هو أمير المؤمنين عليه السلام.

و المراد من الصراط في قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}،^٣ هو صراط الله المستقيم، صراط
عليّ بن أبي طالب.

١ قسم من الآية ١٢، من السورة ٦٩: الحاقة.

٢ الآية ١٣٠، من السورة ٣٧: الصافات.

٣ قسم من الآية ٢٢، من السورة ٣٩: الزمر.

و المقصود بـ {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} في الآية الشريفة: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}،^١ هو أمير المؤمنين عليه السلام.

و قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ:
"لَأُعْطِينَ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَ
رَسُولُهُ كَرَارٌ غَيْرُ فَرَارٍ، لَمْ يَرْجِعْ حَتَّى يَفْتَحِ اللَّهُ بِيَدَيْهِ".

١ قسم من الآية ٥٣، من السورة ٦: الأنعام.

و لَمَّا حَانَ الْغَدُ، طَلَبَ عَلِيًّا، وَ كَانَ أَرْمَدَ الْعَيْنِ، فَتَفَلَّ
فِي عَيْنِهِ، وَ أَعْطَاهُ الرِّيَاةَ، فَذَهَبَ بِهَا حَيْدَرَ الْكِرَارِ وَ لَمْ يَرْجِعْ
حَتَّى اقْتَلَعَ بَابَ خَيْبَرَ فَاتْحًا ظَافِرًا.

وَ كَانَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ فِشْلِ أَبِي بَكْرٍ وَ عَمْرِ وَ
رَجُوعِهَا خَائِبِينَ خَاسِرِينَ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعَا الْقِيَامَ بِالْمَهْمَةِ
الَّتِي كَلَّفَهَا بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي الْيَوْمِ مِنَ الَّذِينَ
سَبَقُوا هَذِهِ الْوَاقِعَةَ.

مِنْ هَذَا الْمَنْطَلِقِ، آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ
وَ سَلَّمَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّتَيْنِ. الْأُولَى: فِي مَكَّةَ
عِنْدَ مَا آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْفُسَهُمْ. وَ الثَّانِيَةَ: بَعْدَ دُخُولِهِ
الْمَدِينَةَ، عِنْدَ مَا آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ. فَجَعَلَ
عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَاهُ فِي كِلَا الْمَرَّتَيْنِ.

وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: **عَلِيٌّ أَقْضَاكُمْ.**
وَ فَتَحَ النَّبِيُّ لِعَلِيٍّ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ؛ وَ قَالَ: **أَنَا مَدِينَةٌ**

الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا.

وَ قَالَ: **أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا.**

وَ قَالَ: **أَنَا مَدِينَةُ الْجَنَّةِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا.**

و لهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَا وَ عَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ

الْأُمَّة.

و قال: حَقُّ عَلِيٍّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ.

و قال: عَلِيٌّ وَ زِيرِي وَ وَارِثِي.

و قال: يَا عَلِيٌّ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَ لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا

مُنَافِقٌ.

و قال: عِنْوَانُ صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ: حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي

طَالِبٍ^١.

و قال: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ عَلِيٍّ عِبَادَةٌ.

١ «تاريخ بغداد» للحافظ الخطيب، ج ٤، ص ٤١٠. طبعة مطبعة السعادة-

و قال: **مَثَلُ عَلِيٍّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ {قُلْ هُوَ اللَّهُ**

أَحَدٌ}. من قرأها مرّة، فكأنما قرأ ثلث القرآن؛ و من قرأها

مرّتين، فكأنما قرأ ثلثي القرآن؛ و من قرأها ثلاث مرّات،

فكأنما ختم القرآن كله. و من أحبّ عليّاً بقلبه، فقد حاز

ثلث الإيمان؛ و من تبعه بقلبه و لسانه، فقد حاز ثلثي

الإيمان؛ و من أحبّه بقلبه و لسانه و جوارحه، و اتّبعه، فإنّ

إيمانه أكمل الإيمان.

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: **عَلِيٌّ مِنِّي**

كَنَفْسِي؛ طَاعَتُهُ طَاعَتِي وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي.

و قال: **يَا عَلِيُّ! أَنْتَ تُبْرِئُ ذِمَّتِي، وَ أَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَى**

أُمَّتِي.

و قال: **يَا عَلِيُّ أَنْتَ تَقْضِي دِينِي.**

و قال: **إِنَّ وَصِيِّي وَ وَاثِرِي وَ مُنْجِزَ وَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي**

طَالِبٍ.

وقال: يَا عَلِيَّ! أَنْتَ تُؤَدِّي عَنِّي، وَتُسْمِعُهُمْ صَوْتِي، وَ

تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِي.^١

يضاف إلى ذلك كله أن آية الولاية قد نزلت عند
التصدّق بالخاتم أثناء الركوع، و ذلك في مسجد النبي
صلى الله عليه وآله وسلم. و قد جعلت الآية علياً عليه
السلام في مصافّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله و
سلم ولياً للمسلمين بالولاية الإلهية على سبيل الحصر بكل
صراحة. فقد قال عزّ من قائل: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ
رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ}.^٢

و هذه الآية في سورة المائدة؛ و كما نعلم فإنّ هذه
السورة هي آخر سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم. حيث اوحيت إليه في المدينة بعد حجة

١ «حلية الأولياء» للحافظ أبي نعيم الإصفهاني، ج ١، ص ٦٣ و ٦٤، طبعة

مطبعة السعادة- مصر.

٢ الآية ٥٥، من السورة ٥: المائدة.

الوداع طيلة سبعين يوماً اعتباراً من يوم غدیر خمّ حتّى
اليوم الذي توفّي فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.
وفي أيّام مرضه، أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم
بغلق جميع أبواب الصحابة الملاصقة للمسجد
النبويّ الشريف، وذلك لكي لا يكون هناك طريق من
دورهم إلى المسجد. ولم يترك باباً مفتوحاً إلاّ باب أمير
المؤمنين عليه السلام الذي لم يُغلق بأمره صلّى الله عليه وآله
وسلّم.

و من الأبواب التي تمّ إغلاقها: باب العباس عمّ
النبيّ، و باب عمر، و باب أبي بكر، فجاء العباس إلى
رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و استأذنه أن يترك
بابه مفتوحاً. فقال له رسول الله: ليس الأمر بيدي، بل الله
لم يأذن بذلك. و قال عمر: يا رسول الله، إئذن لي بكوّة من
أعلى بيتي لأري قدومك إلى المسجد! فقال صلّى الله عليه
وآله وسلّم: أوحى لي ربّي أن أغلق جميع الأبواب إلاّ باب

عليّ بن أبي طالب. لذلك أمر بغلق جميع الأبواب بما فيها
خَوْفَةَ^١ دار أبي بكر.

فهذه الامور وقائع حصلت لأمير المؤمنين عليه
السلام في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. وهذه و
أمثالها ممّا لا يحيطها الإحصاء تدلّ على القرب الشديد
لأمير المؤمنين من رسول الله، و على روحانيّته الأكيدة و
اقتران ولايته بولاية رسول الله. و لو لم يسبق أحد أيّ
سابقة ذهنيّة أو معرفة بمفهوم وصاية الإمام عليه السلام
و خلافته، كالشخص الغريب على

١ الخَوْفَةَ أو الكَوَّة، نافذة صغيرة تترك مفتوحة في الغرفة ليؤدى الضوء إلى
البيت.

الإسلام مثل: اليهوديَّ أو النصرانيَّ، ثم يرى هذه الأشياء، فلا ريب أنه سيقول: لا جرم إنَّ هذا المقام هو مقام الخلافة و الولاية و الإمامة بعد رسول الله. و قد أتينا عليها كلّها بالتفصيل في المباحث المتقدّمة أو التي ستأتي في كتاب «معرفة الإمام» بأسانيد معتبرة عن كتب الشيعة، و عن كتب العامّة كحفظهم. و كلّ من رغب أن يرجع إلى أسانيدها عاجلاً، غير التي جاءت لحد الآن في كتاب «معرفة الإمام»، فليراجع كتاب «غاية المرام» للسيد هاشم البحرانيّ، و «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكانيّ، و «فرائد السمطين» للحمّويّ، و الأجزاء الثلاثة من تأريخ أمير المؤمنين عليه السلام من «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

و يستفاد من هذه المقدّمة أنّ التمهيّد لخلافة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان مشهوداً و ملموساً تماماً منذ بدء البعثة النبويّة الشريفة، و على امتداد ثلاث و عشرين سنة من نبوّة الرسول العظيم صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و كان بيننا واضحا لكل جماعة و فريق. بيد أن الرسول
الكريم لما أوشك أن يُدعى فيجيب بناءً على ما أخبره به
جبريل من ارتحاله لذلك جاء الإعلان العام، و التنصيب
العلني، و إبلاغ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و إمامته
لجميع طوائف المسلمين بوجه عام في غدیر خم، إذ مهّد
رسول الله الأرضية في حجة الوداع. و كان يتحدّث في
خطبة عن كتاب الله و عترته، حتّى حان موعد الغدير و
هبط جبريل بهذه الآية: {بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}.

حديث الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون

و نختم هذه المقدمة الشريفة بحديث شريف روى
عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه الصلاة و السلام في
مجلس المأمون، نقله عن كتاب «غاية المرام»:

روى السيّد البحرانيّ عن ابن بابويه، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين بن شاذويّه المؤدّب، و جعفر بن محمّد بن مسرور، قالوا: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أبيه، عن الريّان بن الصّلت، قال:

حضر [الإمام] الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو. و قد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان.

فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} ١.

فقلت العلماء: أراد الله تعالى بذلك الامّة كلّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن!؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا: و لكنني أقول: أراد الله بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: و كيف عني العترة من دون الامّة؟

فقال الرضا: عليه السلام: لو أراد الامّة، لكانت

بأجمعها في الجنة لقول الله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ

١ الأيتان ٣٢ و ٣٣، من السورة ٣٥: فاطر.

مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} ١.

ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة، فقال: {جَنَّاتٌ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ
لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} ٢.

[و لَمَّا لم تكن الامّة كلّها في الجنّة، فلا محالة أنّ المراد
من المصطفين الذين يشملون الأصناف الثلاثة هم
العترة)]. فَصَارَتِ الْوَرَاثَةُ لِلْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ لَا لِغَيْرِهِمْ.

فقال المأمون: مَنْ العترة الطاهرة!؟

١ نفس المصدر السابق.

٢ نفس المصدر السابق.

فقال الإمام: الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: فَقَالَ:

{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ

يُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً }؛ وَ هُمُ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَ

عِترتي أهل بيتي؛ أَلَا وَ إِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ

الْحَوْضَ؛ فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا! أَيُّهَا النَّاسُ! لَا

تَعَلَّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ!»!

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أنهم الآل

أم غير الآل؟ فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

و يبدأ هنا نقاش الإمام عليه السلام فيعرض مواضيع

نفيسة و قيّمة جداً تشغل ثلاث صفحات تقريباً من كتاب

«غاية المرام» و هي صفحات مليئة و من القطع الرحلي و

مشحونة بالكلمات. و قد تجنبنا ذكر ذيلها مراعاة

للاختصار.^١

١ «غاية المرام»، تحت الحديث رقم ٩، من ص ٢١٩ إلى ٢٢٢.

المقدمة الثانية: إن صحابة رسول الله صلى الله عليه

وآله و سلم و كافة الذين أسلموا في عصر النبي الأكرم
عموماً لم يكونوا متساوين من كل الجهات، بل كانوا على
درجات و مستويات مختلفة من حيث وعي النبوة، و
استيعاب معنى الوحي، و إدراك الدرجات و المقامات
التي كان يتمتع بها رسول الله، و فهم عالم الغيب، و اليقين
بخلوص رسول الله و إخلاصه في جميع الأعمال و
السلوكيات الشخصية و الاجتماعية، و العبادية و غير
العبادية، و النظر إلى ذلك الإنسان العظيم من حيث
الطهارة المعنوية، و الاتصال بالملا الأعلى و جبريل، و
بالتالي و إجمالاً في النظر إليه من حيث التجرد عن النفس
و الاتصال بالله جل اسمه في كل أمر من الامور.

فبعضهم كسلمان، و عمّار، و المقداد، و أبي ذرّ، و

عثمان بن

مَظْعُونًا، وَخَبَابَ بْنِ الْأَرْثِ، وَكَثِيرٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ،
وَاحِدٍ، وَالْأَحْزَابِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ، كَانُوا يُؤْمِنُونَ
بِهِ إِيمَانًا صَلْبًا جَعَلَهُمْ بِلَا إِرَادَةٍ وَاخْتِيَارٍ أَمَامَ إِرَادَتِهِ وَ
اخْتِيَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَكَانُوا مِنَ الْفَانِينَ فِيهِ
فَنَاءً مُحْضًا إِذْ كَانُوا يَرُونَهُ مُتَّصِلًا بِالْغَيْبِ مُتَجَرِّدًا عَنْ هَوَى
النَّفْسِ، مُنْقَطِعًا إِلَى اللَّهِ.

وَهُؤُلَاءِ لَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
آيَاتَ الْقُرْآنِ، أَوْ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ بِأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
الشَّخْصِيَّةِ. وَلا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ فَعَلُهُ عِبَادِيًّا، أَوْ
سِيَاسِيًّا، أَوْ شَخْصِيًّا، أَوْ اجْتِمَاعِيًّا. أَوْ أَنْ يَكُونَ نِكَاحًا، أَوْ
صَوْمًا، أَوْ حَجًّا. وَلا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ أَنْ تَتَعَدَّدَ زَوْجَاتُهُ،
أَوْ أَنْ يَتَزَوَّجَ زَوْجَهُ ابْنَةَ الْتَبَنِيِّ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. وَلا فَرْقَ
عِنْدَهُمْ بَيْنَ الْهَجْرَةِ وَالْإِقَامَةِ، وَالْحَرْبِ وَالسَّلْمِ. فَكُلُّ مَا
كَانَ وَبِأَيِّ شَكْلِ كَانَ هُوَ فَعَلَ اللَّهِ، وَ مِنْ اللَّهِ، طَهَارَةٌ
مُحْضَةٌ، وَ حَقِيقَةٌ خَالِصَةٌ لَا تَشُوْبُهَا شَائِبَةٌ مِنْ عَشِّ عَالَمِ
الْإِعْتِبَارِ وَالْمَجَازِ وَغَلَّةِ.

الحالات التي أبدى فيها عمر اعتراضه الصريح على رسول الله صلى الله عليه وآله

و كان البعض يفرّق بين الآيات القرآنيّة و الوحي المنزل، و بين آرائه و أفكاره صلى الله عليه وآله و سلّم. فكانوا يقولون: نحن نعتبر الآيات النازلة في القرآن الكريم واجبة الاتّباع؛ أمّا آراء النبيّ فليست كذلك، و بالنتيجة، فإنّنا لا نلزم أنفسنا باتّباعه في آرائه و أفكاره الشخصية، و لا نجعل إرادتنا تابعة لإرادته و فانية فيها. فرسول الله له رأيه. و نحن لنا رأينا أيضاً. و نقدّم رأيه حيناً، و نقدّم آراءنا حيناً آخر.

و صفوة القول، إنّ كلامهم ككلام كثير من العامّة إذ يقولون: كان رسول الله مجتهداً في شئونه الشخصية و آرائه، أو في تجهيز الجيوش، و بعث الجند في غزوة أو سرية، أو في تنسيق و تنظيم الشؤون الإداريّة و المدنيّة و تنظيمها، فهو معرّض للخطأ أحياناً. و الآخرون مجتهدون أيضاً

يصيبون و يخطئون.

لهذا يلاحظ أنهم كانوا يقولون له في كثير من الحالات: هل هذا كلام الله أو كلامك؟! و هل هذا الأمر منك أو من الله؟! و هل أنت قلت هذا أم الله أمرك به؟! و الملاحظ أكثر في التواريخ المعتمدة أن هذا السلوك كان ييدر في الأغلب من أبي بكر، و عمر. و فيما يلي عدد من النماذج:

شك عمر في نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديبية

الأول: في السنة السادسة من الهجرة، و في شهر ذي القعدة تحرّك رسول الله مع جماعة من أصحابه نحو مكة قاصدين الطواف حول بيت الله الحرام. و ساقوا معهم البدن للهدى. فلما بلغ أرض الحديبية، منعه كفار قريش من الذهاب. و عُقد بينه و بينهم صلح. و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بحلق الرؤوس، و نحر البدن، و الحلّ من الإحرام في الحديبية نفسها.

فعرّ ذلك على بعض الصحابة، فلم يبدووا استعداداً للحلق و النحر، و اغتمّ رسول الله و شكى ذلك إلى امّ

سلمة. فقالت أم سلمة: يا رسول الله! احلق و انحر؛
فحلق رسول الله و نحر. و حلق المعترضون و نحروا
شاكين في نبوته.

فلما التأم الأمر و لم يبق إلا الكتاب و ثب عمر بن
الخطاب، فأتى أبا بكر و حدّثه بهذا الموضوع و شكى إليه
عدم الدخول إلى مكة لأداء العمرة، و النحر و الحلق في
الفلاة، و شروط الصلح التي كانت ثقيلة و صعبة على
المسلمين. و قال له: أ لم يكن رسول الله، يفعل كذا و
كذا؟!!

و بعد تبادل الكلام بينه و بين أبي بكر أتى رسول الله
صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: يا رسول الله! أ لست
برسول الله؟

قال: بلى! قال: أ و لسنا على الحقّ، و عدونا على
الباطل؟! قال: بلى!

قال: فعَلام نعطي الدنيّة في ديننا؟ قال: أنا عبد الله و

رسوله، لن اخالف أمره، و لن يضيّعني و هو ناصري.

قلتُ: أو لست كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت و تطوف

حقاً؟!

قال: بلى! فأخبرتك أن تأتيه العام؟! قلتُ: لا!

قال: فإنك تأتيه و تطوف به.

يقول عمر: ما شككت مذ أسلمتُ إلّا يومئذٍ [في

الحديبية].^١

الثاني: في السنة العاشرة من الهجرة، و في حجة

الوداع، وقف رسول الله على جبل المروة، و نزل عليه

جبرئيل بالوحي، فأمر الذين لم يسوقوا معهم الهدى

(كالبدن مثلاً) أن يستبدلوا نية الحج بنية العمرة، و يخلّوا

من إحرامهم. و كان عمر من الذين اعترضوا اعتراضاً

شديداً على هذا الأمر، و قال: أَيُرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى عَرَفَةَ وَ

١ ملخص ما جاء في «سيرة ابن هشام» ج ٣، ص ٧٨١ إلى ٧٨٤؛ و في تفسير

«مجمع البيان» ج ٥، ص ١١٦ إلى ١١٩، طبعة صيدا؛ و في «بحار الأنوار» طبعة

الكمباني ج ٦، ص ٥٦٢؛ نقلاً عن «تفسير علي بن إبراهيم».

فَرَجُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا؟^١ فقال رسول الله: لن يؤمن بها حتى يموت.

ولما بلغ رسول الله كلام عمر و أصحابه، بدت عليه علامات الغضب، حتى جاء و خطب في الناس فقال: "أَمَّا بَعْدُ؛ فَتَعَلَّمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ! لَأَنَا وَ اللَّهُ أَعْلَمُكُمْ وَ أَتَقَاكُمْ لَهُ! وَ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سَقْتُ هَدِيًّا وَ لَأُحْلَلْتُ"^٢.

و عند ما سألوه عن سبب غضبه، قال: ما لي لا أغضب و أنا أمر أمراً فلا يُتَّبَع؟ أو ما شعرت أني أمرت الناس بأمرٍ فإذا هم يترددون؟!^٣

لم يَرُقْ لعمر أمر الله و رسوله، حتى إذا تسلّم زمام الامور، رفع هذا الحكم بصراحة، و قال: ليس لأحد أن يتمتع في الحجّ، و مَنْ فعل، أجريت عليه الحدّ. يقول عمر:

١ «إعلام الوري» ص ١٣٨؛ و «علل الشرائع» ص ٤١٣، طبعة دار إحياء التراث العربي؛ و «فروع الكافي» ج ٤، ص ٢٤٩ و ٢٤٦ طبعة الآخوندي.
٢ «الوفاء بأحوال المصطفى» ج ٢، ص ٢١٠؛ و كتاب «حياة محمد» لمؤلفة هيكل، ص ٤٦١.

٣ «حياة محمد» لهيكل، ص ٤٦٠ و ٤٦١، طبعة مطبعة مصر.

أنا أقرُّ أن التمتع سنة رسول الله، و لكنني أرى أن لا يعمل به.

يقول أبو موسى [الأشعري]، إنَّ عُمَرَ قَالَ: هِيَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ - يَعْنِي الْمُتَعَةَ - وَ لَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يُعْرَسُوا بَيْنَ تَحْتِ الْأَرَاكِ، ثُمَّ يَرُوحُوا بَيْنَ حُجَّاجًا.^١

و لقد استعرضنا هذا الموضوع بحول الله و قوته استعراضاً وافياً و الحمد لله، و ذلك في بداية الجزء السادس من كتابنا هذا «معرفة الإمام».

منع عمر من جلب القلم و الورق لرسول الله صلى الله عليه وآله

الثالث: في «الطبقات الكبرى» لابن سعد روايات كثيرة حول طلب رسول الله الكتف و الدواة و هو في الاحتضار ليكتب شيئاً لأُمَّته لا يضلُّوا بعده أبداً، فقال عمر، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ، كَفَانَا كِتَابُ اللَّهِ. و كان يمانع باستمرار، حتّى كثر اللغط بين الحاضرين عنده، فمنهم من قال: آتوه، و أنصار عمر قالوا: لا حاجة إلى ذلك، إلى أن

١ «تفسير الميزان» ج ٢، ص ٩٠؛ عن «مسند» أحمد بن حنبل. طبعة الآخوندي.

امتعض رسول الله كثيراً، فقال: قوموا! لا ينبغي عند نبي

نزاع؛ فودّع الدنيا وهو في غاية الحزن و الألم.

و كان ابن عباس يكرّر هذا الكلام دائماً: الرَّزِيَّةُ كُلُّ

الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ

وَ بَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ

الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَ لَغَطِهِمْ.^١

يقول محمد حسين هيكل: وَ فِيمَا هُوَ فِي هَذِهِ الشَّدَّةِ وَ
فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ قَالَ: هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا
بَعْدَهُ أَبَدًا.

قَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ
إِلَيْهِ] وَ سَلَّمَ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ؛ وَ عِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ؛ وَ حَسْبُنَا
كِتَابُ اللَّهِ؛ وَ يَذْكُرُونَ أَنَّ عُمَرَ هُوَ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ.
وَ اخْتَلَفَ الْحُضُورُ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ؛ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا
لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَأْبَى ذَلِكَ مُكْتَفِيًا بِكِتَابِ اللَّهِ؛ فَلَمَّا
رَأَى مُحَمَّدٌ خُصُومَتَهُمْ قَالَ: قُومُوا!^٢

و يقول هيكل بعد هذا الكلام مباشرة: وَ مَا فَتِيَ ابْنُ
عَبَّاسٍ بَعْدَهَا يَرَى أَنَّهُمْ أَضَاعُوا شَيْئًا كَثِيرًا بِأَنَّهُمْ لَمْ يُسَارِعُوا
إِلَى كِتَابَةِ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ إِمْلَاءً.

١ «الطبقات الكبرى» لابن سعد، ج ٢، ص ٢٤٤. طبعة دار صادر، بيروت.

٢ «حياة محمد» لمحمد حسين هيكل، ص ٤٧٤ و ٤٧٥.

أَمَّا عُمَرُ فَظَلَّ وَرَأَيْهُ، أَنْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: {مَا

فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ١.

الرابع: ذكر ابن عساكر ستّ روايات جاء فيها أنّ

رسول الله و أمير المؤمنين صلوات الله عليهما كانا

يتناجيان فترة في يوم الطائف. و لما بدت الكراهية على

وجوه بعض الصحابة (أبي بكر و عمر) بسبب طول

المناجاة، و سئل النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيما بعد

عن نجواه مع أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما أنا

انتجيته، و لكنّ الله انتجاه.

و جاء في رواية: فرأى الكراهية في وجوه رجالٍ

فقالوا: قد أطال مناجاته منذ اليوم **فقال: «ما أنا انتجيته و**

لكنّ الله انتجاه».

١ نفس المصدر السابق.

و في رواية اخرى: فَلَحِقَ أَبُو بَكْرٍ (ظ) وَ عُمَرُ فَقَالَا:

طَالَتْ مُنَاجَاتُكَ عَلِيًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ! **قَالَ: «مَا أَنَا بِأَنَاجِيهِ**

(كذا) وَ لَكِنَّ اللَّهَ انْتَجَاهُ» ١

الخامس: يقول ابن أبي الحديد: قال ابن عباس:

خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته. فانفرد يوماً

يسير على بعيره، فاتبعته، فقال لي: يا ابن عباس! أشكو

إليك ابن عمك (علي بن أبي طالب) سألته أن يخرج معي،

فلم يفعل.

و لم أزل أراه واجداً، فيم تظنّ موجدته؟!

قلت: يا أمير المؤمنين! إنك لتعلم!

قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة.

قلت: هو ذاك. إنه يزعم أنّ رسول الله أراد الأمر له.

فقال: يا ابن عباس! لو أراد رسول الله الأمر له، فكان

ما ذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟! إنّ رسول الله أراد أمراً، و

١ «تاريخ دمشق» لابن عساكر، ج ٢، ص ٣٠٧ إلى ٣١١، طبعة دار التعارف،

أراد الله غيره، فنفذ مراد الله، و لم ينفذ مراد رسوله. أَوْ
كلّما أراد رسول الله كان؟!!

و قد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، و هو
قوله: إنّ رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه،
فصدّدته عنه خوفاً من الفتنة، و انتشار أمر الإسلام.
فعلم رسول الله ما في نفسي و أمسك، و أبي الله إلاّ
إمضاء ما حتم.^١

و يقول عبد الفتّاح عبد المقصود: قال عمر لابن
عبّاس: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة و الخلافة،
فنظرت لنفسها فاخترت، و وفّقت فأصابت.

١ «شرح نهج البلاغة» ج ١٢، ص ٧٨ و ٧٩.

فقال ابن عباس: أمّا قولك: إن قريشاً كرهت، فإنّ

الله قال لقوم [يستحقّون الهلاك لكرهتهم حكم الله]:

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} ١.

و أمّا قولك: إن قريشاً اختارت، فإنّ الله يقول: {وَ

رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} ٢.

فلم يجبه عمر غير أنه غضب عليه. ٣.

و نرى هنا أنّ عمر قد خلط بين الإرادة التكوينية و

الإرادة التشريعية لله، و أخطأ؛ و جواب ابن عباس

المفحم قد قطع عليه الطريق. و جواب عمر هذا كقول

عبيد الله بن زياد للسيّدة زينب سلام الله عليها في مجلس

دار الإمارة بالكوفة: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَكُمْ وَ أَكْذَبَ

أَحْدُوثَكُمْ.

فقال زينب سلام الله عليها: «كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ

فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» لا ينافي ارتكابك و ارتكاب يزيد

١ الآية ٩، من السورة ٤٧: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

٢ قسم من الآية ٦٨، من السورة ٢٨: الْقَصَصِ.

٣ «الإمام عليّ بن أبي طالب» لعبد الفتّاح عبد المقصود، ج ١، ص ٢٢٠، طبعة

منشورات مكتبة الوفاق، بيروت.

للقتل من وحي الجريمة. وإرادة الله لا تمنع قبح فعلكما؛
ولا تسلب منكما الاختيار. ويزيد أيضاً في الشام ينسب
قتل أهل البيت إلى الله، ويرى أنّ حكومته من الله.
و كثيراً ما نجد في تأريخ بني العباس سلاطينهم قد
مُنوا بهذا الخطب؛ فعزوا أعمالهم القبيحة إلى الله، واعتبروا
سلطتهم و حكومتهم من الله لما رأوا من وجودها
بأيديهم. و أمّا عدم خلافة أئمة أهل البيت عليهم السلام
فإنّهم اعتبروا ذلك ناتجاً عن عدم التقدير الإلهي، و نابعاً
من عدم أحقيّتهم.

و كم أنشد الشعراء المتملّقون من قصائد في وصف
العبّاسيّين و حكومتهم الإلهيّة العادلة على حدّ زعمهم، و
ذلك على امتداد خمسة قرون من الحكم العبّاسيّ! و كم
نظموا القصائد الكثيرة في مجالس الحكّام و الامراء و أبناء
الامراء للخطّ من شأن أهل البيت، و التصريح بعدم
أحقّيتهم استناداً إلى عدم التقدير الإلهيّ بالنسبة
لحكومتهم، فسوّدوا بذلك وجه التاريخ.

يقول أبو شَمَط: مَرَوَانُ بْنُ أَبِي الْجُنُوب: أنشدت
المتوكّل شعراً ذكرت فيه الرافضة (أئمة الشيعة)، فعقد لي
على البحرين، و اليمامة، و خلع عليّ أربع خلع. و خلع عليّ
ابنه المنتصر. و أمر لي المتوكّل بثلاثة آلاف دينار من
الذهب، فَنَثَرْتُ عَلَيَّ. و أمر ابنه المُنتَصِرَ وَ سَعْدًا الْإِيْتَالِي
أن يلقطها لي، ففعلا.

و الشعر الذي قلته:

يقول أبو الشَّمُط: ثم نثر عَلِيٌّ بعد ذلك لِشِعْرِ قَلْتِه فِي

هذا المعنى عشرة آلاف درهم.^١

لقد فتح عمر بهذا المنطق الخاطيء طريق المغالطة

لجميع حكام الجور الذين جاءوا بعده؛ فلو كان الحصول

على المنصب و الإمارة و الولاية في الإرادة الإلهية

التكوينية دليلاً على الأحقية و الواقعية في الإرادة

التشريعية، لما كان - من ثم - للظلم، و القبح، و الاعتداء،

و الخيانة، و الجريمة، و أمثالها أي مفهوم. و كان التسلُّط و

نيل القدرة بأيّ! شكل و أيّ عنوان، دليلاً على الإرادة

الإلهية و شاهداً على أحقيته.

بيد أن عمر كان يفهم جيداً أنه يخلط و يغالط، و لو

كانت الطوارئ الخارجية و الوقائع و الأحداث التي

١ «الكامل في التاريخ» ج ٧، ص ١٠١.

تجري على أساس الاعتداء و الظلم و الخلاف لأمر الله و
رسوله دليلاً على أحقيّة الأمر الواقعيّ الخارجيّ و حقيقته،
فلما ذا اعترض عمر على رسول الله في قضية الحديبية، و
شكّ في نبوّته؟ فكان له أن يقول: أراد رسول الله أمراً، و
أراد الله غيره. و التسليم في هذه الحالة لأمر الله. و أراد
رسول الله العمرة و الطواف حول

بيت الله، و أراد الله صدّ الكفّار، و الحلق، و نحر
البُدن في وسط الصحراء، و الرجوع إلى المدينة بلا عمرة.
و لا دخل لنا بهذا المنطق العُمريّ؛ فعمر كان يعرف
منهجه الفكري. إلّا أنّ ما نريد معرفته هنا أنّ هذا المنطق
مخالف لمنطق الإسلام، و معاكس لمنطق القرآن، و مغاير
لدأب رسول الله و ديدنه، و مناهض لآراء أرباب الأديان
الساويّة.

و في ضوء الآراء العمريّة، فإنّ سَوْقَ أمير المؤمنين
عليه السلام إلى المسجد حاسر الرأس ليباع، و كسر
ضلع الصديّقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، و
إجهاض جنينها البريء: المحسن، و غضب فدك و هي
نحلة الزهراء الصديّقة، كلّ ذلك إرادة الله. و لو لم يرد
الله، لما وقع. و بوجه عامّ، فلا معنى لغضب الولاية في
رأيه، ذلك لأنّ عنوان الغضب في هذه الحالة ليس له تحقّق
خارجيّ أبداً. فكلّ من تسنّم منصباً بأيّ شكل و عنوان،
فإنّه على الحقّ، و أنّ ذلك قد جرى بإرادة الله!

و هكذا فإنّ الجرائم الواقعة في سقيفة بني ساعدة، و سوق الناس إلى البيعة، في وقت كان جثمان رسول الله ملقى على الأرض لم يدفن بعد، و الأحداث التي أعقبت السقيفة خلال مدّة حُكم الخلفاء الثلاثة التي امتدّت خمساً و عشرين سنة، ثمّ تمرد معاوية و بغيه، و اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام في المحراب، و الظلمات التي عانى منها الإمام الحسن عليه السلام، و الأحداث الدامية المؤلمة في كربلاء، و المشاهد الموحجة المتمثلة في سبي الحوراء زينب عليها السلام على مرأى من أهل الكوفة و الشام و البقاع الأخرى و ... و ... و ... قد جرى بأجمعه بإرادة الله! و لو لم يشأ ذلك، لم يحدث! و لهذا فقد كان الحقّ مع الذين ارتكبوا تلك الجرائم، و بالملازمة فقد كان الحقّ مجاناً لأولئك المظلومين المشرّدين الذين نهشتهم السيوف

من أجل إعلاء كلمة الحق، و الذين طووا تلك الفيافي
و القفار جياعاً ظامئین علی جمال بغير غطاء و لا وطاء،
تلفح و جوههم الشمس المحرقة.

و من هنا يستبين للقارئ الكريم جيّداً أنّ منطق عمر
كان الباعث علی استبدال نبوة الإسلام و رسول الله
بالسلطنة و الملكيّة و الكسروية و القيصريّة، و كان
الباعث علی تحكّم الأمويين و العباسيين في رقاب
المسلمين طيلة ستة قرون متوالية و بالتالي افول دين
الإسلام المقدّس و انكدار نجم النبوة المصحوبة بولاية
الرسول الأعظم و طهارته التي انبثقت عنها طهارة أهل
البيت و أئمة الحق. و هو الذي جعل الحكومة الجائرة و
الظالمة لكسرى و قيصر تتقمّص شكل الخلافة
الإسلامية، و يظهر الحكّام بمظهر خلفاء المسلمين.

نظرية عمر في الإمامة هي نظرية ماكيافلي

و ما الفرق بين نظرية عمر و نظرية الناهبين و
الطامعين الدوليين في عالم اليوم؟ فهؤلاء يقولون أيضاً:

من كانت الحكومة بيده، فله السيادة و الحقيقة و الأصالة التي لا تمثّل إلا القبض على مقاليد الامور.

و نظريّة عمر في الإمامة هي نفس نظريّة "ماكيافيلي" الإيطاليّ، أو بتعبير أصحّ: نظريّة "ماكيافيلي" هي نظريّة عمر نفسها. ف "ماكيافيلي" يقول أيضاً: الملاك في الشرف و الأصالة و الواقعيّة عند الإنسان هو القبض على مقاليد الامور، و من كانت له الحكومة، فهو عزيز و منصور، و قد بلغ هدفه. و من كان فاقداً لها، فهو متخلّف عن قافلة الوجود؛ و ناءً عن موكب الظافرين الذين بلغوا الهدف.

و الفارق بينهما فقط في اختلاف التعبير. فعمر يعبر عن القدرة الفعلية، و الاستيلاء على المنصب بأنهما يتحقّقان عملياً في الخارج بإرادة الله. أمّا "ماكيافيلي" فيعبر عن ذلك بالواقعيّة و الأصالة و ملاك الشرف، و مثالها من المفردات.

و لكم أن تقارنوا بين هذا المنطق و منطق سيّد
الموحّدين و مولى المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب عليه السلام إذ يقول: "و الله لو أعطيتُ الأقاليمَ
السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا على أن أعصيَ اللهَ في نَمْلَةٍ أسْلُبُهَا
جُلبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ؛ وَ إنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ
وَرَقَةٍ في فم جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا! مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمِ يَفْنِي وَ لَذَّةِ لَا
تَبْقَى!"^١

و منطق عمر يقارب منطق أبي سفيان الذي كان يخال
أنّ الحكومة تمثّل ابّهة و جلالاً و عظمة من منظار هذه
الدنيا و هذه النشأة. و كان ينكر الرابطة بين النبوة و
الاتّصال بعالم الغيب، و الحكومة الإلهية الحقّة. و بعبارة
أخرى، كان يقول: إنّ ما قاله محمّد عن هذه الدنيا و
حكومتها و إمارتها يتعلّق بشؤون هذه الدنيا. و الحكومة؛
و السلطنة، فلا خبر من عالم الغيب. و لا معنى للارتباط
به، و لا معنى لخضوع هذا العالم لأحكام ذلك العالم.

١ «نهج البلاغة» الخطبة ٢١٦، عبده.

و لم يستطع أبو سفيان أن يتصوّر معنى الشهامة و
التضحية و الجهاد و الإيثار لله و الحقيقة و بلا أيّ توجه
مادّيّ؟ و لم يستطع أن يتصوّر أنّ جنود الإسلام الذين
يضربون بسيوفهم ليس لهم هدف مادّيّ، و لا طموح إلى
الرئاسة و الحكومة على الناس، فعملهم لله و في الله.

و الطابور العظيم من المنافقين - سواء الذين أسلموا
في فتح مكّة، أو الذين بهرتهم عظمة الإسلام فلم يجدوا بداً
من أن يظهروا إسلامهم - يتألّف من أمثال هؤلاء
الأشخاص.

و كان المنافقون جماعة كثيرة تعدّ من الصحابة.
أسلموا في الظاهر و شهدوا بوحدانيّة و رسالة النبيّ صلّى
الله عليه و آله و سلّم إلا أنّ قلوبهم لم تسلم و لم تؤمن، و
كانوا ينظرون إلى الإسلام في باطنهم كحكومة قوميّة

أو إمارة دنيوية.

كلام أبي سفيان لعثمان في أمر الخلافة

و لما تسلّم عثمان مقاليد الامور، دخل أبو سفيان إلى

مجلسه فقال:

يَا بَنِي أُمَيَّةَ! تَلَقَّفُوهَا تَلَقُّفَ الْكُرَّةِ! وَ الَّذِي يَخْلِفُ بِهِ

أَبُو سُفْيَانَ: مَا زِلْتُ أَرْجُوهَا لَكُمْ، وَ لَتَصِيرَنَّ إِلَى صِبْيَانِكُمْ

وَرَاثَةً!

وَ قَالَ لِعُثْمَانَ: أَدِرْهَا كَالْكُرَّةِ! وَ اجْعَلْ أَوْتَادَهَا بَنِي

أُمَيَّةَ! فَإِنَّمَا هُوَ الْمُلْكُ؛ وَ لَا أَدْرِي مَا مِنْ جَنَّةٍ وَ لَا نَارٍ! وَ أَتَى

قَبْرَ حَمْزَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَكَلَهُ بِرِجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ:

يَا حَمْزَةُ! إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي كُنْتَ تُقَاتِلُنَا عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ قَدْ

مَلَكَنَاهُ الْيَوْمَ وَ كُنَّا أَحَقَّ بِهِ مِنْ تَيْمٍ وَ عَدِيٍّ! ١

نستنتج ممّا ذكرناه في هذه المقدمة إلى أيّ مدى كان

المسلمون متفاوتين في عصر الرسول الأكرم صلّى الله

عليه و آله؛ و في مستويات مختلفة من حيث الجنوح القلبيّ

و الإيمان الحقيقيّ. و كان رسول الله في نبوّته يواجه هؤلاء

١ أيّ من أبي بكر و عمر.

الأشخاص المتفاوتين ذوي الاتجاهات الفكرية المتضاربة. و كم كانت الحياة مع هؤلاء شاقّة و صعبة بكلّ ما كان فيها من مجارة و اتّصال و معاشرة و انس و تردّد و علاقات مع الكثيرين منهم.

عصاة الانبياء لا تنافي اختيارهم

المقدّمة الثالثة: إنّ جميع الأنبياء و المرسلين الذين بعثهم الله، و كافّة الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين و جميع المعصومين و المطهّرين من أولياء الله المقربّين هم كسائر الناس مكلفون و متأدّبون بتأديب إلهي.

و ينبغي لهم أن يجسّدوا عملياً كافّة الاستعدادات و القوى الفطرية المودعة فيهم الواحدة بعد الاخرى بقدم المجاهدة و الاستقامة على الطريق،

و تقديم رضا الله على رضا النفس، و الصبر و تحمّل الأذى في طريق الوصول إلى المطلوب سبحانه و تعالى. و بهمة عالية و عزم و طيد و إرادة صلبة لا تلين. و أن يقطعوا المنازل و المراحل المقررة في طريق القرب، و لقاء الذات الأحديّة، و الفناء في ذاته المقدّسة، و البقاء بالله بعد حصول مقام الفناء، و يطووا هذا الطريق باختيارهم وإرادتهم.

إنّ الاختيار الربّانيّ، و الارتضاء و الاصطفاء و الاجتباء في عوالم الغيب و عالم الذرّ و المثال و في العوالم النوريّة و المجرّدة و البسيطة في بدء الخليقة لا يؤدّي إلى سلب اختيارهم و إرادتهم، بل يؤيّد و يسدّد و يدعم الاختيار و الإرادة.

ذلك لأنّ الله شاء أن يبعث هؤلاء الأشخاص المطهّرين و المصطفين لتبليغ رسالته و هداية عباده، و هم يقطعون هذا الطريق و يسرون في هذا الاتّجاه باختيارهم و قبولهم عبر حبّهم لمعبودهم. فكيف يمكن - و الحال هذه - أن نتصوّر أنهم يؤدّون ما عليهم من تكليف

مكرهين بعصمة اضطرارية و جبرية بإرادة الله، و ليس ذلك إلا خُلفاً، و الخُلف يستلزم تغيير الإرادة الإلهية، و هو محال.

و لقد شاء الله أن يقوموا بالأعمال الصالحة الطاهرة من وحي اختيارهم، و يجتنبوا المعاصي و المحرّمات من وحي اختيارهم أيضاً. فلو كانت إرادة الله سبباً في سلب اختيارهم، و كانت طهارتهم و عصمتهم بشكل إجباري و قسري، فإنّ ذلك يستدعي اختلاف الإرادة عن المراد، و هو محال.

فالأنبياء و المرسلون - إذاً - مختارون كسائر الناس، و ينتهجون طريقهم بإرادتهم و اختيارهم. و يقومون بطائفة من الأعمال، و يتركون طائفة اخرى.

لذلك ما برحوا يبلغون بقواهم و استعداداتهم

تدرجياً إلى مقام

١ خلفاً: يعني حمق و قلة عقل.

الفعليّة؛ ثمّ يبلغون بتلك الفعليّة (التي هي القوّة و الاستعداد بالقياس إلى الدرجة العليا)، إثر الإرادة و الاختيار و قبول أمر الله إلى فعليّة أعلى و درجة أسمى و هكذا يواصلون طريقهم باستمرار و تدريجياً فيبلغون بكلّ قوّة من القوى المودعة فيهم إلى الكمال النسبيّ، ثمّ إلى الكمال المطلق، حتّى يصل وجودهم إلى الكمال المطلق، فيظفروا بمقام الإنسان الكامل.

و هذه المناصب و الدرجات جاءت من الطريق الذي انتهجوه باختيارهم، و من المقام الذي بلغوه بطوعهم و رغبتهم و إرادتهم و رضاهم.

و بلغ إبراهيم الخليل عليه السلام مقام الإمامة الذي منّ الله به عليه، و ذلك بعد حيازة مقام النبوة، و تحطيم الأصنام في معبد الأصنام ببابل، و إلقائه في النار، و معارضته للنمرود و النمروديين، و إبعاده من بابل إلى فلسطين، و اضطراره بأعباء النبوة في تلك الربوع، و بعد أن تعرّض إلى امتحانات و ابتلاءات عديدة و بسبب صبره و تحمّله مع زوجته سارة بلا ولد يؤنسهما، ثمّ منّ الله عليه

بالولد، و بعد بناء الكعبة مع نجله البارّ إسماعيل، و ترك زوجته هاجر و ولده إسماعيل و حيدين في أرض مكّة الحارّة الكأداء القفر غير ذات زرع، و بعد البلاء الذي مرّ به متمثلاً بأمره بذبح ولده الرشيد إسماعيل عَلم التوحيد، و تقديم إسماعيل على مذبح المحبوب. و صفوة القول بعد أربعة و عشرين اختباراً نجح في اجتيازها. و كان صلوات الله عليه في سنّ الشيخوخة و الهرم إذ كان شعره الأبيض يتدلّى من رأسه و وجهه. قال عزّ من قائل:

{وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} ١.

و بلغ موسى عليه السلام مقام الكمال، و أصبح من أنبياء اولي العزم، و من أصحاب الشريعة و الكتاب بعد اختبارات عسيرة شاقّة في الدعوة مع الأسباط في مقابل الأقباط، و مواجهة فرعون مصر، و النزوح إلى فلسطين، و قضاء الأسباط أربعين سنة في التيه، و الذهاب إلى جبل

١ الآية ١٢٤، من السورة ٢: البقرة.

الطور جائعاً ظامئاً أربعين ليلة لمناجاة الله، و تحمّل آثار
العظمة و الجلال الإلهي.

و كان الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه
و آله و سلّم وحيداً غريباً في مكة أربعين سنة بحيث إنّه
كان مرغماً على ترك بيت الله الحرام - مع أنه كان من أهل
مكة مجاوراً لبيت الله - للاختلاء مع الله في جبل النور في
غارِ حراء. ذلك الغار الذي كان على سفح الجبل. و كان
الذهاب إلى ذلك المكان شاقاً و خطيراً جداً. و كان يقيم
في ذلك الغار وحده أياماً أو اسبوعاً أو اسبوعين أو أكثر.
و لا يخامرنا الشكّ - طبعاً - أنّ جوهرة وجود اولئك
الرجال العظام تتفوّق و تمتاز عن الآخرين، كما أنّ الناس
العاديين يتباينون في الخلق من حيث الصفات و الغرائز و
الملكات. و كذلك يتباينون من حيث الجهات الطبيعيّة
كالطول و الحجم و اللون و الشمائل المتنوّعة. إلا أنّ هذا
التباين لا يجعلهم في صفٍّ مستقلٍّ متميّز من حيث
التكليف و العصمة الاختياريّة. فالجميع ينبغي أن
يكدحوا إلى الكمال، و يبلغوا غايتهم المنشودة، و ذلك

بطاعة أمر الله، و قبول التوحيد، و بالمجاهدة و الكدّ و السعي في طيّ الطريق إلى الله.

"النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَ الفِضَّةِ".^١

فالناس كالمعادن مختلفون في الغرائز و الصفات، و التألّق و اللمعان، و ايضاً في الدرجات و الاستعدادات. و كما أنّ المعادن فيها النحاس، و الحديد، و الذهب، و الفضة، و الألماس، و هي تختلف فيما بينها، فكذلك أصناف الناس تختلف فيما بينها في الصفات و الغرائز و الملكات. إلا أنّ النكته هنا هي كما أنّ كلّ معدن ينبغي أن يستخرج، و يؤخذ إلى الفرن، و يتحمّل النار، و يذوب، و يفصل الغشّ من الخالص. و كما أنّ الألماس ينبغي أن يبري ايضاً على يد الخراط ليستفاد منه بما فيه من قابليّة، فكذلك طبقات الناس و أصنافهم ينبغي لها المجاهدة و

١ جاء في «إحياء العلوم» ج ١، ص ٦: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: **"النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَ الفِضَّةِ، فَخِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإسلامِ إِذَا فَقَهُوا"**. و كذلك جاءت هذه العبارة نفسها عن رسول الله في «جامع السعادات» طبعة النجف، ج ١، ص ٢٤ بدون قيد «إِذَا فَقَهُوا».

التسليم لأمر الله لتحرّر من العُجب و هوي النفس، و
تظفر برؤية الله و لقاءه.

و كلّ فرد من الناس مكلف بإكمال القابليّة التي عنده
و الاستعداد المودع فيه، و البلوغ بهما إلى مقام الفعل لا
أن يصير نفسه كالآخرين. و الأنبياء مكلفون أن يطهّروا
جوهرتهم الذاتيّة؛ و الأئمّة مكلفون أن يبلغوا مقام الولاية
المطلقة في التعاليم الإلهيّة في مقام الخلوّص و الإخلاص؛
و أولياء الله مكلفون أن ينيروا سريرتهم الذاتيّة، و يجتازوا
الحجب النورانيّة؛ و الناس العاديّون مكلفون أيضاً أن
يطهّروا سريرتهم الذاتيّة مهما كان الأمر، و يبعدوا عنها كلّ
غشّ و غلّ، و يخرجوا من هوى النفس، و يظفروا بمقام
رضا المحبوب، و هو الرّبّ المعبود. و لم يكلف أحد أن
يصير كالآخرين. و في يوم القيامة لا يسألون الشمر: لما ذا
لم تكن كسيّد الشهداء؟! لما ذا لم تكن إماماً؟! بل يؤاخذونه
قائلين: لما ذا ذبحت الإمام طواعية؟!

و لا يسألون سلمان الفارسيّ: لما ذا لم تكن كأمر
المؤمنين؟! بل يسألونه: هل استخدمت جميع القابليّات و

القوى التي أودعها الله فيك على طريق رضا الله أو لا!

و لا يسألون أبا ذرّ الغفاريّ: لما ذا لم تكن كسلمان

الفارسيّ؟! بل يسألونه: هل اكتملت يا أبا ذر أو لا؟!!

فعلى هذا نرى أنّ العصمة و الطهارة الموجودتين في

الأنبياء، المودعتين فيهم بإرادة الله، لا تستلزمان العصمة

القهرية و الطهارة القسرية، بل هما منافيتان لذلك، و

يمكن أن نعتبر العصمة و الطهارة الاختياريتين معلولتين

للنفس الشريفة التي يحملها المطيع، و مُسببتين عن

الملكات الحميدة التي يتّصف بها أولئك العظماء بواسطة

السجايا المباركة الناتجة عن أعمالهم الصالحة.

و الروايات المأثورة التي تنبئنا أنّ الله خلقهم قبل آدم

أو قبل خلق العوالم الاخرى بألفي سنة، أو سبعة آلاف

سنة، أو سبعين ألف سنة لا تعني السبق الزمنيّ، بل تعني

السبق الرتبيّ و العليّ في العوالم المجردة؛ و القصد من

طول المدّة سعة العوالم النوريّة و المجرّدة بالنسبة إلى
عوالم الطبع و الطبيعة.

الانبياء كثيرهم من الناس في الصفات البشريّة

و نفهم من هذا العرض أنّ الأنبياء كغيرهم من الناس
لهم غرائز و صفات و اختيار و شئون معنويّة و حسّيّة و
مادّيّة اخرى، و هم بشر بكلّ ما للكلمة من معنى. و
يتمتّعون بغريزة العفّة و الحياء، و يتّصفون بالهيبة و الخشية،
و يفرحون و يحزنون، و يضحكون و يبكون و لهم جسم
مادّيّ، فهم يأكلون، و يجوعون، و يعطشون، و يرتوون و
يشبعون، و فيهم غريزة النكاح و حبّ الجنس.
كما أنهم يشعرون بالألم، و بالفراق و الهجران. و
كذلك يشعرون

بالسرور. غاية الأمر أنهم استخدموا هذه الأعمال
كلّها، وهذه الصفات والغرائز، وهذه المشاعر في طريق
رضا الله معبودهم الحقّ، و ما رسوها ابتغاءً لوجهه
الكريم.

و لم يُستثنَ رسول الله نبينا الكريم: خاتم الأنبياء و
المرسلين من هذه القاعدة، بل كان كغيره من الأنبياء ذا
صفات بشريّة. و كان حريصاً على تبليغ الأحكام. و كان
يرهق نفسه و يتعبها في السعي لتبليغ القرآن الكريم و
إرشاد الناس و هدايتهم. و كانت نفسه تذهب حشرات
على فتور الكفار و إعراضهم و صدّهم و عدم اهتمامهم.
و لقد بالغ في الجهد لبيان الآيات الإلهيّة و اهتمّ اهتماماً
مركّزاً لإيصال نداء القرآن الكريم. و كم كان يغضبه ما
يواجهه من انتهاكات كانت تصدر في بعض الأحيان إلى
الحدّ الذي كان وجهه المبارك يحمّر و أوداجه تنتفخ. و
كان يستحي أشدّ الاستحياء في مواضع الحياء و الخجل
حتى سمّوه: الحيّي. و جاء في القرآن الكريم أنه كان يشقّ

على نفسه كثيراً في إيصال الأحكام. قال جلّ من قائل:

{طه ٠ ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}.^١ وقال:

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.^٢ و

قال:

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا

الْحَدِيثِ أَسَفًا}.^٣

و ورد عن حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ

ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى

١ الآية ١ و ٢، من السورة ٢٠: طه.

٢ الآية ٢٨، من السورة ٩: التوبة.

٣ الآية ٦، من السورة ١٨: الكهف.

النَّبِيِّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} ١.

و جاء حول تصديقه كلام الناس إذ كلما كانوا
يطرحونه من كلام لا يردّه إلى أن قالوا: محمّد اذن فقط،
يصدّق كلّ ما يقولون؛ يسمع كلاماً متناقضاً فلا يردّه و لا
يجادل و لا يناقش و لا يعترض: {و مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} ٢.

و حول زواج زينب ابنة عمّته التي طلقها ابنه بالتبنيّ:
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ و كان هذا العمل مستقبحاً عند العرب إلى
درجة أنهم كانوا يعتبرونه في حكم الزواج من زوجة الولد
الحقيقيّ، فقد كلف النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم
بتحطيم هذه السنّة الجاهليّة، و هو أوّل من قام بهذا العمل
مع أنه كان يخشى ذلك حتى نزل قوله تعالى: {وَ تَخْشَى
النَّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} ٣.

١ الآية ٥٣، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٢ الآية ٦١، من السورة ٩: التوبة.

٣ الآية ٣٧، من السورة ٣٣: الأحزاب.

و ورد بشأن لزوم رسالات الله و عدم تغييرها قوله:

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ

۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ

حَاجِزِينَ} ١.

خوف النبي من التبليغ العام لولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليهما

و بعد أن استبانت لنا هذه المقدمات، نقول حول

الإعلان العام عن ولاية مولى الموحّدين و أمير المؤمنين

عليه السلام أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم

كان حذراً خائفاً، و ذلك لما عرفناه من الحالة العامة

للسحابة و المعارضين إجمالاً. كان رسول الله خائفاً من

عواقب إعلانه عن ولاية الإمام عليه السلام؟

١ الآية ٤٤ إلى ٤٧، من السورة ٦٩: الحاقة.

و لم يخف نبينا الأكرم على نفسه من القتل، أو الرمي
من شاهق، أو سقيه السم؛ ذلك لأنه كان لا يرى لنفسه أي
قيمة أمام أمر الله، إذ سلم أمره لله كاملاً و نذر نفسه
الشريفة لله كأسهل ما يكون بكلّ إخلاص، بل كان خائفاً
من تمرّد الناس؛ من أن يعمد المعارضون الذين كانوا من
الشخصيات الاجتماعيّة المتنفّذة و لهم مكانتهم المرموقة
بين الناس و يعرفون كيف يحركونهم و قد ملكوا قلوبهم
و دخلوا في نفوسهم، إلى إنكار النبوة دفعةً واحدة و إلى
الارتداد عن الإسلام، و يعلنون للناس أنّ هذه الخطوة
التي أقدم عليها النبيّ العظيم تترجم حبه للجاه و الرئاسة.
و أنّ النبوة حكومة مادّيّة و رئاسة ظاهريّة، و يقولون
للناس: ها هو يودّع الحياة جاعلاً الرئاسة و الإمامة
لصهره و ابن عمّه. إذ ليس للنبيّ ولد يرثه، و الصهر عند
انتفاء الولد في حكم الولد و الوارث. و ها هو قد فوّض
الرئاسة التي هي في حكم التاج و العرش إلى زوج ابنته.
و لو كانوا قد فعلوا ذلك، و عارضوا في ذلك
المجلس العلنيّ، و تجاوزوا حدودهم بالامتهان و التمرّد

وإثارة الفتن، فما الذي كان سيحدث؟ إن النبوة و الجهود
الشاقّة التي بذلها النبيّ خلال ثلاث و عشرين سنة كانت
ستذهب سدىً و تضيع و لا يبقى منها شيء و سيشعر
النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بالخجل و المسئوليّة في
مقابل العهد الذي قطعه لربّه أن يضطلع بعبء النبوة مع
جميع ما يكتنفها من مشاكل و مصاعب، لذلك كان النبيّ
ينتظر الفرصة المناسبة و الوقت الملائم، و يقوّي
الأرضيّة و يمهدّ الأجواء أكثر فأكثر. و على الرغم من أنّ
جبريل الأمين قد هبط و أمره بتبليغ ولاية ابن عمّه للناس،
غير أنه لم يحدّد وقتاً للتبليغ. و مع كافّة تلك الخصوصيّات
و الكيفيّات و السفر العظيم المتمثّل بحجّة الوداع التي
كان أساسها لتعليم مناسك الحجّ، و بالأخص للإعلان
عن الولاية العامّة، كان

النبيّ يعمل دائماً و باستمرار لإعداد الأرضيّة
المناسبة و يخطّط لها.

فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام و كان قد أرسله
إلى اليمن أن يرجع إلى مكّة و معه جزية أهل نجران. و
التقيا في مكّة؛ و أصبحا شريكين في الحجّ، و نحرا مائة من
البدن في منى. و كان الفخر في المشاركة في الحجّ من
نصيب مولى الموالى فحسب. و قد ثقل ذلك على البعض؛
بخاصّة اولئك الذين رفعوا عقيرتهم بالاعتراض في
العمرة و حجّ التمتع. فأرهبوا النبيّ صلّى الله عليه و آله و
سلم و أغضبوه و أزعجوه كثيراً.

و خطب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم في
مكّة و عرفات و منى خمس خطب. و كلّما أراد أن يعلن
للملأ بصراحة عن ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب
عملاً بتعليمات جبرئيل في هذا الصدد. و شعوراً
بالمسؤوليّة حيال عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لم يجد
الفرصة مؤاتية لذلك. فلهذا كان يوصي بعترته و أهل بيته
في تلك الخطب.

فهذه درجة متقدّمة، إذ تمهّد الأرضيّة للإعلان و
التعريف الشخصي؛ و حتّى أننا نجد النبيّ صلّى الله عليه
و آله و سلّم في آخر خطبة خطبها بمنى يوحي بكتاب الله
و عدم افتراقه عن العترة الطاهرة من أهل بيت النبوة. و
أنهما متلازمان متلاصقان لا يفترقان؛ و أنهما مترافقان إلى
قيام الساعة حتّى يردا على رسول الله الحوض في تلك
العرصات. و أنهما معاً يضمنان سعادة الإنسان دوماً و
أبداً.

ثمّ خرج النبيّ الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم من
مكة يوم الأربعاء الرابع عشر من ذي الحجّة. و توجه إلى
المدينة مع تلك المواكب و المحامل، و في غد ذلك اليوم
و قبل يوم الغدير بثلاثة أيّام نزل جبرئيل بقوله عزّ من
قائل: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ
لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الكافرين { ١.

نزلت الآية المذكورة بهذه الشدة و التهديد بأنه لا يوجد وقت للتفكير بالمصلحة و إعداد الأرضية؛ إذ ينقضي الوقت و تمرّ الفرصة مرّ السحاب؛ و الله جلّ شأنه هو المتكفل لحفظ الإسلام و صيانتها من تلاعب الكفار، و هو الذي يحول بينهم و بين مآربهم.

إنّ الولاية على درجة من الأهمية بحيث جعلت مكافئة للنبوة و في منزلتها و إذا ما فرّطت في الإعلان عنها، فإنّك لم تضطلع بأعباء الرسالة.

و لا بدّ أن يُقدّم عليّ عليه السلام إلى الملائ، و يُعرّف لهم في مجلس واحد يشهده الجميع، فهو حافظ دينك و رسالتك بعدك! و هو الذي نُصِبَ خليفة و وارثاً و ولياً بعدك منذ اليوم الأوّل الذي تألّق فيه فجر الدعوة، و ذلك في مجلس العشيرة، و وفقاً لآية الإنذار و حديث العشيرة! و هو الذي رافقك خطوة خطوة في كلّ سنة و شهر و يوم و ساعة، و واصلك في السراء و الضراء، و كشف الكرب و

١ الآية ٦٧، من السورة ٥: الهائدة.

الغمّ و الحزن عن وجهك المنير في الغزوات و السرايا
بسيفه البتّار! و هو بحر العلم و يمّ المعرفة الخضمّ
الموّاج، العلم الذي ارتشفه منك متّبعاً أثرك متتلمذاً على
يديك، و قد تعلّم في كلّ يوم باباً من العلم كان يفتح منه
ألف باب! و هو الذي بات في فراشك ليلة الهجرة، و
عرّض نفسه للبلاء مضحياً بها في سبيلك، و جلس جبريل
و ميكال عنده حتّى الصباح، و باهى الله به ذينك المَلَكين
المقربين!

تحرك النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى إذا قارب
الجُحْفَة - حيث يفصل طريق المدينة عن الشام و العراق،
و حيث النقطة الأخيرة التي تتلاقى فيها قوافل الحجّ، و
منها يفترقون - حطّ رحاله في وادي غدير خُمّ.

و أمر جميع الحجّاج أن يجتمعوا، فهذا هو المكان
الذي ينصب فيه أمير المؤمنين عليه السلام.

و جاء في بعض الروايات و التفاسير أن قوله: بَلِّغْ ...
نزل في هذا المكان؛ و عندئذٍ نزل النبيّ الأعظم صلّى الله
عليه و آله و سلّم و أصدر أوامره المباركة باجتماع
الحجيج.

قصيدة آية الله الكبانيّ حول الغدير

و للمرحوم آية الله الشيخ محمّد حسين الإصفهانيّ
رضوان الله عليه قصيدة مخمّسة في هذا المجال، نذكر عدة
فقرات منها فيما يلي:

خوش آن دمی که بینمش نشسته در کنار من^۱

۱ يقول: «هبتّ ریح الصبا علی أميری مبشّرةً كالبلابل الغریدة القادمة من
حديقة شقائق النعمان.

هیّا یا صبا فإنّ فیک عطر الحبيب، و تأتي البشائر من کلّ مکان مبشّرة بلقاء
الحبيب.

و ما أجمل تلك اللحظة التي أرى فيها الحبيب جالساً إليّ جانبيّ.

که کعبه درش بود مطاف و مُستجار من^۱

مُنزّه است از حدود اگر چه آن نگار من^۲

خلافت از نخست شد به نام شهریار من^۳

۱ يقول: «انثري يا صبا تحيتي التي لا حدّ لها بحيث تملأ الفضاء لأعتاب عليّ المرتضى.

فهو وليّ القَدَر و المهيمن على القضاء، وهو محيط المعرفة الحلم و مركز الرضا. و كعبة بابه مطافي و ملاذي الذي ألّوذه».

۲ يقول: «انظر إلي تجليات الذات في مشهد شهوده. و انظر إلي حقائق صفات الحقّ من تجليات وجوده.

و انظر إلي الحروف العالية في نسخة وجوده. و انظر إلي تمام المجملات فيه فإنّه مفصل عن الحدود.

و إن تنزّه حبيبي عن الحدود (لاقتراانه بالله تعالى)».

۳ يقول: «صار واضعاً للأسس و مشيئاً للأصول. و مصوراً للمعاني و مفصلاً للفصول.

و أصبح حقيقة المثاني و مكماً للعقول. و صار في الدرجة الثانية للحقّ و خليفة الرسول.

و كانت الخلافة باسم أميری منذ بداية العصور».

به فرق فرقدان رسد كلاه افتخار من^١

كه ملك دل نمي سزد مگر به راز دار من^٢

شد اختيار دين به دست صاحب اختيار من^٣

١ يقول: «لقد كان الغدير قطرة من بحر مناقبه. و كان شعاع الشمس بصيصاً من نور نجمه الثاقب.

و كان نعيم الخلد نصيباً من مائدة مواهبه. و يا ليته ينعم عليّ بنظرة تجتذبني إلي جانبه. فأتباهي مفتخراً حتّي تبلغ قبّعة فخري فرق الفرقدين».

٢ يقول: «شتان بين طائر السعد و بين الوحوش و البهائم. و لا تقارن بين العاقل و بين الأبله الذي لا عقل له.

فلا تقرن من يشرب ثمالة الكأس بمن أهرم نفسه و شيب عمره في بيع الخمر. و لو كنت موحداً فاغسل عن لوح قلبك النقوش.

و لا يليق اجتذاب القلب و الهيمنة عليه إلا بصاحبي الذي يكتم الأسرار».

٣ يقول: «ولايته في الغدير التي أصبحت فرضاً على الامم. كانت حديثاً منذ القديم مثبتاً في دفتر القدم.

فقد خطّ القلم على لوح قلب سيّد الامم، بأن قد جاء مكمل الشريعة و متمم النعم.

جَحِيمٌ شَعْلَهُ أَيْ زَقَهْرَ أَنْ بَزْرَ گَوَارِ مِنْ ١

بِهَ دَسْتِ أَوْ بُوْدِ زَمَامِ شَرَعِ پَايْدَارِ مِنْ ٢

هَمَانِ كَنْدِ كِهَ كَرْدِ بَا اَمِيْرِ شِهَ شَكَارِ مِنْ ٣

مشاكل و مضاعفات تحمّل الولاية

و ينبغي أن نعلم أنّ التنصيب في مقام الإمامة و
الخلافة ليس شأنًا من الشؤون الظاهرية للإمام بحيث

و صار زمام الدين صاحبي ذي الاختيار».

١ يقول: «أصبح أمير العشق وزيراً للعقل الكليّ بأمر الحقّ. و أصبح أبو
الفتوح (أمير المؤمنين) خليفة لخاتم الرسل.

و وصلت راية الهدي بيد هادي السبل، فلفظ طاعته نعيمٌ دائم الأكل.

و ما الجحيم إلا شعلة من غضب ذلك الرجل العظيم».

٢ يقول: «و في وسط كان المعشوق الأزليّ ضياءه المتألق، أخذ الساقى بيد

العشق الدائم (إشارة إلى أخذ النبي يد عليّ أمير المؤمنين يوم غدِير خَمّ.

فعرّف ولايته و أبان مقامه، إذ هو خليفتي و هو وليّ الأمر في الحّلّ و العقد بعدي

و بيده زمان شرعي الراسخ الوطيد».

يبحث على الراحة و السعة و التمتع بمقام يتهج به، و
يحتفي به فرحاً مسروراً. بل هو يستلزم الاضطلاع
بالمسؤولية و الالتزام حيال القيام بما يلزم، و أداء المهمة
على أحسن وجه. فما أصعب هذا الأمر و أبهظه و أشقّه! و
أيّ! مضاعفات ستعقبه! و لا بدّ من اجتيازها كلّها بصبر
و اتّناد و سكينه و من جملتها السكوت و عدم القيام
بالسيف عملاً

بوصية الرسول الأعظم عند مبادرتهم لغصب الحق،
وفقدان الناصر والمعين.

إنَّ النصب في مقام الولاية يمثل في الحقيقة نصباً في
مقام الحلم و التحمّل و الرزانة في جميع تلك الوقائع و
الأحداث. و نصباً في مقام الصبر و الحلم و الأناة حيال
كافة الأحداث التي ستتوالى على صاحب الولاية و مقام
الولاية حتى يوم القيامة. و يجسد ذلك النصب إعلاناً عن
الصمود و الاستقامة أمام الأحداث التي سيفتعلها
الشیطان و النفس الأمّارة التي يحملها ذوو التوجّهات
المريضة من الجهلة الذين لا علم لهم، و يضعها أولئك
حجر عثرة في طريق الولاية كلّ يوم و زمان، و عقبه تحول
دون الوصول إلى ساحة الحضور.

فما أصعب يوم الغدير على أمير المؤمنين! و ما أشقّه
من ميعاد! و ما أثقله من لقاء مضمّن مرهق! و ما أعظمه
من يوم زاخر بالهبة و الجلال!

و لا يتصوّر أحد أنه يوم السرور و الاغتباط من
منظور الشؤون الدنيويّة، بل الأمر على عكس ذلك.

كما أنّ يوم المبعث النبويّ في غار حراء كان أوّل يوم
للنزول في عالم الكثرة، و الاضطلاع بعمل من شأنه
الاصطدام بشخصيّات متحجّرة من أمثال أبي جهل، و أبي
لهب، و أبي سفيان. و هو يوم تحمّل المصائب و الشدائد
لتبليغ رسالات الله، و الامتثال للأمر السماويّ القاضي
بتحطيم أصنام الجاهليّة، و تهذيب النفوس و تركيتها؛ و
مداراة و مسايرة عدد كبير من الجهلة الذي يخلقون أعظم
المصائب من وحي جهلهم، و يفرضونها على رسول الله.
فلهذا أخذت رسول الله الرجفة؛ و لَمَّا جاء إلى بيته،
سقط على الأرض من شدّة الهيبة و عظمة هذا الأمر، و
ادّثر في زاوية من الغرفة فنزل

عليه جبريل وهو يتلو عليه قوله تعالى: {قُمْ فَأَنْذِرْ وَ

رَبِّكَ فَكَبِّرْ} بعد قوله: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}؛ وقوله: {قُمْ

اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} بعد قوله: {يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ}.

و كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يعلم

ما ذا ستجره ولاية الأمر هذه من ويلات على أمير

المؤمنين. من ضربٍ و شتمٍ و قتلٍ و أسرٍ لأبنائه

الطاهرين. و كان يرى ذلك أمامه كالمرآة و يوطن نفسه

الشريفة على جميع البلاءات لمرضاة الودود جلّ و عزّ، و

يتلقى الأمر بالعمل بقوله تعالى: {بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ} بالطاعة و التسليم متفاعلاً معه بروحه و قلبه. و

يقبل ذلك الإمام عليّ أيضاً بروحه و قلبه، و يرحّب به

بنفس منشرحة و صدر رحب؛ و يلبي دعوة الحق؛ و

يذوب فيه طاعة و تسليماً بكل وجوده.

روى الحافظ أبو نعيم الإصفهاني! بسنده المتّصل عن

أبي بركة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ بَيْنَهُ

لي!

فَقَالَ: اسْمَعُ! فَقُلْتُ: سَمِعْتُ!

فَقَالَ: إِنَّ عَلِيًّا رَايَةُ الْهُدَى؛ وَ إِمَامُ أَوْلِيَائِي؛ وَ نُورٌ مَنْ
أَطَاعَنِي؛ وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ؛ مَنْ أَحَبَّهُ
أَحَبَّنِي؛ وَ مَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي؛ فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ! فَجَاءَ عَلِيٌّ
فَبَشَّرْتَهُ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا عَبْدُ اللَّهِ؛ وَ فِي قَبْضَتِهِ فَإِنْ
يُعَذِّبُنِي فَبِذَنْبِي؛ وَ إِنْ يُتَمِّ لِي الَّذِي بَشَّرْتَنِي بِهِ؛ فَاللَّهُ أَوْلَى بِي!
قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْلُ قَلْبَهُ! وَ اجْعَلْ رَبِيعَهُ الْإِيْمَانَ!
فَقَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ بِهِ ذَلِكَ! ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَيَّ أَنَّهُ
سَيَخْصُهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُخْصَّ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي.
فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَخِي وَ صَاحِبِي!

فَقَالَ: إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ؛ إِنَّهُ مُبْتَلَىٌّ وَ مُبْتَلَىٌّ بِهِ" ١.

البلاء الذي نزل بأمر المؤمنين بعد رسول الله، والفتن التي عاشها بعده

و ذكر إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموي بسنده المتصل عن علي بن أبي طالب قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة!

فقلت: يا رسول الله! ما أحسن هذه الحديقة!

فقال: [رسول الله]: ما أحسنها؟! و لك يا علي في

الجنة أحسن منها!

ثم أتينا على حديقة اخرى، فقلت: يا رسول الله! ما

أحسن هذه الحديقة!

فقال [رسول الله]: ما أحسنها! و لك يا علي في الجنة

أحسن منها! ثم أتينا على حديقة اخرى، فقلت: يا رسول

الله، ما أحسنها من حديقة!

فقال رسول الله: لك في الجنة أحسن منها!

١ «حلية الأولياء» ج ١، ص ٦٦ و ٦٧؛ طبعة مطبعة السعادة - مصر؛ و «ينابيع

المودّة» باب ٤٥، من طبعة إسلامبول سنة ١٣٠١ هـ ص ١٣٤؛ و «فرائد

السمطين» باب ٣٠، ج ١، ص ١٥١.

قال: فمشينا حتى أتينا على سبع حدائق، و كلما مررنا
بحديقة منها، كنت أقول: يا رسول الله! ما أحسنها!
فيقول: لك في الجنة أحسن منها!

فَلَمَّا خَلَا لَهُ الطَّرِيقُ اعْتَنَقَنِي وَ أَجْهَشَ بَاكِئًا فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! مَا يُبْكِيكَ؟
قَالَ: ضَعَائِنُ فِي صُدُورِ أَقْوَامٍ لَا يُبْدُونَهَا لَكَ إِلَّا
بِعَدِي!

فَقُلْتُ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟! قَالَ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ
دِينِكَ.^١

و روى موفق بن أحمد أيضاً عن أبي سعيد الخدري
قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم علياً
بما سيلقي من أعدائه من المقاتلة: **فَبَكَى عَلِيٌّ وَ قَالَ:**
أَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّ قَرَابَتِي وَ بِحَقِّ صُحْبَتِي أَنْ تَدْعُو
اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَنِي إِلَيْهِ! فَقَالَ: يَا عَلِيُّ! أَنَا أَدْعُو اللَّهَ لَكَ لِأَجْلِ

١ «فرائد السمطين» باب ٣٠، ج ١، ص ١٥٢ و ١٥٣. الطبعة الأولى، طبعة
مؤسسة المحمودي - بيروت؛ و «مناقب الخوارزمي» طبعة النجف، ص ٢٦؛
و «ينابيع المودة» باب ٤٥، ص ١٣٤.

مُؤَجَّلٍ! فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَى مَا أَقَاتِلُ الْقَوْمَ؟! قَالَ عَلَى

الإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ.^١

و أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أبي ليلى،
عن أبيه، قال: أعطى النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم
الراية يوم خيبر إلى عليّ، ففتح الله عليه؛ و في يوم غدير خمّ
أعلم الناس أنه مولى كلّ مؤمن و مؤمنة، و قال له: أنت
مَنّي و أنا منك؛ و أنت تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت
على تنزيله! و قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى
إلا أنه لا نبيّ بعدي. و قال له: أنا سلم لمن سالمك، و
حرب لمن حاربك؛ و أنت العروة الوثقى! و أنت تبين ما
اشتبه عليهم من بعدي! و أنت وليّ كلّ مؤمن و مؤمنة
بعدي! و أنت الذي أنزل الله فيك:

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ

الْأَكْبَرِ}.^٢

١ «مناقب الخوارزمي» ص ١٠٩؛ و «ينابيع المودة» باب ٤٥، ص ١٣٤. طبعة

إسلامبول.

٢ قسم من الآية ٣، من السورة ٩: التوبة.

و أنت الآخذ بستتي! و الذابُّ عن ملّتي! و أنا و أنت
أول من تنشقّ الأرض عنه؛ و أنت معي تدخل الجنّة؛ و
الحسن و الحسين و فاطمة معنا، إنّ الله أوحى إليّ أن ابين
فضلك؛ فقلت للناس و بلّغتهم ما أمرني الله تبارك و تعالى
بتبليغه!

ثم قال: اتَّقِ الضَّغَائِنَ الَّتِي كَانَتْ فِي صُدُورِ قَوْمٍ لَا تُظْهِرُهَا إِلَّا بَعْدَ مَوْتِي؛ أَوْلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ وَ بَكَى.

ثمَّ قَالَ: "أَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ أَنَّهُمْ يَظْلِمُونَكَ بَعْدِي، وَ أَنَّ ذَلِكَ الظُّلْمَ لَا يَزُولُ بِالكُلِّيَّةِ عَنْ عِثْرَتِنَا حَتَّى إِذَا قَامَ قَائِمُهُمْ، وَ عَلَتْ كَلِمَتُهُمْ، وَ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى مَوَدَّتِهِمْ، وَ الشَّانِي لَهُمْ قَلِيلٌ، وَ الكَارِهَةُ لَهُمْ ذَلِيلٌ، وَ المَادِحُ لَهُمْ كَثِيرًا".

و ذلك حين تغير البلاد؛ و ضعف العباد، حين الياس من الفرج، فعند ذلك يظهر القائم مع أصحابه؛ فبهم يظهر الله الحق؛ و يحمد الباطل بأسيافهم؛ و يتبعهم الناس راغباً إليهم و خائفاً منهم! أبشروا بالفرج فإنَّ وعد الله حق لا يخلف؛ و قضاءه لا يرد؛ و هو الحكيم الخبير؛ و انَّ فتح الله قريب.

"اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ أَهْلِي فَأَذِيبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ وَ تَطْهِيراً؛ اللَّهُمَّ اكْلَأْهُمْ وَ ارْعَهُمْ وَ كُنْ لَهُمْ وَ انصُرْهُمْ وَ

أَعَزَّهُمْ وَ لَا تُدِئُهُمْ، وَ أَخْلَفَنِي فِيهِمْ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ
قَدِيرٌ^١.

و قال عليّ بن أبي طالب [عليه السلام]:

كُلُّ حِقْدٍ حَقَدَتْهُ قُرَيْشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ أَظْهَرَتْهُ فِي، وَ سَتُظْهِرُهُ فِي وُلْدِي مِنْ بَعْدِي،
مَالِي وَ لِقُرَيْشٍ! إِنَّمَا وَ تَرْتُمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَ أَمْرِ رَسُولِهِ، أَفْهَذَا
جَزَاءُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ؟!^٢ {وَ مَا
نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام.

١ «مناقب الخوارزمي» الفصل ٥، ص ٢٣ إلى ٢٥؛ و «ينابيع المودة» الباب ٤٥،
ص ١٣٤ و ١٣٥.

٢ «ينابيع المودة» الباب ٤٥، ص ١٣٥.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالتَّسْعُونَ إِلَى الدَّرْسِ السَّابِعِ وَالتِّسْعِينَ خُطْبَةُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَدِيرِ خُمٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }

نقل موفق بن أحمد خطيب خوارزم الأبيات التالية

عن الصاحب بن عباد:

هَلْ مِثْلُ صَبْرِكَ إِذْ خَانُوا وَ إِذْ خَتَرُوا

نزول جبرئيل في غدير خم و توقف رسول الله صلى الله عليه وآله

خرج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من مكة و معه
جميع حجّاج بيت الله الحرام، و ذلك في اليوم الرابع عشر،
متوجّهاً إلى المدينة. و ذكر المؤرّخون أنّ حجّاج المدينة
الذين كانوا معه، مائة و عشرون ألفاً، أو مائة و أربعة و
عشرون ألفاً؛ ذلك لأنّ هذا الحجّ جاء بعد إعلان مسبق
عنه، حتّى

أنَّ النبيَّ أخبر أهل القرى و الأطراف أنه عازم على الحجِّ، فمن تمكَّن فليلتحق به. فهذا حجَّ أهل المدينة كلَّهم بما فيهم نساؤهم، و لم يتخلف إلا العجزة و المرضى، و خلت المدينة من أهلها.

و خطب النبيُّ الأكرم صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم عدَّة مرَّات موصياً بأهل البيت و لزوم الرجوع إلى الكتاب و العترة. و بذل قصارى جهده لتمهيد الأرضية للإعلان العامِّ عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. و ما إن حلَّت قافلته غدِير خُمِّ قرب الجُحفة^١، حيث مفترق الطريق التي تؤدِّي إلى المدينة و مصر و الشام، هبط عليه الأمين جبرئيل مرَّة اخرى بهذه الآية: **{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا**

١ الجُحفة: قرية كبيرة ذات منبر على طريق مكة على أربع مراحل. (كانت تقام فيها صلاة الجمعة و الخطبة). و كان اسمها مَهَيْعَة، و سمَّيت الجحفة لأنَّ السَّيْلَ أَجْحَفَهَا. و بينها و بين البحر ستَّة أميال. («مراصد الاطلاع» ج ١، ص ٣١٥) و الغدير ما غودر من ماء المطر في مستنقع صغير أو كبير، غير أنه لا يبقى في القيط. و خُمِّ قَيْل: رَجُل، و قَيْل: غَيْضَة، و قَيْل موضع تصبُّ فيه عين. و قَيْل: بئر قريب من الميثب حفرها مرَّةً بن كَعْب. نسب إلى ذلك غدِير خُمِّ. و هو بين مكة و المدينة. و قَيْل: على ثلاثة أميال من الجحفة. و قَيْل على ميل. و هناك مسجد للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه و آله. («مراصد الاطلاع» ج ١، ٤٨٢).

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ
اللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ} ١.

و أجمع المؤرّخون أنّ هذه الآية نزلت في غدير خمّ في
اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، مع أنهم اختلفوا في اليوم
هل كان الأحد أو الخميس. و في ضوء ما ذكرناه في
المباحث المتقدّمة، فإنّ اليوم لا بدّ من أن يكون يوم
الأحد. ٢.

و هنا يأمر جبرئيل رسول الله أن يتوقّف، و يعرف
عليّاً سيّداً و مولياً و إماماً للخلق. و يبلغ الناس ما بلغه الله
به عن ولاية عليّ عليه السلام. و أنّ عليّاً هو الوليّ و المولى
لجميع الناس، و طاعته واجبة عليهم جميعاً.

و في تلك اللحظات حيث وصل المتقدّمون في
القافلة منطقة الجحفة، و المتأخّرون لم يلحقوا برسول
الله، توقّف النبيّ صلّى الله عليه و آله في الغدير، و أمر أن

١ الآية ٦٧، من السورة ٥: الهائدة.

٢ «حبيب السّير» ج ١، الجزء الثالث، ص ٤١٠.

يرجع المتقدّمون الذين كانوا قد وصلوا إلى الجحفة، و
انتظر المتأخّرين ريثما يلتحقون. و هكذا وقف الجميع. و
كانت هناك خمس شجرات كبيرة متّصلة بعضها مع بعض
و هي من جنس السّمُر،^١ فأمر بكنس ما تحتها و تنظيفه. و
كذلك أمر أن لا ينزل و يجلس تحتها أحد.

ولما التحق جميع الحجّاج بنبيّهم و اجتمعوا معه. و تمّ
تنظيف ذلك المكان. جاء النبيّ الأعظم فاستظلّ
بالأشجار و كانت صلاة الظهر قد حان وقتها. و أمر فجاء
الناس كلّهم و صلّوا معه صلاة الظهر، و كان ذلك اليوم
حارّاً جدّاً بحيث يضع الإنسان بعض رداءه على رأسه و
بعضه تحت قدميه من شدّة الرمضاء.

و ظلّ لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بثوب
على شجرة سمرة من الشمس، و صنّع له منبر من أقتاب
الإبل.

١ السّمُر شجرة من العَصَا، و ليس في العضاء أجود خشباً منه. الواحدة سَمُرَة
و جمعها سَمُرَات.

فلما انصرف صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته،
قام على ذلك المنبر خطيباً وسط القوم، و رفع صوته
بحيث يسمه جميع الناس، فقال:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَ نَسْتَعِينُهُ، وَ نُؤْمِنُ بِهِ، وَ نَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَ
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، الَّذِي لَا
هَادِيَ لِمَنْ ضَلَّ، وَ لَا مُضِلَّ

لِمَنْ هَدَى. وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَ رَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمُرْ
نَبِيًّا إِلَّا مِثْلَ نِصْفِ عُمَرَ الَّذِي قَبْلَهُ! وَ إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَدْعَى
فَأَجِبْتُ! وَ إِنِّي مَسْئُولٌ، وَ أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ: فَمَاذَا أَنْتُمْ
قَائِلُونَ؟!

قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَ نَصَحْتَ وَ جَهَدْتَ!
فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا!

قَالَ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ؛ وَ أَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ؛ وَ نَارَهُ حَقٌّ؛ وَ أَنَّ الْمَوْتَ
حَقٌّ، وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا؛ وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي
الْقُبُورِ؟!

قَالُوا: بَلَى! نَشْهَدُ بِذَلِكَ! قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ!

ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا تَسْمَعُونَ؟!

قَالُوا: نَعَمْ!

قَالَ: فَإِنِّي فَرَطُ عَلَى الْحَوْضِ؛ وَ أَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ
الْحَوْضَ! وَ إِنَّ عَرَضَهُ مَا بَيْنَ صُنْعَاءَ وَ بُصْرَى؛ فِيهِ أَقْدَاحٌ
عَدَدَ النُّجُومِ مِنْ فِضَّةٍ. فَانظُرُوا

كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟!

فَنَادَى مُنَادٍ: وَمَا الثَّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!

قَالَ: الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ؛ طَرَفُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛

وَ طَرَفُ بِأَيْدِيكُمْ؛ فَتَمَسَّكُوا بِهِ لَا تَضِلُّوا! وَالْآخِرُ الْأَصْغَرُ

عِزَّتِي؛ وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا

عَلَيَّ الْحَوْضَ! فَسَأَلْتُ ذَلِكَ لَهْمَا رَبِّي، فَلَا تَقَدِّمُوهُمَا

فَتَهْلِكُوا؛ وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهَا فَتَهْلِكُوا!

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَرَفَعَهَا حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ أَبَاطِئِهَا وَ

عَرَفَهُ الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ.

فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ؟!

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ؛ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ وَأَنَا أَوْلَى

بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ! فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. يَقُولُهَا

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ وَ فِي لَفْظِ أَحْمَدَ إِمَامِ الْحَنَابِلَةِ: أَرْبَعَ مَرَّاتٍ.^١

١ يقول ابن كثير الدمشقي في «البداية و النهاية» ج ٥، ص ٢٠٩: أخرج النسائي في سننه عن محمد بن مثنى، عن يحيى بن حماد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ! وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ! وَ

أَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ!

حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ
مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَ نَزَلَ غَدِيرَ خَمٍّ أَمَرَ بِدَوْحَاتٍ فَقُمِمْنَ ثُمَّ قَالَ: "كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ
فَأَجَبْتُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَ عَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي؛ فَانظُرُوا كَيْفَ
تُخَلَّفُونِي فِيهِمَا فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ مَوْلَايَ وَ أَنَا
وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ
وَالَاهُ؛ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ". فَقُلْتُ لَزَيْدٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَ سَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ فِي الدَّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَاهُ بِعَيْنِيهِ وَ سَمِعَهُ بِأُذُنِيهِ. تَفَرَّدَ
النِّسَائِيُّ بِهَذَا الرَّوَايَةِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَ قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيُّ: هَذَا
حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَأَبْغَضُ مَنْ أَبْغَضَهُ! وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ! وَ اخْذُلْ مَنْ
خَذَلَهُ! وَ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَا! أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ
الْغَائِبَا!

ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقُوا حَتَّى نَزَلَ أَمِينٌ وَحَى اللَّهُ بِقَوْلِهِ:
{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا}.^١

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ
عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَ إِتْمَامِ النُّعْمَةِ وَ رِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَ
الْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي."

ثُمَّ طَفِقَ الْقَوْمُ يُهَيِّئُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِ. وَ مِمَّنْ هَنَأَهُ فِي مُقَدِّمِ الصَّحَابَةِ: الشَّيْخَانِ: أَبُو بَكْرٍ وَ
عُمَرُ؛ كُلُّهُمَا يَقُولُ: بَخٌّ بَخٌّ لَكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ وَ
أَمْسَيْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ!

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَجَبَتْ فِي أَعْنَاقِ الْقَوْمِ. فَقَالَ
حَسَّانٌ: إِذْنًا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَ فِي عَلِيٍّ أَيْبَاتًا
تَسْمَعُهُنَّ! فَقَالَ: قُلْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ!

١ الآية ٣، من السورة ٥: المائدة.

فَقَامَ حَسَّانٌ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ اتَّبِعْهَا قَوْلِي

بِشَهَادَةِ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْوَلَايَةِ مَاضِيَةٍ. ثُمَّ قَالَ:

و لَمَّا أَنْشَدَ حَسَّانُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **يَا حَسَّانُ لَا تَزَالُ مُؤَيِّدًا بِرُوحِ الْقُدْسِ**

مَا نَصَرْتَنَا بِلِسَانِكَ.^١

خطبة أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم

يقول الكاتب العباسي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح

المعروف باليعقوبي: توجه رسول الله صلى الله عليه وآله

١ «تفسير أبي الفتوح الرازي» طبعة مظفري، ج ٢، ص ١٩٣.

من مكة إلى المدينة ليلاً، و وصل مكاناً قرب الجحفة يقال
له: غدير خمّ لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر ذى الحجة:
وَقَامَ خَطِيباً وَ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: "أَلَسْتُ
أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَ آلِ مَنْ وَآلَاهُ، وَ عَادِ
مَنْ عَادَاهُ". ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي فَرَطُكُمْ وَ أَنْتُمْ
وَإِرِدِيَّ عَلَى الْحَوْضِ؛ وَ إِنِّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيَّ عَنِ
الثَّقَلَيْنِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا. وَ قَالُوا: وَ مَا الثَّقَلَانِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ سَبَبَ طَرَفُهُ
بِيَدِ اللَّهِ وَ طَرَفَ بَأَيْدِيكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ وَ لَا تُضِلُّوا وَ لَا
تُبَدِّلُوا؛ وَ عِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي".^١

و نقل الطبري في كتاب «الولاية» عن زيد بن أرقم أنّ
النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم قال في آخر
الخطبة: معاشر الناس! قولوا: أعطيناك على ذلك [أي على
ولاية عليّ بن أبي طالب] عهداً عن أنفسنا؛ و ميثاقاً

١ «تاريخ اليعقوبي» ج ٢، ص ١١٢، طبعة بيروت، سنة ١٣٧٩ هـ.

بألسنتنا؛ و صفقة بأيدينا؛ نوّديه إلى أولادنا و أهالينا؛ لا
نبغي بذلك بدلاً؛ و أنت شهيدٌ علينا! و كفى بالله شهيداً.
[أيها الناس] قولوا ما قلت لكم؛ و سلّموا على عليّ
بأمره المؤمنين! و قولوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ
مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}.^١ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ
صَوْتٍ وَ خَائِنَةَ كُلِّ نَفْسٍ؛

{فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.^٢ قولوا ما
يرضى الله عنكم {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ}.^٣
قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم:
سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ بِقُلُوبِنَا.^٤

١ الآية ٤٣، من السورة ٧: الأعراف.

٢ الآية ١٠، من السورة ٤٨: الفتح.

٣ الآية ٧، من السورة ٣٩: الزمر.

٤ «الغدِير» ج ١، ص ٢٧٠، عن محمد بن جرير الطبريّ في كتاب «الولاية». و
عن أحمد بن محمد الطبريّ الخليليّ في كتاب «مناقب عليّ بن أبي طالب» تأليف
سنة ٤١١ في القاهرة.

ثمّ جلس رسول الله في خيمة تخصّه؛ و أمر أمير المؤمنين أن يجلس في خيمة اخرى؛ و أمر طبقات الناس أن يذهبوا إلى خيمته و يهنئوه.

و لما فرغ الناس من تهنئة أمير المؤمنين، أمر رسول الله امّهات المؤمنين بأن يسرن إليه و يهنئنه ففعلن.

وَمَنْ هُنَّاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: هَنِئِئاً
لَكَ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى جَمِيعِ
الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ.^١

و تقدّم الناس إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و
بايعوه أميراً للمؤمنين، و هناؤه بقولهم: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ و مدّوا أيديهم بحيث كانت أيماهم تصافق
يمينه.

و جاء في كتاب «مناقب عليّ بن أبي طالب» للخليليّ
الطبريّ: و كان أوّل من بايع و صافق: أبو بكر، و عمر، و
طلحة، و الزبير؛ ثمّ باقي المهاجرين و الناس على طبقاتهم
و مقدار منازلهم إلى أن صلّيت الظهر و العصر في وقت
واحد. و المغرب و العشاء في وقت واحد. و لم يزالوا
يتواصلون البيعة و المصافحة ثلاثاً.

١ «روضة الصفا» الطبعة الحجرية، الجزء الثاني، واقعة حجّة الوداع؛ و «حبيب
السير» ج ١، الجزء الثالث، ص ٤١١؛ و «الغدِير» ج ١، ص ٢٧١ عن مولوي
وليّ الله لكهنوي في كتاب «مرآة المؤمنين».

و رسول الله كَلَّمَا بَايَعَهُ فُوجٌ بَعْدَ فُوجٍ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ. و [من هنا] صارت

المصافقة و المصافحة سنة و رسماً؛ و استعملها من ليس

له حقُّ فيها.^١

يقول أبو سعيد الخُدريّ: و الله لم نترك الغدير بعد

حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ: {الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَاْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَاَرْضِيْتُ لَكُمْ

الْإِسْلَامَ دِينًا}.^٢

الحديث المروي عن علماء العامة في كتاب «النشر و الطي»

و ذكر المجلسي رضوان الله عليه في الفصل الخاصّ

بالروايات

١ «الغدير» ج ١، ص ٢٧٠ و ٢٧١؛ و نقل هذا الموضوع أيضاً عن كتاب

«النشر و الطي». و جاء ذيل الرواية الواردة، في «الاحتجاج» ج ١، ص ٨٤.

٢ «تفسير أبي الفتوح» طبعة مظفري، ج ٢، ص ١٩٣ و ١٩٤.

المأثورة في الغدير عن مناوئي الشيعة من الموثوقين الذين يعول عليهم مواضيع ملحقه بخطبة الغدير عن كتاب «النشر و الطي» وقال: صاحب هذا الكتاب جعل كتابه حجة ظاهرة على ولاية عليّ باتفاق العدو و الولي. و حمل به نسخة إلى الملك شاه مازندران رستم بن علي لما حضر بالري هدية له.

و روى في ذلك الكتاب بسنده المتصل عن عطية السعديّ قال: سألت حذيفة بن اليمان عن الغدير؛ فقال: إن الله أنزل على نبيّه (في المدينة) **أولاً** قوله:

{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ} ١.

فقالوا: يا رسول الله، ما هذه الولاية التي أنتم بها أحقّ منا بأنفسنا؟!

فقال رسول الله: **"السَّمْعُ وَ الطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَ**

كَرِهْتُمْ".

١ قسم من الآية ٦، من السورة ٣٣: الأحزاب.

فقالوا: سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَ

اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُم بِهِ إِذْ

قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ}.^١

يقول حذيفة: فخرجنا من المدينة مع رسول الله في

حجّة الوداع. و عند ما وصلنا إلى مكّة، نزل جبرئيل و

قال: يا محمّد! إنّ ربّك يقرؤك السلام؛ و يقول: إنصب

عليّ علماً للناس! فبكى النبيّ، حتّى اخضلت لحيته؛ و قال:

يا جبرئيل! إنّ قومي حديثو عهد بالجاهليّة. ضربتهم على

الدين طوعاً و كرهاً حتّى انقادوا لي؛ فكيف إذا حملت على

رقابهم غيري؟

١ الآية ٧، من السورة ٥: المائدة.

فصعد جبرئيل .

و نقل صاحب كتاب «النَّشْرُ وَ الطَّيِّ» هنا قِصَّةَ مَجِيءِ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى مَكَّةَ؛ وَ قِصَّةَ التَّصَدَّقِ بِالْخَاتَمِ

وَ نَزُولِ الْآيَةِ: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} بِنَحْوِ مَفْصَلٍ إِلَى أَنْ

بَلَغَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ فِي مَنَى، وَ قَدْ نَقَلَهُ عَنْ شَخْصٍ آخَرَ

غَيْرِ حُذَيْفَةَ، وَ فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ بِمَنَى:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا

لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَ عِرَّتِي أَهْلَ بَيْتِي؛ وَ إِنَّهُ قَدْ نَبَّأَنِي

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

كَأَصْبَعِي هَاتَيْنِ - وَ جَمَعَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ - أَلَا فَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِمَا

فَقَدْ نَجَا؛ وَ مَنْ خَالَفَهُمَا فَقَدْ هَلَكَ. أَلَا هَلْ بَلَغْتُ أَيُّهَا

النَّاسُ؟" قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ!

ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ «النَّشْرِ وَ الطَّيِّ»: فَلَمَّا كَانَ فِي

آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ (الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ ذِي

الْحِجَّةِ) أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي. فَجَاءَ إِلَى مَسْجِدِ الْخَيْفِ

فدخله و نادي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فاجتمع الناس؛ فحمد

الله و أثنى عليه، و ذكر خطبته؛ ثم قال فيها:

"أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: الثَّقْلُ الْأَكْبَرُ

كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ طَرَفٌ بِيَدِ اللَّهِ؛ وَ طَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ

فَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ وَ الثَّقْلُ الْأَصْغَرُ عِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُ قَدْ نَبَّأَنِي

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

كَأَصْبَعِي هَاتَيْنِ - وَ جَمَعَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ - وَ لَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ -

وَ جَمَعَ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ وَ الْوُسْطَى - فَتَفْضَلْ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ.

قال مصنّف كتاب «النَّشْرُ وَ الطَّيِّبُ» [و بعد أن استمع

جماعة إلى هذه الخطبة]: فاجتمع قومٌ و قالوا: يريد محمّد

صلّى الله عليه و آله و سلّم أن يجعل الإمامة في أهل بيته، و

خرج منهم أربعة [من منى]؛ و دخلوا إلى

مكة؛ و دخلوا الكعبة؛ و كتبوا فيما بينهم عهداً إن مات

مُحَمَّدٌ أَوْ قَتَلَ؛ لَا يَرُدُّ هَذَا الْأَمْرَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

{أُمُّ أَبْرَمُوا أُمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ* أُمُّ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا

نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلَى وَ رُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}.^١

وهنا قال المجلسي الكلام التالي بوصفه جملة

اعتراضية: «انظر هذا التدرج من النبي صلى الله عليه و

آله و سلم؛ و التلطف من الله في نصه على مولانا أمير

المؤمنين صلوات الله عليه؛ فأولاً أمره بالمدينة، قال

سبحانه: {وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ

اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ}؛ فنص على أن الأقرب

إلى النبي أولى به من المؤمنين و المهاجرين. فعزل جل

جلاله عن هذه الولاية المؤمنين و المهاجرين، و خص

بها اولي الأرحام من سيد المرسلين.

ثم انظر كيف نزل جبرئيل بعد خروجه إلى مكة

بالتعيين على علي؛ فلما راجع النبي و أشفق على قومه من

حسداهم لعلي عليه السلام؛ كيف عاد الله جل جلاله

١ الآية ٧٩ و ٨٠، من السورة ٤٣: الزخرف.

فأنزل: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ}؛ و كشف عن عليّ

بذلك الوصف!

ثمّ انظر كيف مال النبيّ إلى التوطئة بذكر أهل بيته

بمنى؛ ثمّ أعاد ذكرهم في مسجد الخيف.

ثمّ ذكر صاحب كتاب «النَّشْرُ وَالطَّيِّبُ» توجّه رسول

الله من مكّة إلى المدينة؛ و رجع رسول الله صلّى الله عليه

و آله و سلّم لله سبحانه و تعالى مرّةً بعد مرّة؛ و تکرّر من

الله [الوحي] إلى رسول الله في ولاية عليّ. قال حذيفة: و

أذن النبيّ بالرحيل نحو المدينة؛ فارتحلنا. فنزل جبرئيل

بِضْجَانٍ؛ وَ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ بِالْإِعْلَانِ عَنِ وِلَايَةِ عَلِيٍّ؛
وَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ
الْجُحْفَةَ؛ فَلَمَّا نَزَلَ الْقَوْمُ وَ أَخَذُوا مَنَازِلَهُمْ [بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ،
أَلْقَى تِلْكَ الْخُطْبَةَ الرَّائِعَةَ الْغُرَاءَ حَوْلَ الْوِلَايَةِ].

وَ يَبَيِّنُ الْخُطْبَةَ هُنَا مَفْصَّلاً؛ وَ يَذْكَرُ فِي ذَيْلِهَا عَهْدَ النَّاسِ
وَ بِيَعْتَهُمْ.^١

الحديث المروي في كتاب «الاحتجاج» حول إكمال الدين بالحج والولاية

وَ يَرُوي الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو مَنْصُورٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبِ الطَّبْرَسِيِّ^٢ فِي كِتَابِ «الاحتجاج» بِسَنَدِهِ الْمُتَّصِلِ
عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَضْرَمِيِّ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ

١ «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٠٣ إلى ٢٠٥. طبعة الكمباني.

٢ الطَّبْرَسِيُّ (بفتح الطاء و الباء): أَبُو مَنْصُورٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبِ صَاحِبِ
كِتَابِ «الاحتجاج» مِنْ أَهْلِ سَارِي، إِحْدَى مَدَنِ مَازَنْدَرَانَ، كَمَا أَنَّ تَلْمِيذَهُ مُحَمَّدَ
بْنَ عَلِيٍّ بْنَ شَهْرَآشُوبِ السَّرَوِيِّ الْمَازَنْدَرَانِيَّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٨ هـ مَنْسُوبٍ إِلَى
سَارِي؛ كَانَ يَعِيشُ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ. وَ كَانَ مُعَاصِراً لِأَبِي
الْفَتْوحِ الرَّازِيِّ، وَ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرَسِيِّ (بفتح الطاء و سكون الباء و كسر
الراء) صَاحِبِ «مَجْمَعِ الْبَيَانِ» وَ لَقَبَهُ تَعْرِيبَ لـ (تَفْرِيش). وَ يَرُوي صَاحِبِنَا عَنْ
الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ بِوَأَسْطِنَتَيْنِ، وَ عَنِ الشَّيْخِ الصَّدُوقِ بَعْدَ مَنْ الْوَسَائِطِ. وَ يَنْقُلُ
الشَّهِيدَ الْأَوَّلَ فِي «غَايَةِ الْمَرَادِ» فَتَاوَاهُ وَ أَقْوَالَهُ كَثِيراً. كِتَابُهُ: «الاحتجاج على أهل
اللبجاج» كِتَابٌ جَلِيلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَعْتَمَدٌ عَلَيْهِ كَثِيراً.

السلام: أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حج من المدينة؛ وقد بلغ جميع الشرائع قومه غير الحج والولاية. فأتاه جبرئيل فقال له: يا مُحَمَّد، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ يُقْرَأُ بِاسْمِكَ السلام؛ ويقول لك: إني لم أقبض نبياً من أنبيائي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجتي.

وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما تحتاج أن تبلغهما قومك: فريضة الحج، و فريضة الولاية و الخلافة من بعدك. فإني لم اخل أرضي من حجة ولن اخلها أبداً.

فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَبْلُغَ قَوْمَكَ الْحَجَّ؛ وَتَحْجَّ.

وَيَحْجَّ مَعَكَ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِنْ أَهْلِ الْخَضِرِ، وَ
الْأَطْرَافِ، وَ الْأَعْرَابِ. وَ تَعَلَّمَهُمْ مِنْ مَعَالِمِ حَجِّهِمْ؛ مِثْلَ
مَا عَلَّمْتَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَ زَكَاتِهِمْ وَ صِيَامِهِمْ! وَ تَوْقَفَهُمْ
مِنْ ذَلِكَ عَلَى مِثَالِ الَّذِي أَوْقَفْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ مَا بَلَّغْتَهُمْ
مِنَ الشَّرَائِعِ!

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ؛ وَ
خَرَجَ مَعَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ. وَ بَلَغَ مِنْ حَجِّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
سَبْعِينَ أَلْفَ إِنْسَانَ أَوْ يَزِيدُونَ عَلَى نَحْوِ عَدَدِ أَصْحَابِ
مُوسَى السَّبْعِينَ أَلْفَ الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمْ بَيْعَةَ هَارُونَ فَنَكثُوا
وَ اتَّبَعُوا الْعِجْلَ وَ السَّامِرِيَّ.

وَ كَذَلِكَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْبَيْعَةَ
لِعَلِيِّ بِالْوِلَايَةِ وَ الْخِلَافَةِ عَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ مُوسَى، فَنَكثُوا
وَ اتَّبَعُوا الْعِجْلَ وَ السَّامِرِيَّ سُنَّةَ بَسُنَّةٍ وَ مِثْلًا بِمِثْلِ. وَ
اتَّصَلَتْ تَلْبِيَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَى الْحَجِّ مَا بَيْنَ
مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةَ.

و نادى منادي رسول الله في المدينة أن يا أيها الناس!
إن رسول الله يريد الحج، و يريد في سفره هذا أن يطلعكم
على ما لم يطلعكم عليه من قبل! و يعلمكم شرائع الحج و
يوقفكم عليها في ضوء النهج الذي علمكم سائر شرائع
الدين من خلاله!

و لما وقف رسول الله في الموقف؛ أتاه جبرئيل عن
الله عزّ و جلّ فقال: يا محمد! إن الله يقرؤك السلام؛ و
يقول لك: إنّه قد دنا أجلك و مدّتك؛ و أنا مستقدمك على
ما لا بدّ منه، و لا عنه محيص!

فاعهد عهدك! و قدّم وصيّتك؛ و اعمد إلى ما عندك
من العلم و ميراث علوم الأنبياء من قبلك و السلاح و
التابوت (صندوق العهد)، و جميع ما عندك من آيات
الأنبياء فسلمه إلى وصيّك و خليفتك من بعدك؛ حجّتي
البالغة على خلقي عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فأقمه
للناس علماً!

و جدد عهده و ميثاقه و بيعته!

و ذكر الناس ما أخذت عليهم من بيعتي و ميثاقي
الذي واثقتهم؛ و عهدي الذي عهدت إليهم: من ولاية
وليي و مولاهم، و مولى كل مؤمن و مؤمنة علي بن أبي
طالب عليه السلام.

فإني لم أقبض نبياً من الأنبياء، إلا من بعد إكمال ديني،
و حجتي، و إتمام نعمتي باتباع وليي و طاعته. و ذلك أني
لا أترك أرضي بغير ولي و قيم، ليكون حجة لي على خلقي.

"فَالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ

رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا بِوِلَايَةِ وَلِيِّي؛ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ

وَ مُؤْمِنَةٍ عَلَيَّ عَبْدِي؛ وَ وَصِيي نَبِيِّ؛ وَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ، وَ

حُجَّتِي الْبَالِغَةَ عَلَى خَلْقِي؛ مَقْرُونٌ طَاعَتُهُ بِطَاعَتِ مُحَمَّدٍ

نَبِيِّ، وَ مَقْرُونٌ طَاعَتُهُ مَعَ طَاعَةِ مُحَمَّدٍ بِطَاعَتِي؛ مَنْ أَطَاعَهُ

فَقَدْ أَطَاعَنِي؛ وَ مَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَانِي؛ جَعَلْتُهُ عَلَمًا بَيْنِي وَ

بَيْنَ خَلْقِي؛ مَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِنًا؛ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ كَانَ كَافِرًا؛ وَ

مَنْ أَشْرَكَ بَيْعَتَهُ كَانَ مُشْرِكًا؛ وَ مَنْ لَقِينِي بِوِلَايَتِهِ دَخَلَ

الْجَنَّةَ، وَ مَنْ لَقِينِي بِعَدَوَاتِهِ دَخَلَ النَّارَ.

فَأَقِمْ يَا مُحَمَّدٌ عَلِيًّا؛ وَخُذْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ؛ وَجَدِّدْ عَهْدِي
وَ مِيثَاقِي لَهُمُ الَّذِي وَاثَقَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَإِنِّي قَابِضُكَ إِلَيَّ وَ
مُسْتَقْدِمُكَ عَلَيَّ!"

فخشي رسول الله صَلَّى الله عليه و آله من قومه و أهل
النفاق و الشقاق أن يتفرَّقوا؛ و يرجعوا إلى الجاهليَّة؛ لما
عرف من عداوتهم؛ و لما تنطوي عليه أنفسهم لعلِّي من
العداوة و البغضاء.

و سأل جبرئيل أن يسأل ربَّه العصمة من الناس. و
انتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس عن الله جلَّ
اسمه.

فآخر ذلك إلى أن بلغ مَسْجِدَ الْخَيْفِ؛ فَاتَاهُ جَبْرَائِيلُ
فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَعْهَدَ عَهْدَهُ وَ يَقِيمَ عَلِيًّا عَلِمًا لِلنَّاسِ يَهْتَدُونَ بِهِ؛
و لم يأتَه بالعصمة من الله بالذي

أراد حتى بلغ كُرَاعَ الغَمِيمِ^١ بين مكة و المدينة؛ فأتاه
جبرئيل و أمره بالذي أتاه فيه من قبل الله و لم يأتَه
بالعصمة.

فقال رسول الله: يا جبرئيل إنني أخشي قومي أن
يكذبوني؛ و لا يقبلوا قولي في عليّ - و قد علمنا أنه كان قد
طلب من جبرئيل نزول آية العصمة، و آخر جبرئيل
ذلك - فرحل النبي، فلما بلغ غدير خمّ قبل الجحفة بثلاثة
أميال؛ أتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النهار
بالزجر و الانتهار و العصمة من الناس، فقال: يا مُحَمَّدُ! إنَّ
الله عزّ و جلّ يقرؤك السلام، و يقول لك: {يا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}.

١ يقول صاحب «مراصد الاطلاع» ج ٣، ص ١١٥٣: كُرَاعُ الغَمِيمِ موضع
بالحجاز بين مكة و المدينة أمام عَسْفَانَ بثمانية أميال. و هذا الكراع جبل أسود
في طرف الحرّة يمتد إليه.

و كان أوائلهم قريبين من الجحفة؛ فأمر النبي بأن يُردَّ
من تقدّم منهم؛ و يُجس من تأخر عنهم في ذلك المكان
ليقيم علياً علماً للناس، و قد عصمه الله من الناس.

و نادى منادٍ من قبل رسول الله: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. و
تنحّي عن يمين الطريق إلى المكان الذي بنوا فيه مسجد
الغدِير فيما بعد. و أمر النبي أن يكنس ما تحت الأشجار،
و ينصب له منبراً من الحجارة؛ و صعد المنبر و بدأ بإلقاء
خطبته.

هذه الخطبة مفصلة للغاية. و بعد أن حمد الله سبحانه
و تعالى و أثنى عليه، تحدّث بنحو شافٍ و وافٍ، فدلّ على
حقيقة الدين و روح الإيمان؛ و استشهد بآيات القرآن
دليلاً على كلامه. و تكلم بالتفصيل عن الولاية و روح
الإمامة؛ و عدم انفصالها عن القرآن الكريم. و خاطب
الناس بقوله:

مَعَاشِرَ النَّاسِ فِي أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا، وَبِقَوْلِهِ: أَيُّهَا
النَّاسُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؛ وَأَخَذَ مِنْهُمْ إِقْرَارَهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ؛
وَحَاجَّتَهُمْ، بِحَيْثُ أَقْرَأَهُ الْجَمِيعَ وَاعْتَرَفُوا.
وَ قَدْ أَحْجَمْنَا هُنَا عَنْ ذِكْرِ خُصُوصِيَّاتِ تِلْكَ الْخُطْبَةِ
مِرَاعَاةً لِلْإِيجَازِ؛ وَ لِلرَّاعِيْنَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى كِتَابِ
«الاحتجاج» للطبرسي، طبعة النجف ج ١، من ص ٦٦
إلى ٨٤؛ أو إلى «بحار الأنوار» طبعة الكمباني ج ٩، من ص
٢٢٤ إلى ٢٢٨.

يقول المجلسي بعد نقل هذه الخطبة: جاء في كتاب
«كشَفُ اليَقِينِ» عن أحمد بن محمد الطبري من علماء
المخالفين أنه روى هذا الخبر كله في كتابه عن محمد بن
أبي بكر بن عبد الرحمن، عن الحسن بن علي بن أبي محمد
الدينوري، عن محمد بن موسى الهمداني.

و روى أكثر هذه الخطبة مما يتعلق بالنص و الفضائل
مؤلف كتاب «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» عن محمد بن جرير
الطبري في كتاب «الوَلَايَةِ» بإسناده إلى زيد بن أرقم؛ و

روى هذه الخطبة كلّها الشَّيْخ عَلِيُّ بن يُوْسُف بن المُطَهَّر
الحِلِّيُّ، عن زيد بن أرقم.^١

و ذكر صاحب «الاحتجاج» أيضاً عن الإمام الصادق
عليه السلام أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله لَمَّا فرغ من
هذه الخطبة، رأى الناس رجلاً جميلاً بهياً طيبَ الريح،
فقال: تالله ما رأيت كالיום قطّ، ما أشدّ ما يؤكّد لابن عمّه،
وإنّه لعقد له عقداً لا يحلّه إلّا كافر بالله العظيم و برسوله
الكريم؛ ويُلّ طويل لمن حلّ عقده.

قال و التفت عُمر بن الخطّاب [إلى النبيّ الأكرم] حين

سمع كلامه

١ «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٢٨. طبعة الكمباني.

فأعجبه هيئته، ثم التفت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

و قال: أ ما سمعت ما قال هذا الرجل قال كذا و كذا؟!!

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عمر! أتدري مَنْ

ذلك الرجل؟! قال [عمر]: لا! فقال النبي: ذلك الروح

الأمين جبرئيل. فَإِيَّاكَ أَنْ تَحْلَّ [العقد مع علي!] فَإِنَّكَ إِنْ

فعلت، فالله و رسوله و ملائكته و المؤمنون منك براء.^١

شأن نزول الآية: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

يقول أبو الفتوح الرازي في تفسيره: نقل أبو إسحاق

الثَّعْلَبِيُّ الْمُفَسِّرُ إِمَامَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فِي تَفْسِيرِهِ الَّذِي

سَمَّاهُ «الْكَشْفُ وَ الْبَيَانُ» أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ سُئِلَ عَنْ شَأْنِ

نَزْوِلِ الْآيَةِ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} ^٢ فِيمَنْ نَزَلَتْ؟!!

فقال سفيان للسائل: سألتني عن مسألة ما سألتني

أحد عنها قبلك!

١ «الاحتجاج» للطبرسي، ج ١، ص ٨٤؛ طبعة النجف الأشرف؛ و «بحار

الأنوار» ج ٩، ص ٢٢٨ طبعة الكمباني.

٢ الآية ١، من السورة ٧٠: المعارج.

حدّثني أبي، عن أبي جعفر: محمّد بن عليّ، عن آبائه

صلوات الله^١

عليهم أنّه لما بلغ رسول الله غدير خمّ، أخبر الناس؛

فاجتمعوا، وأخذ بيد عليّ و قال: **"مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ"**

١ في نسخة «فرائد السمطين» ج ١، ص ٨٢، باب ١٥، إذ تنقل هذه الرواية عن الثعلبيّ، يُسند هذه الرواية إلى سفيان بن عُيينة عن الإمام الصادق عليه السلام بدون ذكر أبيه: عُيَيْنَةُ. و يبدو أنّ هذا هو الصحيح، لأنّ المجلسيّ رضوان الله عليه الذي أخرج هذه الرواية في «بحار الأنوار» طبعة كمباني، ج ٩، ص ٢١٦ و ٢١٧ عن «تفسير فرات بن إبراهيم» عن «تفسير الثعلبيّ»، أخرجها عن سفيان، عن الإمام الصادق عليه السلام. و لو قال أحد: فما هو الإشكال الذي يترتّب على ذلك سواء رواها سفيان عن الصادق عليه السلام بلا واسطة، أو رواها عن الباقر عليه السلام بواسطة أبيه؟ فهما روايتان لا تنافي بينهما؛ و قد رويت في «تفسير أبي الفتوح» بسند، و في «تفسير فرات بن إبراهيم» بسند آخر. و نقول في الجواب: لم يرد في كتب الرجال و منها: «معجم رجال الحديث» ج ٨، ص ١٥٩، رقم ٥٢٣٧؛ و ج ١٣، ص ٢٣٩، رقم ٩٢٥١ و ٩٢٥٢؛ و «تنقيح المقال» للمامقانيّ ج ٢، ص ٣٩ و ٤٠؛ و كذلك في ص ٣٦٤ أنّ أبا سفيان: عُيَيْنَةُ بن ميمون أبو عمران من أصحاب الباقر عليه السلام. يضاف إلى ذلك أنّ رجال العلم رووا هذه الرواية في تفاسيرهم عن تفسير الثعلبيّ لا عن مصادر مختلفة، و هي ليست أكثر من رواية واحدة. و احتمال الرواية عن الباقر عليه السلام ليس أكثر من مجرد فرض، و لا يبعث هذا على تعدّد الرواية. و مصدر هذه الرواية الذي ذكره كثير من علماء الشيعة و العامّة في تفاسيرهم كتبهم في المناقب هو «تفسير الثعلبيّ» فقط كما جاء في تفسير «مجمع البيان» الذي ستعرّض له لاحقاً، و الرواية الواردة فيه رواية واحدة لا غير.

مَوْلَاهُ". فشاع هذا الخبر و طار في الأمصار، و مَنْ بلغهم

هذا الخبر: الحارثُ بنُ النُّعْمَانِ الفَهْرِيِّ.

فركب ناقته، و توجه إلى رسول الله، فجاء حتّى وصل إلى العسكر؛ نزل من ناقته ثمّ عقلها؛ و وجّه وجهه نحو خيمة رسول الله؛ و كان رسول الله جالساً مع المهاجرين و الأنصار.

فقال: يا محمّد! جئتنا و قلت لنا: اتركوا أهتكم الثلاثمائة و الستّين؛ و قولوا: الله واحد! فقلنا. و قلت: قولوا: أنا رسول الله! و نحن قلنا أيضاً. و أمرتنا أن نصلي في اليوم و الليلة خمس صلوات! فقبلنا ذلك. و أمرتنا أن نصوم! فقبلنا. و أمرتنا أن نزكي أموالنا فقبلنا! و أمرتنا أن نحجّ البيت؛ فرضينا؛ و أمرتنا بالجهاد؛ فقبلنا.

ثمّ لم ترض بذلك كلّه حتّى رفعت بضبع^١ ابن عمّك فرفعتّه و فضلتّه علينا، فقلت: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ! فهذا شيءٌ منك أم من الله!؟

١ الضُّبْعُ: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها.

فقال رسول الله: **وَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ هَذَا مِنْ**

اللّٰهِ.

و لما سمع الحارث ذلك، ولى نحو ناقته و هو يقول:

{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بَعْدَابٍ أَلَيْمٍ}.^١

فما إن أتمّ كلامه حتّى نزل حجر من السماء، فوقع على

رأسه، فقتله في مكانه، و أنزل الله تعالى هذه الآية: {سَأَلَ

سَائِلٌ بَعْدَابٍ وَقِيعٌ • لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ • مِنَ اللَّهِ

ذِي الْمَعَارِجِ}.^٢ فقد أرسل الله رحمته، و هذا الرجل

طلب العذاب؛ ف قيل له: لما كانت الرحمة لا تنفك، فليس

لأحد أن يدفع عنك العذاب. {مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ}.

١ الآية ٣٢، من السورة ٨: الأنفال.

٢ «تفسير أبي الفتوح الرازي» ج ٢، ص ١٩٤، طبعة مظفري؛ و «تفسير

القرطبي» ج ١٨، ص ٢٧٨ و ٢٨٨؛ و «تذكرة خواص الامّة» ص ١٩؛ و

«فرائد السمطين» ج ١، الباب ١٥، ص ٨٢ و ٨٣؛ و «نظم درر السمطين» ص

٩٣؛ و «السيرة الحلبية» طبعة سنة ١٣٥٣ هـ، ج ٣، ص ٣٠٨ و ٣٠٩؛ و «تفسير

المنار»، ج ٦، ص ٤٦٤؛ و تفسير «الميزان» ج ١٩، ص ٧٩؛ و «غاية المرام» ج

٢، ص ٣٩٧، الباب ١١٧، حديثان عن طريق العامة، و في ص ٣٩٨ الباب

١١٨ ستة أحاديث عن طريق الخاصة؛ و «الفصول المهمة» لابن صباغ المالكي،

الطبعة الحجرية ص ٢٦ و ٢٧، و طبعة النجف، ص ٢٤.

و لقد أرسلتُ و لآية جعلتُ فيها كمال الدين و تمام النعمة
{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.

و ذكر الشيخ الطبرسيّ هذا الحديث و شأن نزول الآية
في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بنفس الطريقة مع
اختلاف و ذلك في تفسير «مجمع البيان» بسنده المتّصل
عن الحاكم أبي القاسم الحسكانيّ حتّى يصل إلى سُفيان بن
عُيينة. إلّا أنه أولاً: يسند الحديث إلى الإمام جعفر بن محمّد
الصادق؛ لا الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه
السلام.

و ثانياً: إن السائل عنده هو النُّعمانُ بنُ الحرثِ الفهريّ

لا الحارث بن

النُّعْمَانُ. غير أنه قال في بداية حديثه: وقيل: إنَّ القائل

هو النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ.^١

و ذكر المجلسي هذه الرواية في «البحار» عن «تفسير

فرات بن إبراهيم»؛ و كذلك عن «طرائف السيّد بن

طاووس»، عن الثعلبي، و عن كتاب «كَنْزِ جَامِعِ الْفَوَائِدِ»

عن محمّد بن عبّاس بسنده عن سفيان بن عيينه أيضاً؛ ثمّ

قال [صاحب «الكنز»] أروي هذا الحديث بسند آخر عن

أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام هكذا]:

تلا الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية: {سَأَلَ

سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ «بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ» لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ}

ثمّ قال: هكذا في مصحف فاطمة.

و روى البرقي عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي

بصير، عن أبي عبد الله (الصادق) أنه قال: "هَكَذَا وَ اللَّهُ

أَنْزَلَهَا جَبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِيِّ، وَ هَكَذَا هُوَ مُثَبَّتٌ فِي مُصْحَفِ

فَاطِمَةَ".^٢

١ «مجمع البيان» طبعة صيدا، ج ٥، ص ٣٢٥.

٢ «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢١٦ و ٢١٧.

و أخرج المجلسي أيضاً حديثين آخرين عن «تفسير
فُرات بن إبراهيم» في شأن نزول الآية: {سَأَلْ سَائِلٌ}، إذ
نزلت في الأعرابي الذي طلب العذاب لِمَا سمعه من ولاية
على بن أبي طالب؛ الأوّل: ذكر الحديث مُعنعناً عن أبي
هريرة؛ و الثاني: عن جعفر بن محمّد بن بشرويه القطان
مُعنعناً عن الأوزاعي، عن صَعْصَعَةَ بن صُوحان، و
الأحنف بن قيس، قالوا جميعاً: سمعنا عن ابن عباس
يقول: كنّا مع رسول الله إذ دخل علينا ذلك السائل؛ ثمّ
ذكر القضية كلّها.^١

و في كتاب «الغدير» عند ما ينقل هذه الرواية عن أبي
إسحاق الثعلبي، فإنّه ينقلها بنفس الألفاظ التي أتينا بها
عن «تفسير أبي الفتوح» تقريباً؛ مع هذا الفارق و هو أنه
أوّلاً: ينقل الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، و ثانياً
يقول: توجّه الحرثُ بنُ النُّعْمَان نحو رسول الله حتّى أتى

١ نفس المصدر السابق.

الأبطح. ^١ و كلمة الأبطح غير موجودة في رواية أبي الفتوح.

يضاف إلى هذه الرواية أنه يذكر ثلاثين نصاً في شأن نزول الآية عن تفاسير أهل السنة و كتب تراجمهم و مناقبهم. ^٢ و من ذلك يقول بأن السائل في رواية الحافظ أبي عبيد الهروي في تفسير «غريب القرآن» هو جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي.

و يقول في الهامش: لا يبعد أن يكون السائل جابر بن النضر [بن الحارث] و إن ذكر الثعلبي الذي نقل عنه أكثر العلماء أنه الحارث بن النعمان الفهري - حيث إن جابراً قتل أمير المؤمنين عليه السلام والده النضر [بن الحارث]، صبراً بأمر من رسول الله صلى الله عليه و آله لما أسر يوم بدر الكبرى. و كان الناس حديثي عهد بالكفر، [و لم يتمكن الإيمان من قلوبهم]؛ و من جرّاء ذلك كانت

١ «الغدير» ج ١، ص ٢٤٠ طبعة الآخوندي. مطبعة الحيدري، طهران.

٢ المصدر السابق، ص ٢٣٩ إلى ٢٤٦.

البغضاء محتدمةً بينهم على الأوتار الجاهليّة، [وهي التي
دفعت جابراً أن يقول ما قاله ثاراً لدم أبيه].^١

أقول: يؤيد هذا الكلام أنّ الشخص في «تفسير أبي
الفتوح» هو النضر بن الحارث بن كلدة كما رأينا. و من
المؤكّد أنه ليس النضر نفسه، بل جابراً. ولّمّا كانوا يدعون
الأبناء بأسماء آبائهم غالباً، فلهذا ذكروا على

^١«نفس المصدر السابق».

أنه النضر.

و فيما يلي نتحدّث عن قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } من حيث شأن النزول، و

من حيث الدلالة؛ ثم نعرّج على حديث غدير خمّ: مَنْ

كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ من حيث السند و الدلالة. ذلك

أنّ هذين البحثين: أعني: شأن نزول الآية بلّغ، و حديث

الولاية مستقلان بعضهما عن بعض و لا ترابط بينهما.

أمّا في شأن نزول آية التبليغ، فقد روى صاحب كتاب

«غاية المرام» ثمانية أحاديث عن طريق الخاصّة، و تسعة

أحاديث عن طريق العامّة.^١

و من حيث الكتب الروائيّة و التفسيرية و التاريخيّة

لأصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم فلا خلاف بينهم في

أنّ الآية نزلت في ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام و

هو أمر متسالم عليه فيما بينهم؛ و نقل هنا عدداً من

الروايات عن بعض مصادرهم الروائيّة؛ يتلو ذلك

الروايات الواردة في كتب العامّة.

١ «غاية المرام»، ص ٣٣٤ إلى ٣٣٦.

فقد روى مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ عن مُحَمَّدِ بْنِ
يَحْيَى، عن أحمد بن محمد، و محمد بن الحسين جميعاً؛ عن
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عن منصور بن يونس، عن أبي
الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام [أن أبا الجارود] قال:
سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

فرض الله عزّ وجلّ على العباد خمساً، أخذوا أربعاً؛ و
تركوا واحداً!

قلتُ: أتسميهم لي جعلت فداك؟!

فقال: الصلاة و كان الناس لا يدرون كيف يصلّون؛
فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا مُحَمَّدُ أخبرهم بمواقيت
صلاتهم!

ثم نزلت الزكاة؛ فقال: يا محمد! أخبرهم من زكاتهم!
ما أخبرتهم من صلاتهم! ثم نزل الصوم، فكان رسول الله
صلى الله عليه وآله إذا كان يوم عاشوراء، بعث إلى ما
حوله من القرى، فصاموا ذلك اليوم، فنزل الصوم في شهر
رمضان بين شعبان و شوال.

ثم نزل الحج؛ فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال:
أخبرهم من حجهم! ما أخبرتهم من صلاتهم و زكاتهم و
صومهم!

ثم نزلت الولاية و إنما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة،
أنزل الله عزّ و جلّ هذه الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}؛ و كان كمال الدين
بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله [و هو
يتحدّث مع نفسه]: أمّتي حديثو عهد بالجاهليّة. و متى
أخبرتهم بهذا في ابن عمّي [عليّ]، يقول قائل؛ و يقول قائل
آخر - فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني -.

فأتتني عزيمة من الله عزّ و جلّ بتلة^١، أوعدني إن لم
ابلّغ أن يعذبني؛ فنزلت [هذه الآية]: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ
مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ
وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ }^٢.

فأخذ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بيد عليّ
عليه السلام، فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
مَنْ كَانَ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ عَمَّرَهُ اللَّهُ"، ثمّ دعاه فأجابه، فاوشك
أن ادعى فأجيب! و أنا مسؤول [أمام الله في الموقف]؛ و
أنتم مسؤولون أيضاً! فما ذا أنتم قائلون؟! فقالوا: نشهد
أنك

١ قاطعة لا ترد.

٢ الآية ٦٧، من السورة ٥: الهائدة.

قد بلغت! و نصحت، و أدّيت ما عليك! فجزاك الله
أفضل جزاء المرسلين.

فقال [النبي]: اللهم اشهد ثلاث مرّات، ثمّ قال: "يا
مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ! هَذَا وَلِيُّكُمْ بَعْدِي، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ
الغَائِبَ!"

قال أبو جعفر عليه السلام: كان و الله عليّ عليه
السلام أمين الله على خلقه، و غيبه، و دينه الذي ارتضاه
لنفسه.

ثمّ إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله حضره الذي
حضر؛ فدعا عليّاً، فقال: يا عليّ! إنّني أريد أن أئتمنك على
ما أئتمني الله عليه من غيبه، و علمه، و من خلقه، و من
دينه الذي ارتضاه لنفسه. فلم يشرك و الله فيها يا زياد (أبو
الجارود) أحداً من الخلق. (رسول الله لم يشرك فيها أحداً).
ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام حضره الذي حضره، فدعا
ولده، و كانوا اثني عشر ذكراً؛ فقال لهم: يا بنيّ! إنّ الله عز
و جلّ قد أبى إلا أن يجعل في سنّة من يعقوب. و إنّ يعقوب
دعا ولده، و كانوا اثني عشر ذكراً، فأخبرهم بصاحبهم.

ألا وإني أخبركم بصاحبكم، [و أمرهم بطاعته ولياً و مولى لهم].

ألا إن هذين ابنا رسول الله: الحسن، و الحسين عليهما السلام. فاسمعوا لهما و أطيعوا؛ و وازروهما! فإني قد أتمنتهما على ما أتمنني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مِمَّا أتمنه الله عليه من خلقه، و من غيبه، و من دينه الذي ارتضاه لنفسه. فأوجب الله لهما من عليّ ما أوجب لعليّ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و سلّم؛ فلم يكن لأحد منهما (الحسين) فضل على صاحبه إلا بكبره. و إنّ الحسين عليه السلام كان إذا حضر الحسن عليه السلام لم ينطق في ذلك المجلس حتى يقوم.

ثمّ إنّ الحسن عليه السلام حضره الذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين عليه السلام. ثمّ إنّ الحسين عليه السلام حضره الذي حضره، فدعا بنته

الكبرى: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا
كِتَابًا مَلْفُوفًا وَوَصِيَّةَ ظَاهِرَةَ. وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عِنْدَ
اسْتِشْهَادِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَبْطُونًا لَا يَرُونَ إِلَّا أَنَّهُ
لَهَا بِهِ.

فَدَفَعَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ الْكِتَابَ وَالْوَصِيَّةَ إِلَى عَلِيِّ
بْنِ الْحُسَيْنِ؛ ثُمَّ صَارَ وَاللَّهِ ذَلِكَ الْكِتَابَ إِلَيْنَا.^١
وَرَوَى الْكَلِينِيُّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ بِسِنْدٍ آخَرَ، عَنِ الْحُسَيْنِ
بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ مَعْلَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَمْهُورٍ، عَنِ
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنِ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنِ أَبِي
الْجَارُودِ، عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهَا.^٢

وَرَوَى الْكَلِينِيُّ أَيْضًا عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْحُسَيْنِ، وَأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ
فُضَيْلٍ، عَنِ أَبِي هَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ [الْبَاقِرِ] عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ [أَبُو هَمْزَةَ]: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: لَمَّا أَنْ قَضَى مُحَمَّدٌ

١ «اصول الكافي» ج ١، ص ٢٩٠ و ٢٩١، طبعة الآخوندي، مطبعة الحيدري
ب طهران، كتاب الحجّة، باب ما نصّ الله و رسوله على الأئمّة عليهم السلام
واحدًا فواحدًا؛ و «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٥، الباب ٣٨، الحديث الأوّل.
٢ «اصول الكافي»، ج ١، ص ٢٩١.

نبوّته، و استكمل أيّامه، أوحى الله تعالى إليه أن يا مُحَمَّد!
قد قضيتَ نبوّتك و استكملت أيّامك.

فاجعل العلم الذي عندك، و الإيمان، و الاسم الأكبر،
و ميراث العلم و آثار علم النبوة في أهل بيتك عند عليّ بن
أبي طالب!

فإني لن أقطع العلم و الإيمان و الاسم الأكبر و ميراث
العلم و آثار علم النبوة من العقب من ذريّتك كما لم أقطعها
من ذريّات الأنبياء.^١

و روى الكلينيّ كذلك عن محمّد بن الحسين و غيره،
عن سهل، عن محمّد بن عيسى، و محمّد بن يحيى، و محمّد
بن الحسين جميعاً عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن
جابر، و عبد الكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي
الديلم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

أوصى موسى إلى يوشع بن نون، و أوصى يوشع بن
نون إلى ولد هارون؛ و لم يوص إلى ولده و لا إلى ولد

١ «اصول الكافي» ج ١، ص ٢٩٢ و ٢٩٣. كتاب الحجّة ج ٢، باب الإشارة و
النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام.

موسى. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ الْخَيْرَةُ، يَخْتَارُ مِنْ يَشَاءُ، مِمَّنْ يَشَاءُ، وَ
بَشْرَ مُوسَى وَ يُوْشَعَ بِالْمَسِيحِ.

فَلَمَّا أَنْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ، قَالَ الْمَسِيحُ لَهُمْ: إِنَّهُ سَوْفَ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ اسْمُهُ أَحْمَدُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ؛ يَجِيءُ
بِتَصَدِيقِي (فِي الرِّسَالَةِ وَ صِحَّةِ الْوِلَادَةِ)؛ وَ تَصَدِيقِكُمْ (فِي
الْإِيمَانِ وَ حَسَنِ الْمَتَابَعَةِ)، وَ عَذْرِي وَ عَذْرِكُمْ.

وَ جَرَتْ تِلْكَ الْوَصِيَّةُ وَ السَّنَةُ وَ الْخَيْرَةُ مِنْ بَعْدِهِ فِي
الْحَوَارِيِّينَ مِنَ الْمُسْتَحْفَظِينَ^١. وَ إِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ
الْمُسْتَحْفَظِينَ لِأَنَّهُمْ اسْتَحْفَظُوا الْاسْمَ الْأَكْبَرَ، وَ هُوَ
الْكِتَابُ الَّذِي يَعْلَمُ بِهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَ
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ
الْمِيزَانَ﴾^٢.

١ كَأَنَّ فِي تَسْمِيَةِ اللَّهِ لَهُمْ: الْمُسْتَحْفَظِينَ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى بِشَأْنِ التَّوْرَةِ: ﴿فِيهَا
هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ
الْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾. (الآيَةُ ٤٤، مِنْ
السُّورَةِ ٥: الْمَائِدَةِ).

٢٢ جَاءَتْ بِهَذَا الشَّكْلَ فِي نَسْخِ «الْكَافِي» وَ «مِرَاةِ الْعُقُولِ»؛ إِلَّا أَنَّ الْآيَةَ فِي الْقُرْآنِ
وَرَدَتْ كَمَا يَأْتِي: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ
الْمِيزَانَ﴾. (الآيَةُ ٢٥، مِنْ السُّورَةِ ٥٧: الْحَدِيدِ).

و الكتاب الاسم الأكبر، و إنّما عرف ممّا يدّعي
الكتاب: التّوراة، و الإنجيل، و الفرقان؛ فيها: كتاب نُوح،
و كتاب صالح، و كتاب سُعيب

و إبراهيم، فأخبر الله عزّ و جلّ: {إِنَّ هَذَا لَفِي

الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى}.^١

فأين صُحف إبراهيم؟ إنّما صحف إبراهيم الاسم

الأكبر؛ و صحف موسى الاسم الأكبر. فلم تزل الوصيّة

في عالم بعد عالم حتّى دفعوها إلى مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

و سلّم.

فلّمّا بعث الله عزّ و جلّ محمّداً، أسلم له العقب من

المُسْتَحْفَظِينَ. و كذّبه بنو إسرائيل. و دعا إلى الله عزّ و

جلّ، و جاهد في سبيله.

ثمّ أنزل الله جلّ ذكره عليه أن أعلن فضل وصيّك!

فقال: ربّ! إنّ العرب قوم جفاة؛ فظّين في المعاشرة و

المعاملة، و ليسوا من أهل الرفق و المداراة! لم يكن فيهم

كتاب، و لم يبعث إليهم نبيّ؛ و لا يعرفون فضل نبوّات

الأنبياء عليهم السلام، و لا شرفهم. و لا يؤمنون بي إنّ أنا

١ الآيتان ١٨ و ١٩، من السورة ٨٧: الأعلى.

أخبرتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله جَلَّ ذِكْرُهُ: وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.^١

فذكر من فضل وصيّه ذكراً، فوقع النفاق في قلوبهم.

فعلم رسول الله

١ يقول المجلسي في «مرآة العقول»: هذه الآية بهذا الوجه ليست في المصاحف المشهورة، لأن الذي في سورة الحجر هو: { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } . وفي سورة النحل: { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } . وفي سورة الزخرف: { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } . فيحتمل أن يكون عليه السلام ذكر الآيتين: إحدى السوابق مع الأخيرة، فسقط من الرواة أو النساخ. أو أشار [الإمام] عليه السلام إلى الآيتين بذكر صدر إحداهما وعجز الأخرى؛ أو يكون نقلًا لهما بالمعنى؛ أو يكون في مصحفهم كذلك. (مرآة العقول، الطبعة الحديثة، ج ٣، ص ٢٧٣ و ٢٧٤).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ وَمَا يَقُولُونَ، فَقَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: يَا مُحَمَّدُ! وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ.^١ و لكنهم يجحدون بغير حجة لهم. و كان رسول الله يتألفهم و يستعين ببعضهم على بعض، و لا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيه حتى نزلت سورة الانشراح: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}. و هنا قال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} و إِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ.^٢ يقول: إذا فرغت فانصب علمك!^٣ و أعلن وصيِّك، فأعلمهم فضله علانية!

١ يقول المجلسي في «مرآة العقول»: في المصاحف المشهورة هذه الآية في سورة الحجر: {وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}. و في سورة الأنعام: {قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ}. و الكلام في هذه الآية كالكلام في الآية المتقدمة: و لا تحزن عليهم و قل سلام. (مرآة العقول، ج ٣، ص ٢٧٤).

باب الإشارة و النصّ على أمير المؤمنين.

٢ الآيتان ٧ و ٨، من السورة ٩٤: الانشراح.

٣ نَصَبُهُ يَنْصَبُ نَصَبًا بِكسر صاد المضارع و ضمّها، و هو من باب صَرَبَ يَصْرِبُ، وَ قَتَلَ يَقْتُلُ، و بتسكين المصدر بمعنى نصب الشيء بمعنى أقامه و رفعه و وضعه وضعاً ثابتاً. و نَصَبٌ يَنْصَبُ نَصَبًا من باب عَلِمَ يَعْلَمُ، و بفتح صاد المصدر بمعنى تحمّل المشقة و التعب و الجدّ و الجهد. و لَمَّا وردت في

فقال رسول الله: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ

وَالِ مَنْ وَالَاهُ!

المصاحف المشهورة بفتح الصاد في المضارع، فهي تعني: جدّ واجهد في العبادة أو في الجهاد.

و أمّا في ضوء هذه الرواية إذ وردت «فانصب» بمعنى: انصب علمك و آيتك، أي: أمير المؤمنين عليه السلام فيمكن أنها قرئت في مصحف أهل البيت عليهم السلام بكسر الصاد «فانصب». و يمكن أن تكون بفتح الصاد أيضاً. و يحتمل أن يكون تفسير الإمام الباقر عليه السلام في هذه الرواية بياناً لحاصل المعنى؛ و يكون المقصود: أتعب نفسك في نصب وصيّك بما تسمع من المنافقين في ذلك!

وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

ثم قال: "لَأُبْعَثَنَّ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ؛ وَ يُحِبُّهُ اللَّهُ

وَ رَسُولَهُ، لَيْسَ بِفَرَّارٍ". يعرض بمن رجع، يحبب أصحابه

و يحببونه. (إشارة إلى فرار أبي بكر و عمر من الحرب؛ بعد

أن كلفهما رسول الله بذلك قبل يومين من تكليف أمير

المؤمنين عليه السلام بالفتح، ففراً).

و قال أيضاً: عَلِيٌّ سَيِّدُ الْمُؤْمِنِينَ .

و قال أيضاً: عَلِيٌّ عَمُودُ الدِّينِ .

و قال أيضاً: هَذَا الَّذِي يَضْرِبُ النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَلِيٌّ

الْحَقُّ بَعْدِي .

و قال أيضاً: الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ أَيُّنَا مَالٌ .

و قال أيضاً: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ؛ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ

تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ أَهْلَ بَيْتِي عِشْرَتِي؛ أَيُّهَا النَّاسُ

اسْمَعُوا وَ قَدْ بَلَغْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرِدُونَ عَلَيَّ الْخَوْضَ!

فَأَسْأَلُكُمْ عَمَّا فَعَلْتُمْ فِي الثَّقَلَيْنِ .

وَ الثَّقَلَانِ كِتَابُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ وَ أَهْلُ بَيْتِي! فَلَا

تَسْبِقُوهُمْ فَتَهْلِكُوا! وَ لَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ!

و على هذا وقعت الحجّة بقول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَبِالْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ النَّاسُ . فلم يزل يلقي فضل أهل
بيته بالكلام و يبيّن لهم بالقرآن: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} .^١

و قال عزّ ذكره: {وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ

فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ} .^٢

ثمّ قال: {وَ آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} .^٣

فكان عليّ عليه السلام . و كان حقه الوصيّة التي

جعلت له، و الاسم الأكبر، و ميراث العلم، و آثار علم
النبوة.

و قال: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَىٰ} .^٤

١ الآية ٣٣، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٢ الآية ٤١، من السورة ٨: الأنفال.

٣ الآية ١٦، من السورة ١٧: الإسراء.

٤ الآية ٢٣، من السورة ٤٢: الشورى.

و قال: {وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} ١.

يقول: أسألكم عن المودة التي بينت لكم فيها فضل

القربى، و انزلت فيها آية: بأيّ ذنب قتلتموهم؟!

و قال جلّ ذكره أيضاً: {فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ} ٢.

١ قال المجلسي في «مرآة العقول»: القراءة المشهورة: {الْمَوْؤُدَةُ} بالهمزة؛ قال الطبرسي: المودة هي الجارية المدفونة [حيّاً] و روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام: إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بفتح الميم و الواو. و روى عن ابن عباس أنه قال: هو من قتل في مودتنا أهل البيت. و عن أبي جعفر عليه السلام قال: يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله و من قتل في جهاد. و في رواية اخرى: هو من قتل في مودتنا و ولايتنا- انتهى كلام الطبرسي. ثم قال المجلسي: الظاهر أنّ أكثر تلك الأخبار مبنية على تلك القراءة الثانية، إمّا بحذف المضاف، أي: أهل المودة يستلون بأيّ ذنب قُتلوا؛ أو بإسناد القتل إلى المودة مجازاً، و المراد قتل أهل المودة، أو بالتجوّز في القتل، و المراد تضييع مودة أهل البيت و إبطالها.

و بعضها [مبنية] على القراءة الاولى المشهورة بأن يكون المراد بالمودة: النفس المدفونة في التراب مطلقاً أو حية، إشارة إلى أنهم لكونهم مقتولين في سبيل الله ليسوا بأموات بل أحياء عند ربهم يرزقون. فكأنهم دفنوا أحياء. و فيه من اللطف ما لا يخفى. «مرآة العقول»، ج ٣ ص ٢٨١، و ٢٨٢. باب الإشارة و النصّ على أمير المؤمنين.

٢ الآية ٤٣، من السورة ١٦: النحل.

قال الإمام: المراد من الذكر هو الكتاب، أي: القرآن

الكريم. وأهله

آل محمد صلى الله عليه و آله؛ أمر الله بسؤالهم، و لم
يؤمروا بسؤال الجّهال.

و سمى الله عزّ و جلّ القرآن ذكراً، فقال:

{ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }^١.

و قال أيضاً: { وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ

تُسْأَلُونَ }^٢.

و قال كذلك: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي

الْأَمْرِ مِنْكُمْ }^٣.

و قال أيضاً: { وَ لَوْ رَدُّوهُ { (إِلَى اللَّهِ) { إِلَى الرَّسُولِ وَ

إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }^٤.

و نرى هنا أنه ردّ الأمر - أمر الناس - إلى اولى الأمر

منهم، الذين أمر الله الناس بطاعتهم و بالردّ إليهم.

١ الآية ٤٤، من السورة ١٦: النحل.

٢ الآية ٤٤، من السورة ٤٣: الزخرف.

٣ الآية ٥٩، من السورة ٤: النساء.

٤ الآية ٨٢، من السورة ٤: النساء. «إلى الله» غير موجودة في القرآن الكريم.

و لما رجع رسول الله صلى الله عليه و آله من حجة الوداع، نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }^١.

و بعد نزول هذه الآية، نادى رسول الله الناس فاجتمعوا. و أمر بسمرات فكُنِس ما تحتهنّ؛ و ألقى خطبته فقال فيها: "[يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ وَلِيكُمْ وَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟! فَقَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ. فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ".

١ الآية ٦٧، من السورة ٥: الهائدة.

فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم، و قالوا: ما
أنزل الله هذا على مُحَمَّدٍ قَطُّ، وَ مَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ بِضَبْعِ
ابْنِ عَمِّهِ.

و لما قدم المدينة، أتاه الأنصار فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَ شَرَّفَنَا بِكَ وَ بَنَزَلَكَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا.
فقد فرح الله صديقنا و كبت عدونا. و قد يأتيك وفود،

فلا تجد ما تعطيهما أفيشمت بك العدو؟

فنحب أن تأخذ ثلث أموالنا، حتى إذا قدم عليك وفد
مكة؛ وجدت ما تعطيهما.

فلم يرد النبي عليهم شيئا، و كان ينتظر ما يأتيه من
ربه. فنزل جبرئيل عليه السلام و قال:

{ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَى }^١.

و لم يقبل رسول الله صلى الله عليه و آله أموالهم، فقال
المنافقون: ما أنزل الله هذا على مُحَمَّدٍ أيضا. و ما يريد إلا
أن يرفع بضبع ابن عمه؛ و يحمل علينا أهل بيته؛ يقول

١ الآية ٢٣، من السورة ٤٣: الشوري.

أَمَس: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ. و يقول اليوم: {قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}. ثم نزلت
عليه آية الخمس، فقالوا: يريد أن يعطيهم أموالنا و فيئنا.
و بعد هذه الأحداث، أتاه جبرئيل فقال: يا محمد، إنك
قد قضيت نبوتك، و استكملت أيامك؛ فاجعل الاسم
الأكبر، و ميراث العلم، و آثار علم النبوة عند عليّ عليه
السلام! فإنني لم أترك الأرض إلا ولى فيها عالم تعرف به
طاعتي، و تعرف به ولايتي؛ و يكون حجة لمن يولد بين
قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر.

قال الإمام الباقر عليه السلام: ... فأوصى [النبيّ

صلى الله عليه و آله

و سلم] إليه [أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام] بالاسم الأكبر، و ميراث علم [الأنبياء]، و آثار علم النبوة؛ و أوصى إليه بألف كلمة و ألف باب، تفتح كل كلمة و كل باب ألف كلمة و ألف باب.^١

و روى العياشي في تفسيره مضمون هذه الرواية بنحو موجز نوعاً ما، و ذلك عن راويها أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام^٢ مع هذه الزيادة. و هي أنّ الإمام الباقر عليه السلام لما كان يحدث الناس بالأبطح، قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعشى؛ و قال له: يا ابن رسول الله! جعلت فداك؛ إنّ الحسن البصريّ حدثنا حديثاً يزعم أنّ هذه الآية نزلت في رجل؛ و يخبرنا من الرجل!؟

١ «اصول الكافي»، ج ١، ص ٢٩٣ إلى ٢٩٦. كتاب الحجّة ج ٣، باب الإشارة و النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ «تفسير العياشي» ج ١ ص ٣٣٣ و ٣٣٤، طبعة قم؛ و «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٦، الحديث السابع، الطبعة الحجرية؛ و «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٣٠٧، طبعة الكمباني؛ و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٤٩٠؛ و تفسير «الميزان» ج ٦، ص ٥٦.

[فقال الإمام]: مَا لَهُ لَا قَضَى اللَّهُ دَيْنَهُ - يَعْنِي صَلَاتَهُ -

أَمَا أَنْ لَوْ شَاءَ أَنْ يُخْبَرَ بِهِ لِأَخْبَرَ بِهِ. ١

رواية الفيض بن المختار في آية التبليغ

و روى عن الشيخ الصدوق بسلسلة سنده المتصل
عن مُحَمَّدِ بْنِ الْفَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عن أبيه، عن أبي جعفر
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْبَاقِرِ، عن أبيه، عن جدّه قال: خرج رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ رَاكِبٌ؛ وَخَرَجَ
[أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ] عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَمْشِي. فَقَالَ: يَا أَبَا
الْحَسَنِ! إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ؛ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ! فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
أَمَرَنِي أَنْ تَرْكَبَ إِذَا رَكَبْتُ! وَتَمْشِيَ إِذَا مَشَيْتُ! وَتَجْلِسَ إِذَا
جَلَسْتُ! إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَدًّا

١ المصادر المتقدمة نفسها.

من حدود الله لا بدّ لك من القيام [به]!

و ما أكرمني بكرامة؛ إلا و أكرمك بمثلها! و خصّني

الله بالنبوة و الرسالة؛ و جعلك وليّ في ذلك: تقوم في

حدوده! و في أصعب اموره! و الذي بعث محمّداً بالحقّ

نبيّاً؛ ما آمن بي من أنكرك! و لا أقرّ بي، من جحدك! و لا

أمرّ بي من كفر بك! و إنّ فضلك من فضلي؛ و إنّ فضلي

لفضل الله؛ و هو قول الله عزّ و جلّ: **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ**

بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} .^١

يعني فضل الله نبوة نبيكم! و رحمة الله و لاية عليّ بن

أبي طالب. **{فَبِذَلِكَ}** قال بالنبوة و الولاية. **{فَلْيَفْرَحُوا}**

يعني الشيعة؛ **{خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}** يعني مخالفيهم من

الأهل و الهال و الولد في دار الدنيا. و الله يا عليّ! ما

خُلِفْتَ، إلا لتعبد ربّك! و ليعرف بك معالم الدين! و

تصلح بك دارس السبيل! و لقد ضلّ من ضلّ عنك! و

لن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك و إلى ولايتك؛ قال الله:

١ الآية ٥٨، من السورة ١٠: يونس.

{وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ

اهْتَدَى}.^١

يعني: اهتدى إلى ولايتك.

و لقد أمرني تبارك و تعالى أن أفترض من حَقِّك ما

افترضه من حَقِّي؛ و إنَّ حَقِّك لمفروض على من آمن بي.

و لولاك لم يُعَرَفْ حزب الله! و بك يُعَرَفْ عدوُّ الله.

و من لم يلقه بولايتك؛ لم يلقه بشيء! و قد أنزل الله عزَّ

و جَلَّ إِلَيَّ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}

يعني في ولايتك يا عليّ! و إن

١ الآية ٨٢، من السورة ٢٠: طه.

لم تفعل، فما بلغت رسالته!

و لو لم ابلغ ما امرت به من ولايتك؛ لحبط عملي! و

من لقي الله عزّ و جلّ بغير ولايتك، فقد حبط عمله!

و غداً ينجزي الله ما وعدني! و ما أقول إلا قول ربّي

تبارك و تعالى؛ إنّ الذي أقول لمن الله عزّ و جلّ أنزله

فيك.^١

روايات العياشي في آية التبليغ

و أخرج العياشي عن المُفضّل بن صالح، عن بعض

أصحابه، عن أحدهما [الإمام الباقر أو الإمام الصادق

عليهما السلام] قال: إنّهُ لَمَّا نزلت هذه الآية: {إِنَّمَا

وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ} ^٢ شق ذلك على النبيّ صلّى

الله عليه و آله، و خشي أن تكذبه قريش، فأنزل الله هذه

١ «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٥ و ٣٣٦ الحديث الثاني، الطبعة الحجرية؛ و

تفسير «الميزان» ج ٦، ص ٥٦.

٢ الآية ٥٥، من السورة ٥: المائدة.

الآية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }.

فقام بذلك يوم غدیر خم^١.

و روى العياشي أيضاً عن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: لما نزلت هذه الآية بالولاية، أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالذُّوْحَاتِ دوحات غدیر خم فقمّت (الدوحات جمع دَوْحَه، وهي الشجرة الكبيرة التي تظلّل بسبب كثرة أغصانها؛ والمراد السمرات الخمس) ثم، نودي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، ثم قال:

"أَيُّهَا النَّاسُ أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟"

"قالوا: بلى! قال: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ رَبِّ وَالِ"

مَنْ وَالِاهُ! وَ عَادٍ مَنْ عَادَاهُ!

١ «تفسير العياشي» ج ١: ص ٣٢٨؛ «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٣٥، طبعة

الكمباني؛ و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٤٨٣.

ثم أمر الناس ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام و بايعه
الناس كلهم، لا يجيء أحد إلا بايعه؛ لا يتكلم حتى جاء

أبو بكر، فقال النبيّ: يا أبا بكر بايع علياً بالولاية!

فقال [أبو بكر]: من الله (أ) او من رَسُوْلِهِ؟!

فقال [النبيّ]: **من الله و من رَسُوْلِهِ.**

ثم جاء عمر؛ فقال [له النبيّ]: بايع علياً بالولاية!

فقال [عمر]: من الله (أ) او من رَسُوْلِهِ؟!

فقال [النبيّ]: **من الله و من رَسُوْلِهِ.**

ثم ثنى [عمر] عطفه و التقيا، فقال لأبي بكر: تشدّ ما

يَرْفَعُ بَضْبِعِي ابْنَ عَمِّهِ.

و يعرض الإمام الصادق عليه السلام هنا قضية لقاء

عمر بذلك الرجل الحسن الطيّب الريح.

ثم قال: لقد حضر الغدير اثنا عشر ألف رجل

يشهدون لعليّ بن أبي طالب عليه السلام [بالولاية]؛ فما

قدر عليّ على أخذ حقه. و إنّ أحدكم يكون له الهال و له

شاهدان فيأخذ حقه. {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.^١

في عليّ عليه السلام.^٢

و روى العياشي أيضاً عن أبي صالح، عن ابن عباس،

و جابر بن عبد الله، قالوا: أمر الله تعالى نبيه أن ينصب عليّاً

علماً للناس، ليخبرهم بولايته. فتخوّف رسول الله صلى

الله عليه وآله و سلم أن يقولوا: حامي

١ الآية ٥٦، من السورة ٥٥: المائدة.

٢ «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٢٩؛ و «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٠٦ و ٢٠٧،

طبعة الكمباني؛ و «تفسير البرهان»، ج ١، ص ٤٨٥.

ابن عمّه، و أن يطغوا في ذلك عليه. فأوحى الله إليه:
{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }؛
فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بولايته يوم
غدِير خَمٍّ.^١

و أخرج العيَّاشيُّ أيضاً عن حنان بن سدير، عن أبيه،
عن أبي جعفر عليه السلام قال: لَمَّا نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ بِإِعْلَانِ أَمْرِ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ }، مكث النبيُّ ثلاثةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَى الْجَحْفَةَ؛ فَلَمْ
يَأْخُذْ بِيَدِ عَلِيٍّ فَرَقَا مِنَ النَّاسِ.

فلَمَّا نَزَلَ الْجَحْفَةَ يَوْمَ الْغَدِيرِ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: مَهْيَعَةٌ،
و نَادَى: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:

١ «تفسير العيَّاشيِّ» ج ١، ص ٣٣١ و ٣٣٢؛ و «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٠٧؛
و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٤٨٩. و «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٦، الحديث
الرابع، الطبعة الحجرية؛ و «الميزان» ج ٦، ص ٥٤ و ٥٥؛ و تفسير «مجمع البيان»
طبعة صيدا، ج ٢، ص ٢٢٣. و نقل في «كشف الغمّة» ص ٩٤، حديث الغدير
مع شأن نزول آية التبليغ و أبيات حسان بن ثابت، مسنداً إلى ابن عباس.

مَنْ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟! فجهروا و قالوا: الله و
رَسُولُهُ.

ثم قال لهم الثانية؛ فقالوا: الله و رَسُولُهُ. ثم قال لهم
الثالثة، فقالوا: الله و رَسُولُهُ.

فأخذ [النبي] بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: مَنْ كُنْتُ
مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ،
وَ انصُرْ مَنْ نصرَهُ، وَ اخذْ مَنْ خذَلَهُ، فَإِنَّهُ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ،
وَ هُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ

لَا نَبِيَّ بَعْدِي.^١

و جاء عن العياشي أيضاً، عن عمر بن يزيد قال قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام ابتداءً منه: العَجَبُ يا أبا حفص، لما لقي عليّ بن أبي طالب إنّه كان له عشرة آلاف شاهد، و لم يقدر على أخذ حقّة؛ و الرجل يأخذ حقّه بشاهدين.

إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله خرج من المدينة حاجّاً؛ و تبعه خمسة آلاف؛ و رجع من مكّة، و قد شيّعه خمسة آلاف من أهل مكّة؛ فلما انتهى إلى الجحفة، نزل جبرئيل بولاية عليّ - و قد كانت نزلت ولايته بمنى؛ و امتنع رسول الله صلّى الله عليه و آله من القيام بها لمكان الناس - فقال [جبرئيل وحيّاً من الله]:

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } .

١ «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٣٢؛ و «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٦ الحديث الخامس الطبعة الحجرية؛ و «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٠٧، الطبعة الكمباني؛ و «تفسير البرهان»، ج ١، ص ٤٩٨؛ و تفسير «الميزان»، ج ٦، ص ٥٥.

[و الله يعصمك من الناس] مما كرهت بمنى. فأمر

رسول الله فقمّت السّمُرات. فقال رجل من الناس: أما و

الله ليأتينكم بدهية [و أمر منكر].

فقلتُ لعُمَر [بن يزيد راوي هذه الرواية]: مَنْ

الرجل؟ قال: الحَبِيش. ١

و جاء في «غاية المرام»: الحَبِشِيُّ يَعْنِي عُمَرَ بْنَ

الْحَطَّابِ. ٢

و يقول في «بحار الأنوار» في ذيل هذه الرواية: الحَبِشِيُّ

هُوَ عُمَرُ لِإِتِّسَابِهِ إِلَى الصَّهَّاءَةِ الحَبِشِيَّةِ. ٣

و روى العيَاشِيُّ أيضاً عن أبي الجارود، عن أبي جعفر

عليه السلام قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ

بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَاتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}؛ فأخذ رسول الله بيده

١ «تفسير العيَاشي» ج ١، ص ٣٣٢؛ و «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٦، الحديث

السادس، الطبعة الحجرية؛ و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٤٨٩؛ و «بحار الأنوار»

ج ٩، ص ٢٠٧.

٢ «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٦.

٣ «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٠٧.

عليّ؛ فقال: أيها الناس، إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا و قد عمّر؛ ثمّ دعاه الله؛ فأجابه؛ و أوشك أن ادعي، فاجيب؛ و أنا مسؤول و أنتم مسؤولون! فما أنتم قائلون؟!

قالوا: نشهد أنك قد بلغت و نصحت و أدّيت ما عليك! فجزاك الله أفضل ما جزى المرسلين.

فقال رسول الله: اللهمّ اشهد! ثم قال: يا "مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبِ. [قال الله لي] و أوصى: من آمن بي، و صدّقني؛ [فعليه] بولاية عليّ. ألا إنّ ولاية عليّ ولايتي (و ولايتي ولاية ربّي) و لا يدري [و لا تدرّون - ظ] عهداً عهداً إليّ ربّي و أمرني أن ابلغكموه".

ثمّ قال: هلّ سمِعْتُمْ؟! ثلاث مرّات يقولها.

فقال قائل: قد سمِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.^١

١ «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٣٤؛ و «غاية المرام» ج ١، ص ٣٣٦ الحديث الثامن؛ و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٤٩٠؛ و «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢٠٧؛ و تفسير «الميزان» ج ٦، ص ٥٥.

فهذه بعض الروايات التي عرضناها نقلاً عن طريق

الشيعة

روايات مشايخ العامة في آية التبليغ

وفيها.

يلي عدد من الأحاديث و الروايات التي أخرجها
مشايخ العامة و أعلامهم في كتبهم.

فقد أخرج الحافظ ابن عَسَاكِر الشافعيّ بإسناده عن
أبي سَعِيدِ الخُدْرِيّ قال نزلت هذه الآية: **{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }** على رسول الله صَلَّى اللهُ
عليه و آله و سلّم يوم غدِير خَمّ في عليّ بن أبي طالب^١.

و روى الحافظ الحاكم الحسكانيّ الحنفيّ في كتاب
«شواهد التنزيل» ثماني روايات بثمانية أسناد مختلفة تنتهي
إلى أبي هُرَيْرَةَ، و أبي إسحاق الحميديّ (الخدريّ - خ)، و
ابن عبّاس، و الحبريّ، و قيس بن مَاصِر عن عبد الله بن
أبي أوفى، و زياد بن المنذر أبي الجارود، و جابر بن عبد الله
قالوا: الآية: **{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ }** نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم عيد
الغدِير. و جاء في بعضها أنّ النبيّ رفع يد عليّ حتّى بان
بياض إبطينها فقال: **أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ**

وَالِ مَنْ وَالَاهُ! وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ. ثمّ قال: **اللَّهُمَّ اشْهَدْ!**

١ «تفسير الدر المنثور» ج ٢، ص ٢٩٨. طبعة دار المعرفة، بيروت.

و مضمون الرواية التي ينقلها عن زياد بن المنذر (أبي
الجارود) يماثل تقريباً مضمون الرواية التي ذكرناها أخيراً
عن «تفسير العياشي» عن أبي الجارود.

و الحديث الذي يرويه عن الأعمش، عن عباية بن
ربيعي، عن ابن عباس، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
هُوَ حَدِيثُ الْمَعْرَاجِ، إِلَى أَنْ يَقُولَ اللهُ: **وَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا
إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ وَزِيرًا، وَإِنَّكَ رَسُولُ اللهِ وَإِنَّ عَلِيًّا وَزِيرُكَ!**
يقول ابن عباس: فهبط رسول الله؛ وكره أن يحدث

الناس بشيء

منها، إذ كانوا حديثي عهد بالجاهليّة؛ حتّى مضى من ذلك ستّة أيّام، فأنزل الله: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ}!

و احتمل النبيّ هذا أيضاً؛ حتّى كان يوم الثامن عشر، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}. فأمر رسول الله بلاّلاً حتّى يؤذّن في الناس أن لا يبقى غداً أحد إلاّ خرج إلى غدير خمّ. فخرج رسول الله والناس من الغد، فقال: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ بِرِسَالَةٍ، وَ إِنِّي ضِقتُ بِهَا ذُرْعاً مَخَافَةَ أَنْ تَتَّهَمُونِي وَ تَكْذِبُونِي، حَتَّى عَاتَبَنِي رَبِّي فِيهَا بِوَعِيدِ أَنْزَلَهُ عَلَيَّ بَعْدَ وَعِيدِ! ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَرَفَعَهَا حَتَّى رَأَى النَّاسَ بِيَاضِ إِبْطِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! اللَّهُ مَوْلَايَ وَ أَنَا مَوْلَاكُمْ! فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ! اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ! وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ! وَ انصُرْ مَنْ نَصَرَهُ! وَ اخذلْ مَنْ خَذَلَهُ! فأنزل الله هذه الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.

١ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ١٨٧ إلى ١٩٣، الحديث رقم ٢٤٣ إلى ٢٥٠، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت؛ وروي الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» (طبعة

يقول الحاكم الحسكاني في ذيل الحديث الذي يرويه
عن الحبري: و طرق هذا الحديث مستقصاة في كتاب
«دُعَاءُ الْهُدَاةِ إِلَى آدَاءِ حَقِّ الْمَوَالَاةِ» حول ولاية علي بن أبي
طالب، (من تصنيفي في عشرة أجزاء).

و يقول المرحوم السيّد ابن طاووس: و من الذين
ألّفوا كتاباً في حديث الغدير: الحاكم الحسكاني الذي سمّي
كتابه: «دُعَاءُ الْهُدَاةِ إِلَى آدَاءِ حَقِّ الْمَوَالَاةِ».^١

يقول جلال الدين السيوطي الشافعي في تفسير «الدرّ
المتثور» قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ }؛
الآية أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله صلى الله
عليه [و آله] و سلّم قال: إنّ الله بعثني برسالة فضقت بها
ذراعاً؛ و عرفت أنّ الناس مكذّبي، فوعدني لأبلغنّ، أو
ليعذبني، فأنزل [هذه الآية] { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }.

صيدا ج ٢، ص ٢٢٣) حديثين من هذه الأحاديث عن «شواهد التنزيل»
بإسناده عن ابن أبي عمير و ابن عباس.
١ «شواهد التنزيل» ج ١ ص ١٩٠.

و أخرج عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم،
و أبو الشيخ [أيضاً] عن مجاهد قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {بَلِّغْ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}، قال رسول الله: يا رب! إنما أنا
واحد! كيف أصنع يجتمع عليّ الناس؟ فنزلت: {وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ}!

و أخرج ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و ابن عساكر،
عن أبي سعيد الخدريّ أنّ الآية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} نزلت على رسول الله صلى الله عليه
[و آله] و سلّم في عليّ بن أبي طالب يوم غدیر خمّ.

و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ
على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ. {وَ
إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ}.^١

يقول الإمام الفخر الرازيّ الشافعيّ في «التفسير
الكبير»: و الوجه العاشر من الوجوه الواردة في شأن نزول

^١ تفسير «الدر المنثور» ج ٢، ص ٢٩٨.

آية التبليغ هو أنها «نزلت الآية في فضل عليّ بن أبي طالب
عليه السلام؛ ولما نزلت هذه الآية، أخذ [رسول الله] بيدي
عليّ وقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيّْ مَوْلَاهُ! اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ

وَالآءُ، وَ عَادٍ مِّنْ عَادَاهُ. و لَمَّا لَقِيَهُ عَمْرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال: هَنِئِنَّا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ.

و هو قول ابن عباس، و البراء بن عازب، و محمد بن

عليّ.^١

و يقول نظام الدين القمّي النيسابوري في تفسيره: ثمّ

أمر الله رسوله أن لا ينظر إلى قلة المصدّقين، و كثرة

المعاندين، و لا يتخوّف مكر وههم، فقال: {يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ}. و عن أبي سعيد الخدري أنّ هذه الآية نزلت

في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه و كرّم الله وجهه

يوم غدیر خمّ.

فأخذ رسول الله صلّى الله عليه و آله بيده و قال: مَنْ

كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ؛ وَ عَادِ

مَنْ عَادَاهُ. فلقيه عمر و قال: هَنِئِنَّا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ!

١ تفسير «مفاتيح الغيب» المشتهر بـ «التفسير الكبير»، ج ٣، ص ٦٣٦، الطبعة

الاولى، طبعة شركة الصحافة العثمانية.

أَصْبَحَتْ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ! وَ هُوَ قَوْلُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.^١
وَ جَاءَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ عِبَارَةٌ **فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ** بِنَحْوِ
خَاصِّ؛ وَ هَذَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَى شَخْصٍ خَارِجِيٍّ تَدُلُّ عَلَى
التَّأْكِيدِ فِي التَّعْيِينِ وَ التَّشْخِصِ. وَ رَوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ
الثَّلْبِيِّ النِّسَابُورِيَّ فِي تَفْسِيرِهِ: «الْكَشْفُ وَ الْبَيَانُ»
رَوَايَتَانِ: الْأُولَى: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَ فِيهَا أَنَّ مَعْنَى بَلَّغٌ هُوَ: بَلَّغٌ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
فِي فَضْلِ عَلِيٍّ. وَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِيَدِ عَلِيٍّ وَ قَالَ: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ.**

^١ تفسير «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» ج ٦، ص ١٢٩، الطبعة الأولى
١٣٨١ هـ، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الثانية: بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا**
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } (الآية)؛ قال: نزلت
هذه الآية في عليّ. أمر الله نبيه أن يبلغ ولاية عليّ؛ فأخذ
رسول الله يد عليّ و قال: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ،**
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ. و قد نقل صاحب
«الغدِير» في ج ١، ص ٢١٧ و ٢١٨ هذين الحديثين في
كتابه عن الثعلبيّ. و ذكر مصادرهما كل من ابن البطريق
في «العُمدة» ص ٤٩، و السيّد ابن طاووس في «الطرائف»،
و الأربليّ في «كشف الغمّة» ص ٩٤، و ذكر الطبرسيّ في
«مجمع البيان» ج ٢ ص ٢٢٣ الحديث الثاني عن تفسير
«الكشف و البيان»؛ و الحديث الأوّل عن ابن شهر آشوب
في «المناقب» ج ١ ص ٥٢٦. و نقل استاذنا العلامة
الطباطبائيّ رضوان الله عليه ثلاث روايات عن «تفسير
الثعلبيّ»: اثنتان منها عن الإمام الباقر عليه السلام، و
واحدة عن ابن عباس. «الميزان»، ج ٦، ص ٥٦).

و ذكر شهاب الدين السيّد محمود الألوسيّ الشافعيّ
البغداديّ في تفسيره قائلاً: زعمت الشيعة أنّ المراد ب«ما

انزل إليك» خلافة عليّ كرم الله وجهه. فقد رووا
بأسانيدهم عن أبي جعفر و أبي عبد الله رضي الله عنهما أنّ
الله تبارك و تعالى أوحى إلى نبيّه صلّى الله عليه [و آله] و
سلم أنّ يستخلف عليّاً كرم الله وجهه؛ فكان رسول الله
يخاف أنّ يشقّ ذلك على جماعة من أصحابه. فأنزل الله
تعالى هذه الآية تشجيعاً له بما أمره بأدائه.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه
الآية في عليّ كرم الله وجهه حيث أمر سبحانه نبيّه أن يخبر
النّاس بولاية عليّ، فتخوّف رسول الله أنّ يقولوا: حابي
ابن عمّه؛ و أنّ يطعنوا في ذلك عليه. فأوحى الله تعالى إليه
هذه الآية؛ فقام بولايته يوم غدیر خمّ، و أخذ بيده، و قال:

مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ
مَنْ عَادَاهُ.

و أخرج السيوطي في «الدرّ المشثور» عن أبي حاتم، و ابن مردويه، و ابن عساكر راوين عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم يوم غدیر خُمّ في عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه. و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } (إِنَّ عَلِيًّا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) { وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }^١.

و أخرج شيخ الإسلام إبراهيم بن محمّد بن مؤيّد الحمويّ عن مشايخه الأربعة: برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن عمّر بالإذن في الرواية؛ و مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصليّ، بدر الدين محمّد بن محمّد بن أسعد البخاريّ بالإجازة في الرواية، و عبد الحافظ بن بدران بالقراءة عليه، ذلك بإسنادهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم: سمعت في الليلة التي أسرى بي إلى السماء فيها نداءً من تحت العرش:

١ تفسير «روح البيان» ج ٦، ص ١٩٢ و ١٩٣، طبعة دار الطباعة المنيرية.

إِنَّ عَلِيًّا رَأْيُهُ الْهُدَى، وَ حَيْبٌ مَنْ يُؤْمِنُ بِي؛ بَلِّغْ عَلِيًّا
(ذَلِكَ). فَلَمَّا نَزَلَ النَّبِيُّ انْسِيَ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَا
عَلَيْهِ: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ
لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }^١.

و قال الشيخُ نور الدينِ عليُّ بنُ مُحَمَّد بنِ صَبَّاحِ
المالكيِّ: قال الإمام أبو الحسن الواحديُّ في كتابه المسمَّى
بـ«أسباب النزول»: يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدريِّ
رضي الله عنه قال: نزلت الآية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

١ «فرائد السمطين في فضائل المرتضى و البتول و السبطين» ج ١، ص ١٥٨.

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} يوم غدیر خمّ في عليّ بن أبي

طالب.

ثمّ قال: قال الشيخ محيي الدين النووي: غدیر خمّ-

بضمّ الخاء المعجمة و تشديد الميم مع التنوين - اسم

لغَيْضَةٍ على ثلاثة أميال من الجحفة. عندها غدیر مشهور

يضاف إلى الغَيْضَةِ فيقال [له]: غدیر خمّ.^١

و قال مُحَمَّد بن طلحة الشافعيّ: زيادة تقرير: نقل

الإمام أبو الحسن عليّ الواحديّ في كتابه المسمّى

بـ«أسباب النزول» يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخُدريّ

رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} نزلت في عليّ بن أبي طالب يوم

غدیر خمّ.^٢

١ «الفصول المهمّة» ص ٢٧ الطبعة الحجرية، و ص ٢٤ و ٢٥ طبعة النجف.

قال في «مراصد الاطلاع» ج ١، ص ٤٨٢: خمّ، قيل: رَجُلٌ. و قيل: غَيْضَةٌ. و

قيل: مَوْضِعٌ تَصَبَّ فِيهِ عَيْنٌ. و قيل: بئر قريب من المَيْثَب، حفرها مُرّة بن كعب،

نُسب إلى ذلك غدیر خمّ، و هو بين مكّة و المدينة؛ قيل: على ثلاثة أميال من

الجحفة. و قيل: على ميل. و هناك مسجد للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

٢ «مطالب السؤل في مناقب آل الرسول» ج ٢، ص ١٦، الطبعة الحجرية.

و روى أبو الحسن الواحدي النيسابوري بسنده عن
الأعمش و أبي جحاف، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري
أن الآية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }
نزلت في علي بن أبي طالب يوم غدیر خم.^١

و قال الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في تفسير {يا
أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}: أخرج الثعلبي
عن أبي صالح، عن ابن عباس، و عن محمد بن علي الباقر
رضي الله عنهما أنها قالوا: نزلت هذه الآية في علي [بن أبي
طالب].

١ «أسباب النزول» ص ١٥٠؛ و «الفصول المهمة» لابن صباغ ص ٢٧؛ و
«الميزان» ج ٦، ص ٦٠.

و كذلك الحمويّ في «فرائد السّمطين» أخرجه عن

أبي هريرة.

و أيضاً المالكىّ أخرج في «الفصول المهمّة» عن أبي

سعيد الخدرىّ قال: نزلت هذه الآية في عليّ في غدير خمّ.

هكذا قال الشيخ محيي الدين النووي.^١

و قال السيّد عليّ بن شهاب الهمدانيّ في المودّة

الخامسة من كتابه: «مودّة القُربى»: عن البراء بن عازب

رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله صلّى الله عليه و

آله و سلّم في حجة الوداع. فلما كان بغدير خمّ، نودي:

الصّلاة جَامِعَةٌ. فجلس رسول الله صلّى الله عليه و آله و

سلّم تحت شجرة و أخذ بيدِ عليّ و قال: **أَلَسْتُ أَوْلَى**

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟!

قالوا: بلى يا رسول الله! فقال: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**

مَوْلَاهُ؛ ثمّ قال: **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ! وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ.**

فلقيه عمر بن الخطّاب فقال: هَنِيئاً لَكَ يَا عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

١ «ينابيع المودّة» ج ١، ص ١٢٠، طبعة إسلامبول سنة ١٣٠١ هـ.

أَصْبَحَتْ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ. و فيه نزلت: { يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } (الآية).^١

و ذكر مير خواند: غياث الدين بن همام في «حبيب
السير» عن «كشف الغمّة» قائلاً: لما بلغ شفيح الامّة صلّى
الله عليه و آله و سلّم غدير خمّ، و عُرف أنّ الناس
سيفترقون عن موكبه المبارك بعد عبور المكان، و
يذهبون إلى أوطانهم، و اقتضت الإرادة الأزليّة أن يطّلع
الناس كلّهم على هذا الأمر، نزلت الآية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } في استخلاف عليّ و النصّ
على إمامته و { إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ

١ كتاب «مودّة القربي» و جاء الحديث كلّه في الجزء الأوّل من «ينابيع المودّة»،
المودّة الخامسة، ص ٢٤٩. طبعة إسلامبول.

يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ} ١.

و قال الشيخ محمد عبده المصري رئيس جامعة الأزهر: روى ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري أن الآية: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } نزلت يوم غدیر خمّ في عليّ بن أبي طالب^٢.

فهذا كله بحث إجماليّ يدور حول شأن نزول آية التبليغ عن مصادر الشيعة و العامة؛ و قام العلامة الأميني رحمة الله عليه بالبحث، عن مصادر العامة فقط. و تعرّض إلى شأن نزول الآية المذكورة بالتفصيل نقلاً عن ثلاثين كتاباً معتبراً لمشايخ العامة و حفاظهم^٣.

١ «حبيب السير» طبعة حيدري مع مقدّمة همائي، ج ١، ص ٤١١. علماً أنّ تاريخ «حبيب السير» من الكتب المعتمدة. و قال صاحب «كشف الظنون» ج ١، ص ٤١٩: هذا الكتاب من الكتب المفيدة و المعتمدة. و عدّه حسام الدين في كتابه «مرافض الروافض» من الكتب المعتمدة. و نقل عنه أبو الحسنات الحنفيّ في كتابه «الفوائد البهيّة» كثيراً، و عدّه من الكتب المعتمدة.

٢ «تفسير المنار» ج ٦، ص ٤٦٣.

٣ «الغدیر» ج ١، ص ٢١٤ إلى ٢٢٣.

و أمّا البحث في دلالة آية التبليغ، و ارتباطها بقضية
الولاية، و بيان مفادها المعبر عنه بـ «فقه الآية» فهو كما يلي:
تضمّ الآية وجوهاً أدبيّة تميّزها عن غيرها، و هي:

الأوّل: جاء الخطاب إلى رسول الله بعبارة: {يا أَيُّهَا

الرَّسُولُ} أي المرسل و مُبلِّغ الرسالة. فهي قد خاطبته

بصفة الرسالة؛ و لم يخاطب رسول الله بهذه الصفة في

المواضع الاخرى من القرآن الكريم غير هذا الموضع. و

موضع آخر في القرآن في الآية ٤١ من نفس السورة (أي

سورة

المائدة) خوطب النبيّ فيه بصفة الرسالة، و هو قوله:
{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي
الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنُ
قُلُوبُهُمْ }.

بَيَدَ أَنْ مُخَاطَبَتَهُ بِالنَّبُوَّةِ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
(أَيُّهَا الْمُنْبَأُ، الْمَطَّلَعُ عَلَى عَوَالِمِ الْغَيْبِ، إِذْ ذَكَرَهُ بِصِفَةِ النَّبَاِ
وَ الْإِنْبَاءِ، وَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى مَجْرَدِ الْإِطْلَاعِ عَلَى عَالَمِ
الْغَيْبِ وَ نَزُولِ الْوَحْيِ بِوَسْاطَةِ جِبْرِئِيلِ) جَاءَتْ فِي ثَلَاثَةِ
عَشْرٍ مَوْضِعًا مِنَ الْقُرْآنِ.

وَ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالتَّبْلِيغِ فِي قَوْلِهِ: بَلِّغْ أَمْرًا بِإِبْلَاغِ حُكْمِ
نَازِلٍ مِنَ اللَّهِ، فَلِهَذَا مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يُخَاطَبَ بِكَلِمَةِ
«رَسُولٍ» لِيَكُونَ مِمَّا ثَلَا لِلدَّلِيلِ عَلَى وَجُوبِ تَبْلِيغِ مَضْمُونِ
الْآيَةِ، حَتَّى يَنْبَهَ نَبِيَّهُ عَلَى أَنَّ مَهْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ تَبْلِيغُ رِسَالَتِهِ؛
وَ فَقَالَمَا اضْطَلَعَ بِهِ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَ تَعَهَّدَ بِالصَّمُودِ أَمَامَ
كُلِّ مَا يَعْتَرِيهَا مِنْ مَشَاقِّ وَ مَتَاعِبٍ.

الثاني: كلمة بَلِّغْ التي تحمل الأمر بالتبليغ، و التبليغ
عبارة عن إيصال الحكم و إبلاغه و إلقاء الحجّة، و هي غير

كلمة قُلْ و اقْرَأْ و اتْلُ و اذْكُرْ و ذَكِّرْ و أمثالها التي تدلّ على القول و القراءة و التذكير. كما جاء في الآيتين ٣٨ و ٣٩ من السورة ٣٣: الأحزاب. { مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا }.

و من هذا المنطلق فإنّ شأن الرسالة في القرآن هو الإِبلاغ، و قد جاء ذلك في الآية ٩٩، من السورة ٥: المائدة، { مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ }.

الثالث: لم يرد في قوله: { مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ } اسم الشيء النازل و تحديده، بل ورد القول بالصفة ليدلّ على أهميّة الأمر و عظمته. و لَمَّا كَانَ مُرْسَلًا مِنْ

الله، فليس للنبي حق في تأخيره. و أيضاً نرى أن للنبي

عذراً في بيانه للناس.

الرابع: القيد { مِنْ رَبِّكَ } يدل على أن الله رحيم بك

و هو الكريم و الخالق و المدبّر و الهادي لك، و كل شيء

يعود لك تحت قدرته. و قد أرسل لك هذا، فكيف يكون

هناك ترديد و تأمل و تروّ و تأخير؟

الخامس: قوله: { وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } و جاء في بعض القراءات: فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ يدل على

أهميّة الحكم المذكور، و مدى التأكيد عليه. إذ هو على

درجة من الأهميّة بحيث لو لم تقم به وحده، فكأنك لم تقم

بأي رسالة من رسالات الله التي حملتها و تعهّدت بالقيام

بها!

و جاءت هذه الفقرة و هي تحمل طابع التهديد لتُشعر

بأهميّة هذا الحكم إلى الحدّ الذي لو لم يصل إلى الناس، و لم

يُراعَ حقّ المراعاة، فكأنّ أيّ حكم من أحكام الله لم يصل

إلى الناس من قبل الرسول، و كأنّ أيّ جزء من أجزاء

الدين لم يوضع في موضعه.

و لا بدّ أن نعلم بأنّ هذه الجملة شرطية. و هي ليست كسائر الجمل الشرطية المتداولة. إذ تستعمل الجملة الشرطية عادة عند ما يكون تحقّقها مجهولاً؛ و لذلك فالجملة الجزائية تترتب على تحقّق الجملة الشرطية. بيد أنّ الملحوظ هنا هو أنّ مقام النبيّ الأكرم أشرف و أرفع و أجلّ من أن يحتمل الله منه تبليغ الحكم و عدم تبليغه، و هو القائل جلّ من قائل: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} ١.

فعلى هذا نرى أنّ هذه الجملة الشرطية مفادها و

مؤدّاها التهديد كما

١ الآية ٢٤، من السورة ٦: الأنعام.

يبدو من ملاحظتها؛ بيد أنها في الحقيقة إعلان لغير رسول الله يبيّن لنا مدى الأهميّة التي يتّسم بها هذا الأمر النازل، و عذر رسول الله في تبليغه.

السادس: قوله: **{ وَ اللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ**

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }. و يدلّ الشقّ الأوّل من الآية على أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم كان قلقاً خائفاً من الناس في تبليغ هذا الحكم؛ أمّا الشقّ الثاني منها فهو بمنزلة الجملة التعليليّة للجملة الاولى. ذلك أنّ الله يلجم كافّة الفئات المعارضة، و لا يمكنها من بلوغ الأسباب التي تستطيع من خلالها أن تنازع النبيّ و تحاصمه، و تنهض للإطاحة بدينه و نظامه. فيعطّل تلك الأسباب و يبطلها. و بالتالي فإنّها لن تفلح في منازعته على هذا الأمر.

و نرى هنا **أولاً**: أنّ الآية ذكرت العصمة من الناس بصورة مطلقة، و لم يبيّن لنا طبيعة الانتهاكات التي يعصم الله نبيّه من مقترفها، كإيذائه جسدياً بالقتل أو السمّ، أو القتل غيلة (الفتك و الاغتيال)، أو النيل من سمعته

بالسبِّ و اللعن و الشتم و الافتراء و الاتِّهام؛ أو مناوآته
بأساليب اخرى كشويه سمعة النبوة و حرف خطِّها
بالمكر و الخدعة و الكيد و الحيلة؛ و بصورة عامّة، فإنَّ
الآية سكتت عن بيان ذلك. و هذا يفيد التعميم، إذ إنَّ الله
يعصمه من كلِّ ما شأنه مسّ الدين و الإضرار به. و ما يدلُّ
عليه سياق الآية حتماً هو حدوث فتنة تؤدِّي إلى انقلاب
أمر النبوة على النبيِّ، و تضيّع جهوده في رفع لواء الدين و
إعلاء كلمة التوحيد و العدل، و تعبيد الناس لربِّ
العالمين.

ثانياً: ذكرت الآية كلمة «الناس» مطلقة لتدلّ على أنّ
سوادهم يضمّ المؤمن و المنافق و الذين في قلوبهم
مرض، فهم خليط لا تمييز بين أجزاءه.
و على هذا، فلو قدر أنّ يكون هناك خوف من الناس،
فينبغي أن

يُخَافُ مِنْ عَامَّتِهِمْ؛ وَ الْجُمْلَةُ التَّعْلِيلِيَّةُ: {إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} تُشْعِرُ بِهَذِهِ النِّكْتَةَ.

ثالثاً: ليس المراد بالكافرين هنا المشركين أو اليهود

و النصارى، بل الكفر هنا بمعناه العام المتمثل بإخفاء

الحق و التعقيم عليه. كما جاء في الآية ٩٧ من السورة ٣:

آل عمران: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

إذ تدلّ على هذا الضرب من ضروب الكفر بالمعنى العام

و المطلق؛ و كما سنلاحظ أنّ المراد من الكفر ليس

الاستكبار و إنكار أصل الدين الذي يتحقق بالامتناع عن

أداء الشهادتين؛ ذلك لأنّ الكفر بهذا المعنى لا ينسجم مع

مورد الآية، إلا أن نقول بأنّ المراد من قوله: {مَا أَنْزَلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} هو مجموعة الأحكام و التعاليم الدينية،

و هو بجانب للصواب كما سنقف عليه.

رابعاً: المراد من عدم هداية الله، هو عدم هدايتهم في

كيدهم و مكرهم؛ بحيث إنّهم لا يظفرون ببلوغ أهدافهم

من خلال التشبّث بالأسباب الدنيويّة الجارية؛ و لا تتحقّق

آمالهم في الشرّ و الفساد، كما جاء في الآية ٦، من السورة
٦٣: المنافقون: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

و أمّا القول بأنّ المراد من عدم الهداية، هو عدم
هدايتهم إلى الإيمان، فهو غير صحيح؛ لأنه يتنافى مع أصل
الدعوة النبويّة و تبليغها؛ إذ لا معنى أن يقول الله: يا نبينا!
ادع الكافرين إلى الإسلام و حكم الله؛ و أنا لا أهداهم؛ و
لا أدلّهم على سبيل الإيمان إلّا عند إلقاء الحجّة!

يضاف إلى ذلك أننا نرى رأي العين أنّ الله لا يزال
يهدي الكافرين؛ فيدخلون في الإسلام فوجاً فوجاً، و قد
وعد سبحانه بهدايتهم، فقال عزّ من قائل: {وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الآية ٢١٣، من السورة
٢: البقرة).

فاستبان لنا ممّا تقدّم أنّ المراد من عدم هداية
الكافرين هو أنّ الله

يضيق عليهم الخناق و لا يدعهم أحراراً في أداء
مهامهم و تحقيق مقاصدهم. و لا يطلق لهم العنان في
إطفاء نور الله و تعطيل أحكامه النازلة من لدنه
باستخدامهم الأسباب الدنيويّة العامّة. ذلك لأنّ
الكافرين و الظالمين و الفاسقين، بما يضمرون من سوء
السريرة و خبث النية، يلجأون إلى أسباب يتغنون من
ورائها تغيير المسار الربّانيّ، فينظرون من خلال ذلك
بتحقيق أمانيتهم الباطلة المتمثّلة بمحو الدين و كلمة
الحقّ. و في هذه الحالة، نرى أنّ الله سبحانه يوصد الطريق
الذي تجري فيه الأسباب الصوريّة، فيحول بينهم و بين
الوصول إلى غاياتهم و مسبّباتها. ذلك لأنّ سببيّة الأسباب
بيده جلّت قدرته؛ فلن تغلبه الأسباب التي خلقها بيده
أبداً أبداً، و حاشا له أن يكون مقهوراً و مغلوباً بها.

علماً أن هؤلاء قد يبلغون أهدافهم يوماً، و يصلون إلى
ما يطمحون إليه في مدّة قصيرة و يستعلون بخيلائهم و
يستكبرون، غير أنهم سرعان ما تُنكسّ أعلامهم و يحيق

بهم مكرهم. و قد قال جلّ من قائل: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} ١.

و قال: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا
الزَّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي
الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} ٢.

و محصل ما ذكرنا هو أنّ قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} في حكم التعليل و التفسير لقوله: {وَإِنْ
لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ}؛ و المراد من العصمة، حفظ
رسول الله من الأضرار التي تصل إليه بدون أن يبلغ
هدفه، و يحقق طموحه في رفع لواء، الحمد و التوحيد
باتّهامه بحبّ الدنيا، أو قتله

١ الآية ٤٣، من السورة ٣٥: فاطر.

٢ الآية ١٧، من السورة ١٣: الرعد.

بدون أن تؤتي البعثة اكلها.

و أمّا إذا أردنا أن نأخذ الآية على إطلاقها و نقول: إنّ

الله يحفظ رسوله من كلّ سوء، فهو ما يتعارض مع الآيات

القرآنيّة و الأحاديث و مسيرة التأريخ المعلوم. و كم

عانت و قاست نفسه الشريفة صلّى الله عليه و آله من أمّته،

سواء من كفّارها، أم منافقيها، أم مؤمنيها؛ و كم ذاق من

الهموم و الآلام التي لا تتحملها أيّ نفس: إلّا نفسه

الشريفة، حتّى قال في الحديث المشهور: **"مَا أَوْذِيَ نَبِيٌّ**

مِثْلَ مَا أَوْذِيَ قَطُّ".

فظهر ممّا عرضناه أنّ مفاد الآية في غاية الأهميّة؛ و لعلّ

هذه الآية أهمّ الآيات الواردة في القرآن الكريم. و هذه

الآية هي الآية ٦٧ من سورة المائدة؛ و سورة المائدة آخر

سورة نزلت على رسول الله صلّى الله عليه و آله في

المدينة. و نزلت كلّها أو نزل أكثر آياتها في حجّة الوداع،^١

و أتفق المفسّرون جميعهم على أنها من السور المدنيّة؛

١ «الإتقان» الطبعة الاولى، ج ١، ص ٢٣. أخرج عن محمّد بن كعب، عن طريق

أبي عبيد: أنّ سورة المائدة نزلت في حجّة الوداع بين مكّة و المدينة.

ذلك لأنهم يسمّون السور النازلة بعد الهجرة: مدنيّة، مع
أنه صلّى الله عليه وآله كان مسافراً.

بيد أنّ الملحوظ هو أنّ آية قد سبقت هذه الآية، و آية
جاءت بعدها، وهما تتحدّثان عن أهل الكتاب. و هذه
الآية قد توسّطتهما. فالآية السابقة هي:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ
مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ
أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعمَلُونَ}. (الآية

(٦٦).

و الآية اللاحقة هي: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } . (الآية ٦٨).

فالآية التي هي مدار بحثنا (آية التبليغ) تتوسّط الآيتين؛ و هذا ما يستدعي العجب؛ ذلك لأننا لا نلاحظ أيّ صلة بينها و بين ما سبقها و لحقها من آيات، و منها هاتان الآيتان؛ و لا يمكن القول حقاً: إنّ آية التبليغ تبليغ بشأن أهل الكتاب. و لذلك جاءت في تضاعيف الآيات التي تحدّثت عن أهل الكتاب.

ذلك أننا أولاً: نلاحظ أنّ الآيتين اللتين تتحدّثان عن أهل الكتاب لا تحمّلان أكثر من تعاليم عامّة و دعوات كليّة، فأنى تكون هناك حاجة إلى آية التبليغ لتتوسّطها بلهجتها الشديدة الحادّة؟!!

ثانياً: نزلت سورة المائدة في المدينة في آخر حياة الرسول الأعظم، و كان الإسلام حينئذٍ قد بلغ ذروته عزّة

و شوكة؛ و كان الكفار و المشركون و اليهود و النصارى
في الحضيض مخدولين منكوبين بائسين. و لا سطوة لهم
حتى تكون هناك حاجة إلى تبليغ حكم من الأحكام يخشى
رسول الله من تبليغه، فيعده الله بالعصمة و الوقاية.

و نجد إبان هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه و
آله إلى المدينة، أنّ أهل الكتاب لا سيّما اليهود قد بدت
منهم العداوة و البغضاء، و أنهم آزرُوا كفّار قريش في
الحروب؛ و تحالفوا معهم؛ و شكّلوا الأحزاب؛ فظهرت
قضية بني قُرَيْظَةَ، و بني النَّضِير، و بني الْقَيْنَقَاع، و بالتالي
يهود خَيْبَر و فدك. و قد خُذِل هؤُلاء أجمع و لم تقم لهم
قائمة. يضاف إلى ذلك، أنّ الآية لا تضمّ أمراً شديداً و
حكماً حاداً يرتبط باليهود. علماً أنّ تعاليم قد وردت في
مواضع عديدة من القرآن الكريم، قد كانت أشدّ و أمرّ و
أثقل على

اليهود؛ و مع ذلك فإنّ اسلوب الخطاب الموجه للنبيّ لم يكن كاسلوب آية التبليغ. من جهة اخرى فإنّ النبيّ العظيم صلّى الله عليه وآله و سلّم قد كُلف بمهامّ أشدّ و أثقل كتبليغ التوحيد، و إلغاء عبادة الأصنام و قطع دابرها من الوسط الذي يعيش فيه كفار قريش و مشركو العرب. و كان هؤلاء أكثر حرصاً من اليهود على إراقة الدماء، و أشدّ منهم فظاظَةً و غلظة. و مع ذلك نلاحظ أنّ الله جلّ شأنه لم يهدّد نبيّه في تبليغهم كما هدّده في هذه الآية موضع البحث، و لم يضمن له العصمة في ذلك التبليغ كما ضمن له فيها. و الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في هذه السورة تؤلّف أغلب آياتها؛ و من المؤكّد أنّ آية التبليغ قد نزلت في هذه السورة، في وقت كانت صولة اليهود مندحرة، و قد شملهم الغضب الإلهيّ و عمّهم، إذ كانوا {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}، فما جدوى أن تنزل آية التبليغ بهذه الخصوصيّة فيهم و في النصارى؟ فلقد كانوا حينئذٍ في قبضة الإسلام محتمين في كنفه. علماً أنّنا نرى أنّ يهود نجران و نصاراها- و كانوا أكثر تعصّباً

من غيرهم- قد انصاعوا لدفع الجزية آنذاك؛ فما هو
المعنى من التهديد الإلهي- إذن- في ظلّ تلك الظروف
التي كان الإسلام ماسكاً فيها بناصية الامور، و أعتتها
بيده؟

و على هذا فما ذكره الفخر الرازي، و من تبعه من
بعض المفسرين الآخرين من العامّة كمحمد عبده في
تفسير «المنار»^١ من أنّ الآية تتعلّق بأهل الكتاب كما يفيد
سياق الآيات مجرّد عن التحقيق و عارٍ من المحتوى
الصحيح؛ و السبب- مضافاً إلى ما ذكر- هو أنّ إقحام آية
في سياق آيات اخر لا يقبل المعارضة مع الدليل القطعي،
و الروايات و الأخبار المأثورة عن

علماء العامّة و كبارهم، المثبتة في كتبهم، و المروية
عن كبار الصحابة و التابعين. و أنى لنا أن ننفذ أيدينا عن
الدليل القطعيّ و الحجّة العقلائيّة بمجرّد حفظ السياق،
في حين أنّ السياق ليس أكثر من الظهور الإجمالي لا غير؟

١ تفسير «مفاتيح الغيب» ج ٣، ص ٦٣٦؛ و «تفسير المنار» ج ٦، ص ٤٦٧.

و من هذا المنطلق، لَمَّا اخرج كثير من مخالفي الولاية
من العامّة، قالوا: إِنَّ آية التبليغ نزلت في مكّة إِبَّان البعثة
النبويّة؛ و إنّها ترتبط بكفّار قريش؛ و لسان حالها يقول: لا
ترك التبليغ! و لا تقصّر في إيصال الآيات إلى كفّار قريش!
و إذا لم تفعل فكأنك لم تقم بمهمّة النبوة و لم تؤدّ حقّها! و
الله يحفظك من شرّ الكفار! و هكذا، فهذه الآية مكّيّة و قد
جاءت في سورة المائدة المدنيّة.

و هذا الكلام أيضاً بعيد عن التحقيق للسببين
التاليين: **أوّلاً**: أنّ الآيات النازلة في بدء البعثة لم تعرف
بالشدّة و الحدّة و التهديد، بل كانت مرنة ليّنة، كقوله جلّ
من قائل: **{ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }** إلى آخر السورة
٩٦: العلق. و كقوله: **{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ • }** و
رَبِّكَ فَكَبِّرْ } إلى آخر السورة ٧٤؛ و كقوله: **{ فَاسْتَقِيمُوا
إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ }** ١.

١ الآية ٦، من السورة ٤١: حم السجدة.

لم يكن خوف رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسه

ثانياً: أنّ رسول الله لا يخشى أحداً في مقام طاعة الله و
تبليغ أحكامه؛ و مقام النبيّ الأكرم أشرف و أجلّ من أن
لا يضحّي بنفسه في سبيل الأمر الإلهي، و يضمنّ بها في
طاعة الله و يرفض أن يسفك دمه فهذا الكلام- و
الوجدان شاهد- تكذّب سيرته الشريفة التي ترجمتها حياته
المباركة.

يضاف إلى ذلك، أنّ ما نقله الله لنا عن أنبيائه يدحض

هذا الكلام

و يدفع قول القائلين بأنهم كانوا يخشون و يخافون من

الناس. فقد قال: سبحانه:

{ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ

اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا

• الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يُخْشَوْنَهُ وَ لَا يُخْشَوْنَ

أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا }^١.

فلا بدّ أن نعلم أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله و

سائر الأنبياء عليهم السلام في ضوء هاتين الآيتين لا

يعرفون الخوف و الفزع في مقابل المسئوليّة الإلهيّة و تنفيذ

الأوامر الصادرة من الذات الأحديّة. فمقام النبوة و

الاتّصال بعالم الغيب، و الانس بالموجودات المجرّدة، و

الأنوار البسيطة و العقول الكاملة، و الملائكة المقرّبين،

و الذات و الصفات و الأسماء الإلهيّة لا يدع لهم مجالاً

للتشغف و الولع بالجسد المادّيّ و القلب الطبعيّ و

الطبعيّ.

^١ الآيتان ٣٨ و ٣٩، من السورة ٣٣: الأحزاب.

و لهذه الآية ظهور يتجسد في أنّ النبي لا يعرف
الخوف و الحرج تكوينيّاً؛ و كذلك سنّة الله في الأنبياء
الذين خلوا، فإنهم أيضاً لم يعرفوا الحرج و الخوف تكوينيّاً.
و ما يستدعيه مقام النبوة هو الشجاعة و رباطة الجأش
بحيث إنّ حبّ و جاذبيّة الله اجتذبتهم إلى درجة أن غرقوا
و انمحووا حيث لا يرون إلّا جمال الله و جلاله، و لا يرون
لكائن آخر أصالة فيخافون منه؛ و في ظلّ هذه الأجواء لا
يعرفون جسداً و قالباً و سوءاً و ضرراً و قتلاً و فتكاً و غير
هذه الأشياء، و لا يكثرثون بها؛ و ليس عندهم إلّا الله و
كفى وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ فَحَسْبُ. قد
غشيتهم خشيته، و أحاطت بهم حتّى جعلتهم لا يبالون
بأحد و لا يخشونه مهما كان.

و قد حذر الله المؤمنين و حظر عليهم الخوف من

الشیطان و أولیائه،

فقال جلّ من قائل: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ

أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنِّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ١.

و قد أثنى الله على المؤمنين الذين أخافهم الناس فلم

يخافوا، فقال جلّ شأنه: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا

اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ٢.

و كذلك فليس من الصواب أن نقول: إنّ النبيّ كان

يخاف القتل، فيبطل بالنتيجة مفعول الدعوة إلى الله؛ و

يذهب عطاء النبوة سدي؛ فعلى هذا كان يرجئ القيام

بمهمّة ما انزل؛ لكي لا تترتب هذه المفسدة على ذلك؛ و

قد خاطبه الله تعالى بقوله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ٣.

لأنّ الله تعالى غير عاجز أن يحيى الإسلام و الدعوة إلى

التوحيد عند مقتل نبيّه صلى الله عليه و آله بسبب آخر و

وسيلة اخرى غير نبيّه الكريم.

١ الآية ١٧٥، من السورة ٣، آل عمران.

٢ الآية ١٧٣، من السورة ٣: آل عمران.

٣ الآية ٢٨، من السورة ٣: آل عمران.

أجل، فالمعنى الصحيح لخوف رسول الله، الذي
يمكن استنباطه من قوله: {وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}
هو فقط أنّ النبيّ كان يخاف من تبليغ الأمر أن يتّهموه تهمة
يذهب معها أثر الدعوة هباءً منثوراً، ولا تعوّض جهوده
المحمودة المباركة في الدعوة و التبليغ. كأن يقولوا مثلاً:
هذه ليست نبوة، بل هي حكومة دنيوية و رئاسة مادّية و
تحكّم و تسلّط على الناس في زيّ النبوة و الرسالة
الظاهرية. إنّهُ أمر سقيم أجوف، و دليله أنه لَمَّا شعر بدنوّ
أجله، صمّم على أن يورث أعقابه الرئاسة كما يفعل
سلاطين العالم و حكامه. و لَمَّا لم يكن له ابن يرثه، فقد
نصب صهره خليفة له.

فهذه التهمة إن آتت أكلها، فقد اندرس أثر الدعوة النبويّة و عفى و بطل مفعول الرسالة و ضاع سدى.

نعم، كان هذا الاجتهاد و الرأي جائزين بشأن رسول الله. و كان صلّى الله عليه و آله مأذوناً في ممارسة هذا النهج بلا خوف يعترى نفسه الشريفة.

آية التبليغ لم تنزل في أول البعثة

و من هنا يستبين لنا أنّ قول بعض المفسّرين إنّ الآية نزلت في بدء البعثة النبويّة غير صحيح، لأنّ النزول في بدء البعثة يستساغ فقط عند ما يكون معنى العصمة من الناس أنّ النبيّ يماطل في إنجاز التبليغ و الدعوة خوفاً على نفسه من القتل. و لو قتل حينئذٍ، فإنّ لواء الدعوة ينكّس تماماً. و هذا الاحتمال لا يصدق على الرسول الأكرم، فالآية- إذن- لم تنزل في بدء البعثة.

يضاف إلى ذلك، أنّ الآية لو كانت نازلة في بداية البعثة، لكان المراد بقوله: {مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} أصل الدين أو مجموعة الأحكام و المسائل الدينيّة. فلا تعدّ هناك مسألة هامّة خاصّة حتّى يساوي عدم تبليغها

عدم تبليغ أصل الرسالة. و في ضوء هذا الافتراض، فإن
معنى قوله: **{وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}**، يتمثل
في القول: أيها النبي؟ بلِّغ الدين، و إن لم تفعل ذلك؛ فما
بلَّغْتَ الدين! و هذا كلام خاطيء.

و قال الفخر الرازي رفعا لهذا الإشكال: إن هذا جارٍ
على قانون قوله: «أنا أبو النجم و شعري شعري»، و معناه
أن شعري قد بلغ في الكمال و الفصاحة إلى حيث متى قيل
فيه إنه شعري فقد انتهى مدحه إلى الغاية التي لا يمكن أن
يُزاد عليها. فهذا الكلام يفيد المبالغة من هذا الوجه.

فكذا ههنا: فإن لم تبليغ رسالته فما بلَّغْتَ رسالته؛ يعني
أنه لا يمكن أن يوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنه
ترك التبليغ. فكان ذلك تنبيهاً

على غاية التهديد و الوعيد.

و هذا الكلام الصادر عن الإمام الرازيّ غير صحيح؛ لأنّ هذا الضرب من الصناعة الشعرية في الحالات التي يتحقّق فيها حمل الخبر على ذلك العنوان صحيح عند ما يكون بينها اختلاف من قبيل اختلاف العامّ و الخاصّ أو المطلق و المقيّد و أمثال ذلك؛ و بهذا السياق ندلّ على اتّحاد المعنيين في القضية الحملية، كشعر أبي النّجم الذي يفيد أنّ شعره هو شعره الصادر عنه. أي: لا يخال أحد أنّ قريحته الشعرية قد جفّت و نضبت فلا تبضع، أو أنّ نوائب الدهر قد أرهقتة و أضنته، و عطّلت قريحته عن إبداع شعر كشعره السابق. فشعره اليوم من حيث الفصاحة و البلاغة كشعره الذي أنشده أمس.

إلا إنّ هذا اللون من التبرير لا يصحّ في آية التبليغ؛ لأنه بناءً على افتراض نزولها في أوّل البعثة، فإنّ رسالة الرسول الأعظم التي تمثّل أصل الدين أو مجموعة الأحكام الدينية كانت أمراً واحداً لم يعتره التغيير و التبديل و الانحراف حتّى يقال: لو لم تبليغ الرسالة؛ لو لم

تبلّغ أصل الرسالة! ذلك لأنّ المفروض هو أنّ رسالة رسول الله هي أصل الرسالة التي تمثّل مجموعة المعارف الدينيّة.

و من هنا يُستفاد أنّ الآية لا تصلح أن تكون نازلة في بدء البعثة. كما لا يصلح أن يكون { مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } هو أصل الدين أو مجموعة معارفه و أحكامه. و لهذا السبب لا تصلح الآية أن تكون نازلة في وقت آخر حتّى آخر حياة رسول الله؛ فيما لو كان المراد من قوله: { مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } مِنْ رَبِّكَ } أصل الدين أو مجموعة معارفه. لأنّ الإشكال - مهما كان - واحد، و هو لزوم اللغو في كلام الله الذي يعود مفاده إلى القول: لو لم تبلّغ أصل الدين أو مجموعة أحكامه؛ فما بلّغت أصل الدين أو مجموعة أحكامه! و يضاف

إلى ذلك أنّ الإشكال المتمثّل بتّهيب رسول الله و
خوفه على نفسه يظلّ قائماً في هذه الحالة، حتّى لو لم تكن
الآية قد نزلت في بدء البعثة.

و اتّضح ممّا قلنا أنّ المراد من وجوب تبليغ النبيّ في
هذه الآية لا يمكن - في أيّ حال - أن يكون أصل الدين
أو مجموعة معارفه، فلا مناص من أن نجعله بعض الدين.
و في هذه الحالة أيضاً لو كان معنى قوله: {فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ} هو تبليغ بعض الدين، فإنّ الإشكال نفسه
يتكرّر. إذن لا حيلة لنا إلّا أن نعتبر المراد من الرسالة هو
الدين كلّهُ أو أصله؛ و في هذه الحالة يصبح المعنى كالآتي:
لو لم تبّلع هذا الحكم الخاصّ النازل إليك، فما بلّغت
أصل الدين أو مجموعة أحكامه! و هذا المعنى صحيح و
مقبول، و يمكن تبريره بهذا الشكل ككلام أبي النجم:
شِعْرِي شِعْرِي.

الحكم المبلّغ ينبغي أن يكون أمراً مهماً جداً

و قال البعض: لَمّا كانت معارف الدين و أحكامه
كلّها مترابطة بحيث إنّ الخلل في بعضها يبعث على الخلل

في جميعها، لبساطة أمر النبوة و كمال الربط و الارتباط في
شئونها، بالأخصّ في تبليغها؛ لذلك من الصحيح أن يقال:

لو لم تبلغ هذا الحكم، فما أدت الرسالة!^١

و هذا المفاد صحيح، بيد أنه لا ينسجم مع ذيل الآية،

لأنّ قوله: { وَ اللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } يدلّ على أنّ جماعة من الكافرين كانت

تهمّ بمخالفة هذا الحكم النازل؛ أو على الأقلّ كان يتوقّع

منها أن تثب لمخالفة هذا الحكم مخالفة شديدة، و

تستخدم كلّ وسيلة ممكنة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً؛

فتبطل هذه الدعوة؛ أو تعطلّ

١ «تفسير الجواهر» للطنطاوي، ج ٣، ص ٢٠١. طبعة مصطفى الباي الحلبيّ

بمصر، الطبعة الثانية؛ نقلاً بالمعني لا بالنصّ.

مفعولها فلا تعدّها فائدة تذكّر. و عندئذ يعدّ الله نبيّه

أن يحفظه و يعصمه من كيدها، و يبطل مكرها، و يحول بينها و بين أهدافها.

و هذا المفاد من ذيل الآية لا ينسجم مع أيّ حكم يمكن فرضه في صدر الآية. لأنّ أحكام الإسلام و معارفه مع أنها ليست على درجة واحدة من الأهمّيّة؛ فبعضها كالصلاة التي تعتبر عمود الدين، و بعضها كالدعاء عند رؤية الهلال في الليلة الأولى من الشهر، و بعضها شديد كزنا المُحصّنة، و بعضها لا يبلغ تلك الشدّة كالنظر إلى غير المحارم. و الإخلال بكلّ حكم من هذه الأحكام من حيث ترابطها و تماسكها إخلال بأصل الدين؛ إلّا أنّ تهيب رسول الله، و الوعد بعصمته في التبليغ لا ينسجمان مع أيّ حكم من هذه الأحكام و أمثالها.

و في ضوء ذلك، ينبغي أن تكون الملازمة بين عدم تبليغ هذا الحكم الخاصّ النازل، و بين عدم تبليغ أصل الدين و عدم أداء الرسالة بصورة عامّة تبعاً للأهمّيّة الكامنة في هذا الحكم، بحيث إنّ لو أهمل فكأنّ الشريعة

قد أهملت و ابطلت أحكامها و معارفها و دفنت بين
طيّات النسيان. فكأنّ هذا الحكم بمنزلة الروح التي تنفخ
الحياة في جسد الشريعة و أحكام الدين فتحييها و تبعث
فيها الشعور بالحسّ و الحركة. و من هنا يمكننا استنتاج
دلالة الآية على أنّ الله قد أمر نبيّه أمراً و أرسل حكماً
يكتمل به الدين، و تتمّ به الشريعة إذ تبلغ درجاتها
المتوقّعة لها؛ و ترسو به سفينة النجاة في مرفأها المحدّد
لها. و يُتَنظَر حينئذٍ أن يعارض الناس، و يقلبوا أمر النبوة
على النبيّ، و يشوّهوا وجه الشريعة، بحيث تُنَسَفُ دعائم
الدين التي أرساها الرسول الأكرم بيده، و تُهَشَّمُ أركانه و
أجزاؤه؛ و كان النبيّ العظيم يدرك هذه المسألة، و يتفرّس
في وجوه القوم ما هم عازمون عليه، و يخشى من ظهور
هذه اللقطة على مسرح الأحداث. فلهذا كان يرجئ تبليغ
هذا

الحكم الذي يمثل روح الدين، و يؤجّله من وقت إلى آخر ريثما يتاح الظرف المناسب و الجوّ الهادئ المساعد، فيصدع به مبلغاً أمر الله حتّى لا تذهب جهوده و مساعيه أدراج الرياح.

ينبغي أن تكون آية التبليغ قد نزلت بعد انتشار الإسلام

و هنا يأمر الله نبيّه بالتبليغ الفوريّ، و يبيّن له خطورة الحكم، و يعده بالعصمة، و يؤمّله و يطمئنه أن يردّ كيد الأعداء في نحورهم، و يضيق عليهم الخناق فلا يظفروا بأهدافهم المشئومة، و لا يطلق لهم العنان فيتلاعبوا بأمر النبوة؛ و يضيّعوا الدعوة النبويّة سدىً.

و خوف النبيّ صلّى الله عليه و آله من قيامهم بهذا العمل كان في عصر ذيوع صيت الإسلام، و طبعاً لا بدّ أن يكون في المدينة، و بعد سنين من الهجرة، لأنه لم يكن هذا الخوف من كفّار مكّة قبل الهجرة.

و قد عرض القرآن الكريم كلام المشركين و طبيعة مناوءتهم، كقوله: {مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ}. و قوله: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}. و قوله: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا

فَهِيَ تُمَلِّي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.^١ و قوله: {أَنْ أَمْشُوا
وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}.^٢

و هذه و أمثالها ليست بشيء حتى تؤدّي إلى تضعف
أركان الدين و نسفها. بل هي تدلّ على أنّ قوم النبيّ (كفار
قريش) كانوا مضطربين في أمرهم غير مستقيمين في
سيرتهم.

يضاف إلى ذلك كلّ، أنّ هذه التهم و الافتراءات، و
هذه العراقيل

١ الآية ٤٤، من السورة ٤٤: الدخان.

٢ الآية ٤٧، من السورة ١٧: الإسراء.

و العقبات لم تكن بدعاً من الأمر في عهد نبينا الكريم
فيقلق من جرّائها، و يتهيّب من وقوعها عند ما يتفرّس في
وجوه أصحابها. فسائر الأنبياء كانوا شركاء لنبينا في
الابتلاء بالمصاعب و تحمّل مشاق الدعوة. و قد آذتهم
أهمهم بشتى صنوف الإيذاء. كما نجد ذلك في القرآن
الكريم إذ تحدّث بالتفصيل عمّا لاقاه نوح و الأنبياء الذين
جاءوا بعده.

و أمّا بعد الهجرة و استقرار الدين في المجتمع
الإسلامي، فإنّ تصوّر هذا الأمر بسيط جدّاً؛ ذلك لأننا
نجد بين المسلمين، في تلك البرهة الزمنية، مختلف
الأشخاص من مؤمنين، و منافقين، و رموز كانت
تتجسّس في الخفاء لمصلحة الكفار، و أشخاص في
قلوبهم مرض.

خوف رسول الله صلى الله عليه و آله من اتّهامه بالتفكير في المصلحة الخاصّة

و مع أنّ هؤلاء قد آمنوا بالنبّي الأكرم، إلّا أنهم كانوا
يتعاملون معه كملك من الملوك، و ينظرون إليه كحاكم
سياسي لا يختلف عن غيره من الحكّام الدنيويين. و

يتعاملون مع القرآن الكريم، و هو وحي سماوي، كما
يتعاملون مع القوانين الوضعية الظاهرية البشرية.

و هذا التفكير الذي يسود عامة الناس كان يمهد
الأرضية لهؤلاء أن يتآمروا ضدّ الشريعة فيما إذا أتى رسول
الله بحكم تشوبه المصلحة الشخصية. ويقولوا: هذه هي
الملكية الاستبدادية التي تكمّست النبوة فظهرت للناس
بثوب الرسالة.

و هذه الشبهة لو تحققت عملياً، و أفلح الحزب
المنافس في ترسيخها، و تمكّن من بثّها، فإنّ ثغرة كبيرة
ستحدث في الدين و يتعدّر رتقها، و يعجز كلّ مصلح عن
إصلاحها. و من الطبيعي أنّ النبيّ الكريم صلى الله عليه
و آله كانت له بعض المزايا و الامور التي اختصّ بها، و
التي قد يُتوهم منها المصلحة الشخصية. إلا أنّها لم تكن
على درجة من الأهميّة بحيث تتخذ ذريعة لإثارة الضوضاء
و الشغب. كما نجد ذلك في قضية

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَ طَلَاقَهُ زَوْجَتَهُ زَيْنَبَ ابْنَةَ عَمَّةِ النَّبِيِّ،
و زَوَاجَ النَّبِيِّ مِنْهَا وَ هِيَ زَوْجَةُ ابْنِهِ بِالتَّبْنِيِّ. وَ نَجِدُ ذَلِكَ
فِي اسْتِثْنَائِهِ بِخَمْسِ الْغَنَائِمِ، وَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ، وَ أَمْثَالِ
هَذِهِ الْأُمُورِ.

ذَلِكَ لِأَنَّ جَوَازَ الزَّوْجِ مِنْ زَوْجَةِ الْمُتَبْنِيِّ الْمُطَلَّاقَةِ لَمْ
يُخَصَّ رَسُولَ اللَّهِ. وَ قَدْ طُبِّقَ هَذَا الْحُكْمُ عَلَى نَفْسِهِ لِأَوَّلِ
مَرَّةٍ لِيَهَيِّئَ الْأَرْضِيَّةَ لِتَطْبِيقِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ.
وَ لَوْ كَانَ زَوَاجُهُ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعٍ نَابِعًا مِنْ هَوَى النَّفْسِ،
وَ لَيْسَ فِيهِ إِذْنٌ إِلَهِيٌّ، لَمَا ضَنَّ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ ذَلِكَ أَنَّ
سِيرَتَهُ فِي إِثَارِ الْمُسْلِمِينَ وَ تَقْدِيمِ مَصَالِحِهِمْ عَلَى مَصْلَحَتِهِ
الْخَاصَّةِ فِيهَا كَانَ لِلَّهِ وَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ غَيْرِهَا لَمْ تُبْقِ أَيُّ
شَكٍّ وَ شَبْهَةٍ فِي أَنَّ ذَلِكَ الزَّوْجَ كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ بَعِيدًا عَنِ
الْمَصْلَحَةِ الْخَاصَّةِ.

وَ يَسْتَبِينُ مِنْ هَذَا جَيِّدًا أَنَّ آيَةَ التَّبْلِيغِ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ
الْحُكْمَ النَّازِلَ حَكْمًا قَدْ يُتَوَهَّمُ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ الْخَاصَّةُ
لِرَسُولِ اللَّهِ، وَ اسْتِثْنَائِهِ بِبَعْضِ الْمَكَاسِبِ وَ الْإِمْتِيَازَاتِ
الْحَيَوِيَّةِ الَّتِي يَطْمَحُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ؛ وَ تَبْلِيغُهُ يُؤَدِّي إِلَى حَرَمَانِ

سائر الناس . و كان يتهيب من إبلاغه، فأمره الله بذلك، و وعده بعصمته من المعارضين، و أخبره بعدم ظفرهم في كيدهم.

إنّ ما استعرضناه من بحث بشيء من التفصيل، كلّه يدعم النصوص المستفيضة المأثورة عن طرق الشيعة و السنّة الدالّة على أنّ الآية نزلت في وَلايَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَام؛ و الله تبارك و تعالى أمر بتبليغها؛ و رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَتَهَيَّبُ مِنْ أَنْ يَتَّهَمَ فِي ابْنِ عَمِّهِ؛ و لهذا كان يرجئ الإعلان عنها ريثما تحين الفرصة المناسبة. حتّى إذا آن أوان غدیر خُمّ، أصبحراً بالأمر، أخذاً بيديّ عليّ تحت السّمّرات في تلك الفيّفة القريبة من الجحفة، و هما على أحداج الإبل، و الحجاج الذين عادوا معه من مكّة يشهدون ذلك؛ و بعد أن ألقى خطبته البليغة، أرى الناس كلّهم عليّاً، و هو يقول: **مَنْ كُنْتُ** **مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ.** و لا يخفى فإنّ ولاية الامّة ليست من

الامور التي تكتم و تستتر؛ و يرتاب أحد في لزومها و ضرورتها.

و نحن نرى من وحي العقل و الفطرة أنّ كلّ صاحب مسؤوليّة إذا أراد أن يغيب، فإنّه لا يترك اموره و شؤونه عبثاً، بل يفوضها إلى من كان أميناً كفوءاً ليضطلع بها نيابة عنه. و العالم الذي يدنو أجله يخوّل معلّماً أميناً للقيام بتربية طلابه. و الطبيب الذي يفارق الدنيا يوصي طبيباً أميناً بعيادته. و التاجر، و الكاسب، و الزارع، و حتّى الحماميّ، فإنّهم إذا شارفوا الموت أو غابوا لفترة قصيرة، لسفر مثلاً، ينيطون شئونهم بشخص آخر للقيام بها. و حتّى بائع البنجر الذي يضع بنجره المطبوخ في طست و يقف في رأس الزقاق منادياً بأعلى صوته: بَنَجْرَ بَنَجْرَ! فإنّه إذا أراد الذهاب لقضاء حاجته أو للصلاة، يكلّف كاسباً قريباً منه أن يحرس طسته و ميزانه و بنجره و كلّ ما يتعلّق به، و هذا كلّه لا يساوي في القيمة درهماً زهيداً. و إن لم يفعل هؤلاء ما من شأنه القيام بامورهم، فإنّهم يُلامون و يذمّون. و يقول الناس: ما خطب الحماميّ؟ هل أصابه مسّ من

جنون حتى يترك حمامه مفتوحاً دون أن يكلف أحداً
بحراسته؟ و ما بال التاجر؟ هل مُني بخطب أو عاهة إذ
يترك محله و يسافر بدون أن يخوّل أحداً حراسته؟

و هذا الأمر من البداهة بحيث إنّه لا يحتاج إلى
استدلال و برهان، و هو كما يقول أهل الأدب: مِنْ
الْقَضَايَا الَّتِي قِيَاسَاتُهَا مَعَهَا. و الوصيّة في مثل هذه الامور
من المسلّمات المقطوع بها.

فإذا علمنا هذا كلّه، فكيف يميز أحد لنفسه أن يخال
بأنّ ديناً كالإسلام لا يحتاج إلى وليّ أمر يقوم بشؤونه، و هو
الدين العالميّ الذي جاء لجميع الناس حتى يوم القيامة،
و فيه كلّ ما يحتاج إليه البشر، من أحكام

الطهارة الأولى حتى أعقد المسائل الغامضة في
التوحيد و المعارف الإلهية، و المبادئ الأخلاقية و
الأحكام الفقهية الفرعية العامة لجميع حركات الإنسان
على الصعيدين الفردي و الاجتماعي. و كيف يسمح أحد
لنفسه أن يظنّ بأنّ نبياً كمحمد صلى الله عليه و آله و سلّم
و هو العقل الكليّ، أن يرحل عن هذه الدنيا دون أن يوحي
لأحد بالقيام بشؤون الأمة؟ و يترك أمته كقطيع الأغنام
بلا راع يسوسها، فتكون عرضة لهجمات الذئاب، و
المحن المهلكة المدمرة، إذ لا رئيس و لا إمام و لا
مشرف و لا مدبّر و لا مدير يرهاها و يأخذ بيدها نحو
الصلاح؟

و هل الإسلام على عكس سائر الموازين و
المقرّرات العامة و القوانين فلا يحتاج إلى راع و حارس؟
و هل المجتمع الإسلاميّ و الأمة الإسلامية مستثناة من
سائر الامم و المجتمعات، فلا يحتاج إلى وائل ينظّم
شؤونها؟ و هل هي مستغنية عن وليّ أمر يجري امورها، و
يدير لها عجلة حياتها؟ و العالم المتبحّر الذي يطالع السيرة

النبويّة، و يقرأ فيها يجد أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كَانَ
إِذَا ذَهَبَ فِي غَزْوَةٍ، فَإِنَّهُ يُوصِي لِأَحَدٍ بِأَنْ يُضْطَلَعَ بِأَعْبَاءِ
الْمَسْئُولِيَّةِ خِلَالَ غِيَابِهِ فَلَا يَقِفُ دَوْلَابَ الْحَرَكَةِ عَنِ
حَرَكَتِهِ، فَكَيْفَ وَ بِأَيِّ تَبْرِيرٍ يُمْكِنُ إِقْنَاعُهُ بِأَنَّ النَّبِيَّ قَدْ
رَحَلَ عَنِ الدُّنْيَا وَ لَمْ يُوصَ بِالْخِلَافَةِ لِأَحَدٍ؟

وَ كُلَّمَا نَعَلِمُ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عِنْدَ مَا ذَهَبَ فِي
غَزْوَةِ تَبُوكَ، اسْتَخْلَفَ عَلَى الْإِمَّةِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؛ وَ عِنْدَ
مَا قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَخْلُفُنِي عَلَى
النِّسَاءِ وَ الصِّبْيَانِ؟!** أَجَابَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَائِلًا:

أَمَّا تَرْضَى أَنْ تُكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا

أَنَّهُ لَا نَبِيَّ

بَعْدِي؟! ١

و كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يرسل الولاة إلى الأمصار التي كانت في قبضة المسلمين كمكة، و الطائف، و اليمن؛ و كان يعين الامراء على الجيوش و السرايا التي كان يُشخصها إلى مختلف النقاط. فما الفرق بين حياته و موته؟ ألم تكن حاجة الناس إلى والٍ و قيم أكثر عند الموت؟!

١ هذا الحديث من الأحاديث النبوية المتواترة الذي تضافر على نقله الفريقان، و مضافاً إلى أنه ورد في كتب الشيعة، فقد جاء في كتب العامة المعتبرة بما لا يحصي حتى أن شاه وليّ الله الدهلويّ ذكره في كتاب «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» ص ٢٦٠ و ٢٦١ من ج ٢، في فصل خصّصه لترجمة أمير المؤمنين عليه السلام. و هذه الترجمة جديرة بالدقة و التمعّن. و أورد فيها قصّة غدیر خُمّ في ج ٢، ص ٢٥٩. و أقرّ في ص ٢٦١ بحديث الولاية بما نصّه: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ مَوْلَاهُ عَلِيٌّ". و ذكر قصّة الغدير كما يلي: لَمَّا رَجَعَ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ، خَطَبَ فِي غَدِيرِ خُمّ خُطْبَةً تَتَضَمَّنُ إِظْهَارَ فَضَائِلِ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمَ، وَ أَبُو عَمْرٍو، وَ غَيْرُهُمَا - وَ هَذَا لَفْظَ الْحَاكِمِ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَ نَزَلَ غَدِيرِ خُمّ أَمْرَ بَدُوْحَاتٍ فَقَمِمْنَ؛ قَالَ: "كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَاجِبْتُ. إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَرْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهَا فَإِنَّهَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مَوْلَايَ وَ أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيًّا فَهَذَا وَلِيُّهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِّ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ".

نعم هي أكثر، و في ضوء هذا النهج، كان يعيّن الولاية
و يخوّل لهم شئون الامّة. و في تلك الأرض القاحلة
الكأداء، و تحت الأشجار الصحراوية الخمس، أعلن
للملأ أنّ عليّاً وصيه و خليفته، و هو أولى بكلّ مؤمن و
مؤمنة كأولويّته صلّى الله عليه و آله.

أقوال العامّة المختلفة في شأن نزول آية التبليغ

هذا بحثنا ما وسع المقام في شأن نزول و مفاد آية
التبليغ. و قد علمنا أنّ كبار العلماء من العامّة قد ذكروها
في كتب الحديث و التفسير كالطبري،

و ابن أبي حاتم، و أبي نعيم الإصفهاني، و أبي إسحاق
الثعلبي، و الواحدي، و السجستاني، و النطنزي، و
الرسعني، و ابن مردويه، و ابن عساكر، و الحسكاني، و
غيرهم بأسانيد متنوّعة عن كبار الصحابة و غيرهم
كالبراء بن عازب، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و عمّار
بن ياسر، و أبي ذرّ الغفاري، و سلمان الفارسي، و حذيفة
اليمني، و ابن عبّاس، و أبي سعيد الخدري، و زيد بن أرقم،
و أبي هريرة، و ابن مسعود، و عامر بن ليلي بن ضمرة. و
الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام. و روى الترمذي،
و النسائي، و ابن ماجة، و أحمد بن حنبل و هم أئمة السنّة
الستّة في كتبهم أنّ الآية نزلت في الولاية.

و ما جاء في بعض الكتب حول شأن نزول الآية، إذ
أراد مؤلّفوها أن يحرفوا مصبّ الآية عن الولاية، و جوه
ضعيفة، و روايات مرسلة و مقطوعة، و غير موثوقة؛ و كما
قال المرحوم العلامة الأميني: «هي لا تعدو أن تكون
تفسيراً بالرأي؛ أو استحساناً من غير حجّة؛ أو تكثيراً للغو

أمام حديث الولاية، فتاً في عضدها، و تخذيلاً عن
تصديقها، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ»^١.

و ذكر الفخر الرازي، الذي تبدو ملامح التعصب و
الامتعاض على عباراته، عشرة وجوه في شأن نزول الآية:

١- نزلت هذه الآية في قصة الرّجم و القصاص ردّاً

على مذهب اليهود.

٢- نزلت في عيب اليهود و استهزائهم بالدين.

٣- لما نزلت آية التخيير، و هي قوله: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنِ

^١ «الغدیر» ج ١، ص ٢٢٦. الطبعة الثانية، مطبعة الحيدريّ بطهران.

كُنْتُمْ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ
وَأُسْرِحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ۖ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ
أَجْراً عَظِيماً}. فلم يعرضها عليهن خوفاً من اختيارهن
الدنيا.

٤- نزلت في أمر زيد [بن حارثة] وزوجته زينب بنت
جحش [ابنة عمّة رسول الله].

٥- نزلت في الجهاد، فإنّ المنافقين كانوا يكرهونه
فكان يمسك أحياناً عن حثهم على الجهاد.

٦- لما نزل قوله تعالى: «و لا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم»، سكت الرسول عن
عيب آلهتهم أي [آلهة الثنويين]، نزلت هذه الآية.

٧- لما قال في حجة الوداع بعد بيان المناسك و
الشرائع: **هَلْ بَلَغْتُ؟** قالوا: نَعَمْ. قال: **اللَّهُمَّ اشْهَدْ**، نزلت
الآية.

٨- نزلت في أعرابيٍّ أراد قتله، وهو نائم تحت شجرة.

٩- كان يهاب قريش و اليهود، فأزال الله عن قلبه

تلك الهيبة بالآية.

١٠- نزلت في قصّة غدير خمّ.^١

ذكر الفخر الرازيّ هذه الوجوه، و اعتبر قصّة الغدير

الوجه العاشر منها، أي: آخر الوجوه؛ و قد رجّح الوجه

التاسع منها بلا تعمّق متجاوزاً الموضوع بشكل خاطف.

هذا و هو من العلماء، و كان مطلعاً جيّداً على طرق

الحديث الخاصّ بالغدير و استفاضته، و كان على علم

بضعف الوجوه

١ الآية ٢٨، من السورة ٣٣: الأحزاب.

الآخري و إرسالها؛ فلهذا نرى نظام الدين
النيسابوري، و هو من مفسري العامة أيضاً، قد عدّ قصة
الغدير أول الوجوه، و أسنده إلى ابن عباس، و البراء بن
عازب، و أبي سعيد الخدري، و الإمام الباقر عليه السلام.
و عزا بقية الوجوه إلى «القييل» الدال على ضعفها.^١

و الطبري الذي هو أقدم من هؤلاء لم يذكر تلك
الوجوه في تأريخه، و لا في تفسيره؛ لكنّه ألف كتاباً مستقلاً
في الولاية أخرج فيه حديث الولاية (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ
مَوْلَاهُ) بنيف و سبعين طريقاً. و روى في هذا الكتاب نزول
آية التبليغ في عليّ بن أبي طالب بإسناده عن زيد بن أرقم.
و ما تمسك به الفخر الرازي و أتباعه هو أنّ آية التبليغ
جاءت في سورة المائدة بين الآيات المتعلقة بأهل الكتاب؛
فمن المناسب أنها نزلت في أهل الكتاب أيضاً.

هذا مع أنّ الذي يمتلك أدنى وعي للقصاص القرآنيّ
يعلم أنّ ترتيب الآيات في النزول غير ترتيبها في الذكر
غالباً. و ترتيب السور النازلة غير هذا الترتيب القائم في

١ «تفسير غرائب القرآن» ج ٦، ص ١٢٩ و ١٣٠. الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ.

السور القرآنيّة؛ فالسور الاولى هي: العَلَق، و المُدَّثِّر، و
المُزَّمِّل، و الْقَلَم، و سائر السور القصار، و هي مكّيّة. و
آخر سورة هي سورة المائة، و سورة النصر: {إِذَا جَاءَ
نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}. و كثير من الآيات نزلت في مكّة و
موضعها في السور المدنيّة و بالعكس.

قال السيوطيّ في «الإتقان»: الإجماع و النصوص
المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ لا شبهة في ذلك؛
[و علينا أن نقرأ القرآن كما كتب]. أمّا الإجماع فنقله غير
واحد منهم الزركيش في «البرهان» و أبو جعفر بن الزبير
في «المناسبات». و عبارة أبي جعفر: «ترتيب الآيات

في السور واقع بتوقيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ، وَأَمْرُهُ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ فِي هَذَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ». ثُمَّ ذَكَرَ
نُصُوصاً عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يُلَقِّنُ
أَصْحَابَهُ؛ وَيُعَلِّمُهُمْ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى التَّرْتِيبِ
الَّذِي هُوَ الْآنَ فِي مَصَاحِفِنَا، بِتَوْقِيفِ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى
ذَلِكَ، وَإِعْلَامِهِ عِنْدَ نَزْوِلِ كُلِّ آيَةٍ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ تَكْتُبُ
عَقِبَ آيَةِ كَذَا فِي سُورَةِ كَذَا.^١

وَقَدْ بَيَّنَّا مَفْصَلاً أَنَّ تَهَيَّبَ رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْيَهُودِ وَ
النَّصَارِيِّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَوَّلِ الْبَعْثَةِ؛ أَوْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِسَيْرٍ،
وَلَا يَكُونَ فِي آخِرِ الْهَجْرَةِ حَيْثُ بَلَغَ الْإِسْلَامُ ذُرْوَتَهُ فِي
الشُّوْكَةِ وَالْقَوَّةِ؛ وَخُذِلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارِيُّ وَانْدَحَرُوا. وَ
فَرَضَ الْإِسْلَامَ سَطْوَتَهُ فَهَابَتْهُ الْأُمَمُ آنَذَاكَ. وَرَاسَلَ نَبِيَّنَا
الكَرِيمِ أَمْرَاءَ الْعَالَمِ وَسُلْطَانِيْنَهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ، فَلَا مَعْنَى أَنْ تَكُونَ آيَةُ التَّبْلِيغِ الْوَارِدَةُ
فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ (آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ) قَدْ
نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: هِيَ

١ «الإِتْقَانُ» الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مِصْرَ، فِي سَنَةِ ١٢٧٨ هـ، ج ١ ص ٧٥.

[سورة المائدة] مدنيّة بإجماع. ثمّ نقل عن النقاش نزولها في السنة السادسة (عام الحديبيّة)،^١ و أتبع ذلك بالنقل عن ابن عربيّ [بأنّ] هذا حديث موضوع لا يحلّ لمسلم اعتقاده.^٢ و في ضوء ذلك، فإنّ مجرد ورود الآية بين الآيات المتعلّقة بأهل الكتاب لن يكون له أثر في التمسك من حيث البرهان و الدليل العلميّ.

و يستبين ممّا ذكرنا أيضاً أنّ ما أخرجهُ القرطبيّ وإه لا أساس له.

١ يسمّي العام السادس من الهجرة بعام الحديبيّة لوقوع صلح الحديبيّة فيه.

٢ «تفسير القرطبيّ» ج ٦، ص ٣٠. طبعة دار الكاتب العربيّ ١٣٨٧ هـ.

و قد قال: جاء عن ابن عباس أنّ أبا طالب كان يرسل
كلّ يوم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله رجلاً من بني
هاشم يحرسونه، حتّى نزلت [هذه الآية]: **{ وَ اللَّهُ**
يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ }. [فأراد أن يرسل معه من يحرسه]
فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: **يَا عَمَّاهُ! إِنَّ اللَّهَ عَصَمَنِي**
مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ! و قال القرطبيّ: صحّة هذا الحديث
تستدعي أن تكون الآية مكّيّة؛ و هذه الآية مدنيّة.^١
و هذا الحديث أضعف من أن يقاوم الأحاديث
المتقدّمة و الإجماع و نصوص المفسّرين. يضاف إلى
ذلك، أننا نرى بالبداهة كم لاقى رسول الله من المصائب
و صنوف الأذى و الاضطهاد من أمثال هؤلاء.

^١ «تفسير القرطبيّ» ج ٦، ص ٢٤٤.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالتَّسْعُونَ إِلَى الدَّرْسِ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْمِائَةِ فِي
سَنَدٍ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

{الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ
أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا} ١.

نزلت هذه الآية المباركة على النبي الأكرم صلى الله
عليه وآله وسلم يوم غدیر خمّ بُعِثَ إِلقائه خطبته الغراء

١ وسط الآية الثالثة من السورة المائة، وهي السورة الخامسة من سور القرآن
الكريم.

التي نصب فيها أمير المؤمنين عليه السلام في مقام الولاية الإلهية الكلية المطلقة، و قدمه إلى الناس خليفة و أميراً و ولياً.

و قد ذكرنا في بحوثنا الأخيرة أن خطبة الغدير كانت بعد نزول الآية الكريمة: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }^١.
إذ خطب رسول الله تلك الخطبة التي جاء فيها: **مَنْ كُنْتُ**
مَوْلَاهُ

فَعَلِيٍّ مَوْلَاهُ.

و تعرف الآية المفتحة بقوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بآية التبليغ، و يعرف الحديث المتقدم أنفاً بحديث الولاية؛ و البحث فيها مستقل و لا صلة بينهما؛ أعني: أن البعض قد يرتاب في شأن نزول آية التبليغ أو في دلالتها- كما نجد ذلك عند بعض العامة- بيد أنه لا يرتاب في حديث الولاية سنداً أو دلالةً. علماً أننا قد فرّقنا بين البحثين و

١ الآية ٦٧، من السورة ٥: الهائدة.

الحمد لله و له المنّ. و تحدّثنا حديثاً وافياً عن آية التبليغ
من حيث شأن نزولها في سيّد الموحّدين عليّ بن أبي طالبٍ
عليه السلام و من حيث مفادها و محتواها التفسيريّ؛ و
أرجأنا البحث في حديث الولاية إلى مجال آخر.

و قد آن أوانه الآن بعد أن فرغنا من البحث في آية
التبليغ بتوفيق الله و لطفه؛ و نأمل أن ندرس هذا
الموضوع بمقدار جهدنا الضئيل إن شاء الله تعالى: ثمّ
نعرّج على البحث في مفاد الآية المذكورة في مستهلّ
درسنا، و التي نزلت يوم الغدير:

قصيدة إمام الزيدية إليمني المنصور بالله

وَ الشَّاهِدُ

يدور بحثنا عن حديث الغدير، وهو حديث الولاية،
حول سنده **أولاً**، و دلالة **ثانياً**، و سنتطرق إلى هذين
القسمين بشكل وافٍ إن شاء الله تعالى.

ثبوت أحقية أمير المؤمنين على مر التاريخ

أمّا البحث من حيث السند؛ أي: من حيث وقوع
حادثة الغدير في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام
عبر الخطبة التي ألقاها رسول الله صلّى الله عليه وآله فهي
من الامور المقطوع بها في التأريخ الإسلاميّ، بل و في
تأريخ البشريّة. و تعتبر هذه الواقعة من الضروريّات. و لا
يمكن أن

نعدّها متواترة فحسب، بل هي فوق التواتر. أي: أنّ
درجة الإخبار عن هذه الحادثة بلغت مبلغاً لو قدر - مثلاً -
أن يصل إلينا نصف الأخبار، أو خمسها أو عُشرها. لأفاد
ذلك كلّه اليقين على حسب ملاك التواتر. و لو ألف
الشيعة في هذا المجال كتاباً، و نقّبوا في هذه الواقعة و
نقلوها بأسنادهم المتّصلة، عن أعلام الدين و أئمّته، فلا
عجب في ذلك. لأنها سندهم الناطق المعبر، و الأساس
الرصين لمذهبهم و منهاجهم، و هي مفترق الطرق و
موضع بروز الزاوية بينهم و بين خصومهم.

بيد أنّ العجب هو أنّ المناوئين قد نقلوا الروايات و
الأحاديث الجمّة التي بلغت من الكثرة حدّاً بحيث
جعلتهم يقرّون بصحّة الأسناد، و وقوع هذه الحادثة على
النحو المؤكّد. و كم ألفوا من الكتب المستقلّة في هذا
الموضوع بحيث إنّنا لا نعثر على حدث من الأحداث في
التاريخ الإسلاميّ قد نال كلّ هذا الاهتمام على صعيد
تأليف الكتب، و طرح البحوث الطويلة المتواصلة.

هذا مع أنّ الملحوظ منذ عصر صدر الإسلام وحتّى
يومنا الحاضر هو أنهم بذلوا قصارى جهودهم لكم
الحقائق و التغطية على قضية الولاية؛ و الاهتمام في عدم
ذكر خبرها، و تحريفه، و تحريف كتب الماضين، و التلاعب
في طبعها و نشرها إلى درجة أنّ كلّ بصير و خبير بالكتب
و الروايات و التواريخ و السنن يذهل لما يراه.

و نرى التحريف واضحاً جلياً في كتب العامّة؛ و هم
أنفسهم يجهرون في أقوالهم و كتاباتهم قائلين بأنهم ينبغي
أن يطمسوا الحقائق كي لا تكون ذريعة بأيدي العوامّ. و
هذا البحث ملازم للبحث في استصواب ممارسات
الصحابة؛ و هو بحث مفصّل نرجئه إلى وقته
المناسب إن شاء الله.

مع هذا فإنّ أحقيّة أمير المؤمنين و سيّد الموحّدين،
و تألّق نور الولاية على درجة بحيث إنّنا إذا راجعنا أيّ
كتاب كان، فإنّنا نلاحظ أحاديث الولاية، و مناقب إمام
الأبرار و فضائله، و تتجلى للعيان الأحاديث المتعلقة
بغدير خمّ، أي: على الرغم من أنّ أعداءه جهدوا في طمس

آثاره حقداً و حسداً، و أنّ محبّيه امتنعوا عن بيانها خوفاً و
تقيّة؛ إلّا أنّنا نجد أنّ الكتب التي تمّ تأليفها حول حديث
الغدير في شرق الأرض و غربها، أو التي ذكرت الروايات
الخاصّة بالغدير هو دليلٌ حيٌّ و خالدٌ يدلّ على بزوغ نور
ولاية عليّ في تضاعيف الكتب، و في صدور الكتّاب، و
قلوب المشتاقين و المحبّين و الواهين، و هي ماثلة أمام
عيون الأصدقاء و الأعداء طوعاً أو كرهاً.

يقول جمال السالّكين و سيّد أهل المراقبة عليّ بن طأوس رحمة الله عليه في «إقبال الأعمال»: فصل في مختصر الوصف ممّا رواه علماء المخالفين عن يوم الغدير من الكشف. اعلم أنّ نصّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على إمامة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم الغدير ما لا يحتاج إلى كشف و بيان لأهل العلم و الأمانة و الدراية؛ وإنّما نذكر تنبيهاً على بعض من رواه ليقتصد من شاء و يقف على معناه. فمن ذلك ما صنّفه أبو سعد مسعود بن ناصر السجستانيّ المخالف لأهل البيت في عقيدته المتفق عند أهل المعرفة به على صحّة ما يرويه لأهل البيت و أمانته.

صنّف كتاباً سماه: «كتاب الدراية في حديث الولاية» و هو سبعة عشر جزءاً. روى فيه حديث نصّ النبيّ المكرم صلوات الله عليه بتلك المناقب و المراتب على

مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام عن مائة و عشرين
نفساً من الصحابة.

و من ذلك ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ صاحب
«التاريخ الكبير» صنّفه و سَمَّاه «كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى
الْحَرْقُوصِيَّةِ». ^١ روى فيه حديث يوم الغدير و ما نصّ
رسول الله على علي صلوات الله عليها بالولاية؛ و المقام
الرفيع

و الكبير. و روى ذلك من خمس و سبعين طريقاً.
و من ذلك ما رواه أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْحُسَكَانِيُّ فِي كِتَابِ سَمَّاه: «كِتَابُ دُعَاةِ الْهُدَاةِ إِلَى آدَاءِ حَقِّ
الْمُؤَالَاةِ».

و من ذلك الذي لم يكن مثله في زمانه أبو العباسِ أَحْمَدُ
بْنُ سَعِيدِ بْنِ عُقْدَةَ الْحَافِظِ الَّذِي زَكَّاهُ و شهد بعلمه
الخطيب مصنّف «تأريخ بغداد» فَإِنَّهُ صَنَّفَ كِتَاباً سَمَّاه
«حَدِيثُ الْوَلَايَةِ».

١ يقول: «أينما أنظر، فأنت وحدك تملأ عيني، إذ لا مقرّ لك غيرها».

وجدت هذا الكتاب بنسخة قد كتبت في زمان
العبّاس بن عُقْدَةَ مصنّفه، تأريخها سنة ثلاثمائة و ثلاثين؛
صحيح النقل عليه خطّ الشيخ الطوسي، و جماعة من
شيوخ الإسلام؛ لا يخفى صحّة ما تضمّنه على أهل
الأفهام. و قد روى فيه نصّ الرسول الأكرم صلوات الله
عليه على مولانا عليّ عليه السلام بالولاية من مائة و خمس
طرق.

و إن عددت أسماء المصنّفين من المسلمين في هذا
الباب، طال ذلك على من يقف على هذا الكتاب. و جميع
هذه التصانيف عندنا الآن إلا كتاب الطبري^١.

و يقول في «الإقبال» أيضاً: فَصْلٌ؛ و أمّا ما رواه
مسعود بن ناصر السجستانيّ في صفة نصّ النبيّ على
مولانا عليّ عليه السلام بالولاية، فإنّه مجلّد أكثر من
عشرين كراساً. و أمّا الذي ذكره محمّد بن جرير صاحب
التأريخ في ذلك فإنّه مجلّد واحد أيضاً؛ و ما ذكره أبو

١ «إقبال الأعمال» ص ٤٥٣. الطبعة الحجرية.

العبّاس بن عقدة و غيره من العلماء و أهل الروايات، فإنّها
عدّة مجلّدات.^١

يقول ابن شهر آشوب: العلماء مطبقون على قبول هذا

الخبر [أي

١ «المصدر السابق»، ص ٤٥٧.

حديث الولاية] وإنما وقع الخلاف في تأويله؛ ذكره
محمد بن إسحاق، وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجاج،
وأبو نعيم الإصفهاني، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو بكر
بن مردويه، وابن شاهين، وأبو بكر الباقلائي، وأبو
المعالى الجويني، وأبو إسحاق الثعلبي، وأبو سعيد
الخركويش، وأبو المظفر السمعاني، وأبو بكر بن شيبه، و
علي بن الجعد، وشعبة، والأعمش، وابن عباس، وابن
الثلاج، والشعبي، والزهرري، والاقليش، وابن ماجه، و
ابن البيع، وابن عبد ربه، والكاني، وأبو يعلى الموصلي
من عدة طرق. وأحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن
بطة من ثلاث وعشرين طريقاً، وابن جرير الطبري من
نصف وسبعين طريقاً في كتاب «الولاية» وأبو العباس بن
عقده من مائة وخمس طرق، وأبو بكر الجعاني من مائة و
خمس وعشرين طريقاً.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين رووا حديث الغدير

وقد صنّف عليّ بن هلال المهلبيّ كتاب «الغدير»؛ و
أحمد بن محمد بن سعد كتاب «من روى غدير خم»؛ و

مَسْعُود الشَّجَرِيّ كتاباً فيه رِوَاةُ هَذَا الْخَبْرِ وَطَرَقَهُ؛ وَ
اسْتَخْرَجَ مَنْصُور اللَّائِي الرَّازِيّ فِي كِتَابِهِ أَسْمَاءَ رِوَاةِهِ عَلَى
حُرُوفِ الْمَعْجَمِ؛ وَ ذَكَرَ عَنْ صَاحِبِ «الْكَافِي» أَنَّهُ قَالَ:
رَوَى لَنَا قِصَّةَ غَدِيرِ حَمِّ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْجَعَابِيّ عَنْ أَبِي
بَكْرٍ، وَعَمْرٍ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، وَالْحَسَنِ،
وَالْحُسَيْنِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،
وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَسَلْمَانَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَ
أَبُو قَتَادَةَ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ، وَجَرِيرَ بْنَ حَمِيدٍ، وَعَدِيَّ بْنَ
حَاتِمٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسٍ، وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وَأَبُو
أَيُّوبٍ، وَأَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيّ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، وَسَمُرَةَ
بْنَ جُنْدَبٍ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، وَ
سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ، وَالْحُدْرِيّ، وَعَقَبَةَ بْنَ عَامِرٍ، وَأَبُو رَافِعٍ،
وَكَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ، وَأَبُو مَسْعُودٍ

البَدْرِيِّ، و حُذَيْفَةَ بنِ اسِيد، و زِيد بنِ ثَابِت، و سَعْد
بنِ عُبَادَةَ، و خُزَيْمَةَ بنِ ثَابِت، و خَبَّاب بنِ عَثْبَةَ، و جُنْدُب
بنِ سُفْيَانَ، و عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ، و قَيْس بنِ سَعْد، و عُبَادَةَ
بنِ الصَّامِت، و أَبُو زَيْنَب، و أَبُو لَيْلَى، و عبد الله بنِ رَبِيعَةَ،
و اسَامَةَ بنِ زِيد، و سَعْد بنِ جُنَادَةَ، و خَبَّاب بنِ سَمُرَةَ، و
يَعْلَى بنِ مُرَّة، و ابنِ قَدَامَةَ الأنصَارِيِّ، و نَاجِيَةَ بنِ عُمَيْرَةَ،
و أَبُو كَاهِل، و خَالِد بنِ الوَلِيد، و حَسَّان بنِ ثَابِت، و
النعمان بنِ عَجَلَانَ، و أَبُو رِفَاعَةَ، و عَمْرُو بنِ الحَمِيق، و عبد
الله بنِ يَعْمُر، و مَالِك بنِ الحُوَيْرِث، و أَبُو الحَمْرَاء، و
ضَمْرَةَ بنِ حَبِيب، و وحيش بنِ حَرْب، و عُرْوَةَ بنِ أَبِي
الجعد، و عَامِر بنِ النَمِيرِيِّ،^١ و بَشِير بنِ عبد المُنْذِر، و
رِفَاعَةَ بنِ عبد المُنْذِر، و ثَابِت بنِ وَدِيعَةَ، و عَمْرُ بنِ
حُرَيْث، و قَيْس بنِ عَاصِم، و عبد الأعلى بنِ عَدِيٍّ، و
عُثْمَان بنِ حُنَيْف، و أَبِي بنِ كَعْب، و من النساء: فاطمة

١ جاء في «المناقب»: النَمِيرِيُّ؛ و في «العقبات» ج الغدير، ص ٩: عامر بن عمير

العميرِيُّ؛ و في «الغدير» ج ١، ص ٤٦: عامر بن عمير النَمِيرِيِّ.

الزَّهراء عليها السلام، و عائشة، و امّ سَلَمَة، و أمُّ هاني، و
فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.^١

يقول العالم الجليل مير حامد حسين الهنديّ
النيسابوريّ في كتابه الشريف: «عَبَقَاتُ الْأَنْوَارِ فِي إِثْبَاتِ
إِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ» الجزء الذي صنّفه في الغدير خاصّة،
و بعد ذكره ما نقلناه آنفاً عن السيّد ابن طاووس رضوان
الله عليه حول تصنيف ابن عقدة كتاباً في الغدير يقع في
عدد من الأجزاء، و تبلغ طرقة فيه مائة و خمسة طرق: كان
هذا الكتاب موجوداً عند ابن طاووس، و ذكره في كتابه:
«الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف»؛ و أورد

١ «المناقب» ج ١، ص ٥٢٨ و ٥٢٩. الطبعة الحجرية.

فيه أسماء الصحابة الذين نقل عنهم ابن عقدة حديث
الغدِير، ثم يذكر أسماء الصحابة الذين أسند ابن عقدة
الحديث إليهم. وهؤلاء الصحابة - مضافاً إلى العدد الذي
ذكرناه منهم عن «مناقب» ابن شهر آشوب آنفاً - هم:

سعيد بن مالك، عبد الله بن مسعود، عمّار بن ياسر،
أسعد بن زُرارة الأنصاري، خالد بن زيد الأنصاري، عبد
الله بن عمّار بن الخطّاب، رفاعَة بن رافع الأنصاري، سهل
بن سعد الأنصاري، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص،
المقداد بن عمرو الكندي، عبد الله بن أسيد المخزومي،
عمران بن الحُصين الخُزاعي، بُريدة بن جبلة بن عمرو
الأنصاري، أنس بن مالك، سعيد بن سعد بن عبادة، أبو
سريحة الغفاري، زيد بن حارثة، جابر بن سمرة السوائي،
حُبَيْش بن جناده السلولي، ضَميرة الأسدي، عبّيد بن
عازب الأنصاري، عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، زيد بن
شراحيل الأنصاري، عبد الله بن بشر المازني، عبد الله بن
نعيم الدّيلمّي، أبو فضالة الأنصاري، عطية بن بشر
المازني، عامر بن ليلى الغفاري، أبو طفيل عامر بن واثلة

الكنانيّ، عبد الرحمن عَبْد رَبِّ الأنصاريّ، عبد الله بن
يَأميل، حَبَّة بن جُوَيْن العُرَنيّ، أَبُو ذُوَيْب الشاعر، ابو شَرِيح
الخُزَاعِيّ، أَبُو جُحَيْفَةَ وَهَب بن عبد الله السُّوائيّ، ابو امامة
صُدَيّ بن عَجَلان البَاهليّ، عَامر بن لَيْل بن ضَمْره، قَيْس
بن ثَابِت شَمَّاس الأنصاريّ، عبد الرَّحْمَن بن مُدَلِّج، حَبِيب
بن بُدَيْل بن وَرَقَاء الخُزَاعِيّ. و من النساء- إضافة إلى ما
ذكرنا-: أسماء بنت عُمَيْس الخُثَعَمِيَّة.

ثمّ يقول صاحب «العَبَقَات»: يبدو من هذه العبارة أنّ
ابن عقدة روى حديث الغدير عن هؤلاء الصحابة
المذكورين و هم زُهاء مائة شخص.

و كذلك فإنّ رواية ثمانية و عشرين صحابياً آخرين
غير المذكورين

تقوي هذا الحديث الشريف.^١

و يقول أيضاً: روى أبو الحسن عليّ بن محمد بن الخطيب الجلابي المعروف بابن المغازلي في كتاب «المناقب» بناءً على ما نقله الشيخ أبو الحسن يحيى بن الحسن بن الحسين بن عليّ الأسديّ الحلبيّ الربيعيّ المعروف بابن بطريق،^٢ في كتاب «العُمدة في عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وصيّ المختار»، قال: حدّثني أبو القاسم

١ «عبقات الأنوار» الجزء الخاصّ بالغدير، الطبعة الثانية ص ٩. صنّف مير حامد حسين هذا الكتاب كما يذكر نفسه في بدايته - رداً على «التحفة العزيزية» مستضيئاً بإفادات والده الماجد العلامة الموليّ محمد قُلي رحمة الله عليه. و صنّف مولانا السيّد محمد قُلي، وهو من أعظم العلماء و حماة مدرسة التشيع، كتاب «تشييد المطّاعن و كشف الضّغائن» في ردّ «التحفة الاثنا عشرية». ولد عام ١١٨٨ هـ و توفيّ سنة ١٢٦٨ هـ في مدينة لكهنؤ. وهذا الكتاب، أي «التحفة الاثنا عشرية» صنّفه شاه وليّ الله صاحب الهنديّ؛ و قلّده الخواجه عبد الله الكائليّ في كتاب «الصواعق» مؤيداً له.

٢ ابن المغازلي الشافعيّ من أجلاء علماء العامّة و أكابرهم، توفيّ سنة ٤٨٣ هـ. و قرأ ابن بطريق - كما ينقل ابن حجر العسقلانيّ - في «لسان الميزان» على الحمصيّ الرمزيّ علم الفقه و الكلام على مذهب الإمامية؛ و كان يقيم في بغداد مدة ثمّ انتقل إلي واسط و كان مشغولاً فيها بالعبادة. توفيّ في شعبان سنة ٦٠٠ هـ و له من العمر ٧٧ سنة.

الفضل بن محمد بن عبد الله الإصفهاني أنه لما دخل علينا في واسط، و كان يقرأ من كتابه و يملي في العشرين من شهر رمضان سنة ٤٣٤ هـ قال: حدّثني محمد بن عليّ بن عمّار بن المهديّ، قال: حدّثني سليمان بن أحمد بن أيّوب الطبراني؛ قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم بن كيسان الثقفيّ الإصفهانيّ: قال: حدّثني إسماعيل بن عمّار البجليّ؛ قال: حدّثني مسعر بن كدام، عن طلحة بن معروف، عن عمّار بن سعد [أنه] قال: شهدتُ عليّاً على المنبر ناشد أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله أن

من سمع عن النبيّ في يوم غدیر خمّ يقول ما قال، فليشهد! فقام اثنا عشر رجلاً منهم فشهدوا. و منهم: ابو سعيد الخدريّ، و أبو هريرة، و أنس بن مالك، شهدوا أنّ هؤلاء جميعهم سمعوا من رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه قال: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ.**

ثمّ قال ابن بطريق: قال [راويّ هذا الحديث]: أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وَ قَدْ رَوَى حَدِيثَ غَدِيرِ خُمٍّ عَنْ رَسُولِ اللهِ نَحْوَ مِائَةِ نَفْسٍ مِنْهُمْ الْعَشْرَةَ [الْمُبَشِّرَةَ] وَ هُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ لَا أَعْرَفُ لَهُ عِلَّةً، تَفَرَّدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ لَمْ يَشْرِكْهُ أَحَدٌ - انْتَهَى.^١

ثُمَّ يَقُولُ: الظاهر من العبارة أَنَّ حَدِيثَ غَدِيرِ خُمٍّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ وَ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ مِائَةً مِنَ الصَّحَابَةِ بَيْنَهُمُ الْعَشْرَةَ؛ أَي: الْعَشْرَةَ الَّذِينَ نَقَلَ فِي حَقِّهِمْ حَدِيثَ الْبَشَارَةِ بِالْجَنَّةِ. وَ لَمْ يَكْتَفِ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْكَلَامِ، بَلْ قَالَ لِمَزِيدِ التَّائِكِدِ وَ تَشْيِيدِ اسْمِ صِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَ ثُبُوتِهِ: هَذَا الْحَدِيثُ ثَابِتٌ؛ وَ لَا أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً (نَقْصاً وَ عَيْباً). وَ قَالَ أَيْضاً: تَفَرَّدَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، وَ لَمْ يَشْرِكْ فِيهَا أَحَدٌ. وَ هَذَا الْكَلَامُ - بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ دَلَالَتِهِ عَلَى كِمَالِ صِحَّةِ حَدِيثِ الْغَدِيرِ وَ ثُبُوتِهِ وَ تَوَاتُرِهِ وَ اسْتِفَاضَتِهِ - دَالٌّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى إِمَامَةِ الْإِمَامِ أَوْ فَضِيلَتِهِ

١ «العَبَقَات» جِزَاءُ الْغَدِيرِ، ص ٦ وَ ٧. وَ نَقَلَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ فِي مَنَاقِبِهِ، ص ٢٧ هَذَا الْحَدِيثَ. بِخُصُوصِهِ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ، تَحْتَ رَقْمِ ٣٩.

المستلزمة للإمامة. لأنَّ عدم مشاركة شخص آخر لأمير
المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة دليل صريح على
استثارة هذه الفضيلة؛ فإذا كانت الفضيلة هي الإمامة
نفسها، فذاك المطلوب؛ وإذا

كانت غير الإمامة، فلا خلاق للآخرين منها أيضاً،

فأمير المؤمنين عليه السلام أفضل الجميع.^١

الكذب المستقلة التي ألفت في الغدير

و بعد ذلك عرض شرحاً مفصلاً ذكر فيه أن علماء

السنة الكبار نصّوا على كتاب ابن عقدة، و خطبة غدير خمّ

فيه بطرق عديدة. و من هؤلاء: الشيخ تقيّ الدين ابو

العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميّة

الحَرَائِيّ الحنبليّ - الذي أثنى عليه الفاضل المعاصر في

«مُتَهَيّ الكَلَام»^٢ و سَمَاه: شيخ الإسلام، و تشبّث بإفاداته

في مقابلة أهل الحقّ - في كتابه: «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي رَدِّ

كَلَامِ الشُّيْعَةِ وَ الْقَدَرِيَّةِ» الذي ردّ عليه العلامة الحلّيّ أَحَلَّهُ

اللَّهُ مَظَانَّ الْكِرَامَةِ وَ بَوَّأَهُ دَارَ السَّلَامَةِ فِي كِتَابِهِ «مِنْهَاجِ

الْكَرَامَةِ». فَإِنَّهُ قَالَ فِيهِ: وَ قَدْ صَنَّفَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ عُقْدَةَ

مُصَنَّفًا فِي جَمْعِ طُرُقِهِ.^٣

١ «العبقات» ج الغدير ص ٦ و ٧.

٢ كتاب «مُتَهَيّ الكَلَام» صنّفه مولويّ حيدر بن شيخ محمّد حسن فيض آبادي،
و كان تصنيفه بعد تصنيف «التحفة الاثنا عشرية».

٣ «العبقات» جزء الغدير، ص ١٠، ١١.

و منهم: الشيخ محمد بن محمد بن عليّ أبو الفضل
الكنانيّ العسقلانيّ المصريّ الشافعيّ المعروف بابن
حجر الذي لا شك في جلالته و فضائله عند مترجمي أهل
السنة كالمقرزيّ، و شمس بن ناصر الدين الدمشقيّ في
«توضيح المُشْتَبَه»، و بدر الدين محمد بن إبراهيم
البستنكيّ القاهريّ في «طبقات الشُّعراء» و غير هؤلاء، ...
و يعتزّ الفاضل المعاصر في «مُنْتَهَى الكلام» بتحقيقاته، و
يرى أنّ تبخّره في علم الحديث الشريف مُسَلِّم الثبوت.
يقول ابن حجر في «فتح الباري» و هو شرح لصحيح
البخاريّ، و قد أصبح حكمه كحكم المتن المشروح،
أعني، «صحيح البخاريّ» حسب

إفادة المخاطب في «بستان المحدثين» و لشهرته و
كثرة النقل عنه و الرجوع إليه. يقول في مناقب أمير
المؤمنين عليه السلام:

وَ أَمَّا حَدِيثُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ» فقد
أخرجه الترمذيّ، و النسائيّ؛ و هو حديث طرقه كثيرة
جداً. و قد جمعها ابن عقدة في كتاب مستقلّ. و كثير من
أسناد تلك الطرق صحيحة و حسنة - انتهى.^١

و بعد ذلك تحدّث العلامة مير حامد حسين بالتفصيل
عن ابن عقدة و الكبار و الأعاظم الذين نقلوا عنه، و ذكر
كتب التراجم و الرجال، التي أثنت على اولئك الأعاظم،
ثمّ قال:

«و قد ذكر مُحَمَّد بن جَرِير الطبريّ صاحب التاريخ،
خبرَ يوم الغدير و طرقه في خمسة و سبعين طريقاً. و أفرد
له كتاباً سمّاه «كتاب الوَلَاية». كما أنّ صاحب «العُمْدَة»
طاب ثراه ذكر هذا الموضوع بنفس العبارات التي
نقلناها. و يقول بعد نقل ما أوردناه عن كتاب «الإقبال»

١ «العبارات» جزء الغدير، ص ١٠ و ١١.

للسيد ابن طاووس حول كتاب الطبري: و قال في
«الطرائف»: و قد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير
الطبري صاحب التاريخ من خمس و سبعين طريقاً، و أفرد
له كتاباً سماه: «كتاب الولاية»؛ و رأيت في بعض ما صنّفه
الطبري في صحّة خبر يوم الغدير أنّ اسم الكتاب «الردّ
على الحرّ قوصيّة» يعني: الحنبلية، لأنّ أحمد بن حنبل من
ولد حرّ قوص بن زهير الخارجي. و قيل: إنّما سماه الطبري
بهذا الاسم لأنّ البرهاري الحنبي تعرّض للطعن في شيء
مما يتعلّق بخبر الغدير.

و اعترف العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن
أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانيّ الدمشقيّ الذهبيّ بتأليف
الطبري كتاباً مستقلاً

في طرق حديث الغدير. و قد قسم ظهر المنكرين
النُّصَاب بوقوفه على ذلك الكتاب و دهشته لكثرة طرق
الحديث؛ كما قال محمّد بن إسماعيل في «الروضة النديّة» و
هي شرح على «التُّحْفَة العَلَوِيَّة»: قال الحافظ الذهبيّ في
«تذكرة الحُفَّاظ» في ترجمة: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ: أَلْفٌ** محمّد بن
جرير الطبريّ في هذا الموضوع كتاباً، و قفْتُ عليه
فاندهشت لكثرة طرقه.

و قال إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن كثير
الشافعيّ الذي ستسمع نبذه من فضائله و محامده و مناقبه
و مفاخره فيما بعد إن شاء الله تعالى، قال في تأريخه عند ذكر
محمّد بن جرير الطبريّ - على ما نُقِلَ -: و قد رأيت كتاباً
جمع فيه [الطبريّ] أحاديث غدير خمّ في مجلّدين ضخمين،
و كتاباً جمع فيه طرق حديث الطير.^١

و بعد ذكره شرحاً مفصّلاً عن الطبريّ و شهرته و
إلهامه و أسماء الذين عظّموه و أثنوا عليه، قال:

١ «العبارات» جزء الغدير، ص ٣٤ و ٣٥.

و صنّف المحدث الشهير: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني كتاباً أثبت فيه حديث الغدير و جمع طرقه، و قال بعد نقل ما أورده عن «الإقبال» للسيّد ابن طاووس:

و قال في «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف»: و صنّف الحاكم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني كتاباً في حديث يوم الغدير سمّاه: «كتاب دعاة الهداة إلى أداء حقّ الموالاتة» و هو اثنا عشر مجلداً.

و لا يخفى أنّ أبا القاسم الحسكانيّ من أجلّ العلماء المتقنين، و عمدة الكاملين المحدثين و أثبات النحارير الممدوحين و ثقات الجهابذة المعتمدين؛ يقول جلال الدين السيوطيّ في «طبقات الحفاظ»:

الحُسْكَانِي الْقَاضِي الْمُحَدِّثُ عُبيدُ اللَّهِ بن عبدِ اللَّهِ بن أحمد بن محمد بن حَسْكَانِ القَرَشِيِّ العامريِّ النيسابوريِّ، و يعرف بابن الحَدَّاءِ، شيخٌ مُتَقِنٌ ذُو عِنَايَةٍ تَامَّةٍ بِعِلْمِ الحَدِيثِ، عُمَرُ وَ عَلَا إِسْنَادُهُ؛ وَ صَنَّفَ فِي الأَبْوَابِ وَ جَمَعَ؛ حَدَّثَ عَنْ جَدِّهِ: الحَاكِمِ وَ أَبِي طَاهِرِ بنِ مَحْمَشٍ؛ وَ تَفَقَّهَ بالقَاضِي أَبِي العَلَا صَاعِدٍ؛ أَمَلِي مَجْلِساً صَحَّحَ فِيهِ رَدَّ الشَّمْسِ لِعَلِيِّ، وَ هُوَ يَدُلُّ خُبْرَتَهُ بِالحَدِيثِ، وَ تَشَيَّعَ، مَاتَ بَعْدَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَ سَبْعِينَ.

نلاحظ أن هذا الكلام يشعّ بالماثر الجميلة للحسكاني، إذ إن الواضح فيه هو أن الحسكاني كان شيخاً متقناً، وله عناية تامة بعلم الحديث. عمّر طويلاً، وإسناده رفيع. عكف على التصنيف في أبواب الحديث المتنوعة و جمع الروايات. حدّث عن جدّه الحاكم النيسابوريّ، و أبي طاهر بن محمش. تفقّه على القاضي أبي العلا صاعد، و أملي مجلساً صحّح فيه ردّ الشمس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و ذلك يدلّ على خبرته في الحديث.

و يستبين لنا من هذا الكلام جلاله الحسكاني و نبه و
مهارة و نباهته و غاية فضله و كماله و حذاقته. و أمّا دلالة
تصحيحه حديث ردّ الشمس على تشييعه، فلا ضير في
ذلك، ذلك أنك علمت أنّاً أنّ التشييع، حسب تصريح
العلامة ابن حجر العسقلاني، هو: حبّ أمير المؤمنين
عليه السلام و تقديمه على الصحابة و تلك شكاة ظاهر
عَنكَ عَارُهَا.^١

و بعد أن خصّص فصلاً للثناء على الحاكم الحسكاني،

ينتقل إلى السجستانيّ فيقول عنه:

١ «العبارات»، جزء الغدير، ص ٣٧.

الشكاة موضع العيب و الذمّ؛ أي أنه ليس بعارٍ بل هو ما يُفتخر به. (م)

و صنّف أبو سعيد مسعود بن ناصر السنجريّ
السّجستانيّ كتاباً مفرداً في طرق حديث الغدير سمّاه:
«كِتَابِ دِرَايَةِ حَدِيثِ الْوَلَايَةِ» في سبعة عشر جزءاً و عدد
أسانيده ألف و ثلاثمائة سند.

و قال بعد نقل ما ذكرناه عن «الإقبال» للسيد ابن
طاووس حول كتابه: يتبين من هذا أنّ السجستانيّ صنّف
كتاباً خاصّاً في ضبط طرق حديث الغدير، و هو سبعة
عشر جزءاً، سمّاه: «دِرَايَةِ حَدِيثِ الْوَلَايَةِ». روي فيه هذا
الحديث الشريف عن مائة و عشرين صحابياً. و قال في
«الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف»: قد وقفت على
كتاب صنّفه أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستانيّ؛ سمّاه
كتاب «دراية حديث الولاية». و هو سبعة عشر جزءاً. ما
وقفت على مثله؛ و هذا مسعود بن ناصر من أوثق رجال
المذاهب الأربعة. و قد كشف عن حديث يوم الغدير و
نصّ رسول الله على عليّ بن أبي طالب بالخلافة بعده. رواه
عن مائة و عشرين من الصحابة، بينهم ستّ نساء، و من
عرف ما تضمّنه كتاب «دِرَايَةِ حَدِيثِ الْوَلَايَةِ»، ما يشكّ في

أنّ الذين تقدّموا على عليّ بن أبي طالب عاندوا و مالوا إلى طلب الرئاسة، و عدد أسانيد كتاب «دراية الولاية» ألف و ثلاثمائة سند.

و تدلّ هذه العبارة على أنّ السجستانيّ صنّف كتاباً في جمع طرق حديث الغدير، رواه عن مائة و عشرين صحابياً، و عدد أسانيده ألف و ثلاثمائة سند. و لا يخفى أنّ مسعود السجستانيّ هو من أجلة الحفاظ، و أعظم المحدثين، و أكابر المعتمدين و المشايخ المعتمدين و سُباق الموثّقين، و الحفاظ المتّقين لأهل السنّة.

و قال عبد الكريم السّمعانيّ في «الأنساب»: أبو سعيد مسعود بن ناصر بن أبي زيد السنجريّ الرّكاب، كان حافظاً متقناً فاضلاً. رحل إلى خراسان و الجبال و العراقين و الحجاز، و أكثر من الحديث و جمع الجمع،

روى لنا عنه جماعة كثيرة بمرور و نيسابور و إصبهان،

و توفي سنة سبعة و سبعين و أربعمئة.^١

و قال بعد ترجمته للسجستاني:

شمس الدين ابن أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي

الذي زين مشايخ المحققين و العلماء المعتمدين كتبهم

بفضائله الجليلة و وشوها بها. صنّف أيضاً كتاباً مفرداً في

طرق حديث الغدير، و صرح بأن له طرقاً جيّدة.

و جاء في كتاب «مفتاح كنز دراية رواية المجمع من

دُرر المُجلّد المُسموع» ما نصّه: قال الخطيب البغدادي:

«كان الحاكم ثقة و كان يميل إلى التشيع. جمع أحاديث و

زعم أنها صحاح على شرط البخاري، و مسلم، منها:

حديث الطير، و حديث: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ،**

فأنكره عليه أصحاب الحديث و لم يلتفتوا إلى قوله.»

قال الحافظ الذهبي: «و لا ريب أنّ في «المستدرک»

أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحّة، بل فيه أحاديث

موضوعة، يليق ب«المستدرک» إخراجها منه. و أمّا حديث

١ «العبارات» جزء الغدير، ص ٤١.

الطير فله طرق كثيرة جداً، قد أفردتها بمصنّف بمجموعها
يوجب أنّ الحديث له أصل. و أمّا حديث: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ**
فَعَلِيٍّ مَوْلَاهُ فله طرق جيّدة، و قد أفردت ذلك أيضاً».

إلى أن قال: «ذكر الخطيب البغداديّ عن الحاكم أنه
كان ثقة، و كان يميل إلى التشييع. و قال بعض العلماء
بالنسبة إلى تشييعه إنّهُ كان يقول بتفضيل عليّ على عثمان، و
هو مذهب جماعة من الأسلاف، و الله أعلم».

و قال: «و الأهمّ من ذلك كلّهُ أنّ بعض العلماء صنّف

في جمع طرق

حديث الغدير ثمانية و عشرين مجلداً أو أكثر».

و قال محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني الذي

أثنى عليه صلاح الدين خليل بن بيك الصفدي في «الوافي

بالوفيات»، و الشيخ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي في كتاب «البلغة في تراجم أئمة النحو و

اللغة»، و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في

«بغية الوعاة في طبقات النحاة» و مجده هؤلاء بالمدائح

العظيمة و المناقب الفخيمة و المحاسن الجليلة و

الأوصاف الجميلة، و صرح الصفدي أنه كان صدوق

اللّهجة. قال في كتاب «المناقب» بناءً على نقل حسين بن

خير^١ في كتاب «نخب المناقب لآل أبي طالب»: قال جدي

شهر آشوب: «سمعت أبا المعالي الجويني يتعجب و

يقول: شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحاف فيه روايات

خبر الغدير مكتوباً عليه: المجلد الثامن و العشرون من

طرق قول رسول الله صلى الله عليه و آله: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ**

فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ و يتلوه المجلد التاسع و العشرون».

١ جاء في «الذريعة»: حسين بن جبير.

و نقل ابن كثير الشامي عن أبي المعالي الجويني في
تأريخه، قال: «إِنَّهُ كَانَ يَتَعَجَّبُ وَ يَقُولُ: شَاهَدْتُ مُجَلِّدًا
بِبَغْدَادَ فِي يَدِ صَحَافٍ فِيهِ رَوَايَاتُ هَذَا الْخَبَرِ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ
الْمُجَلَّدَةُ الثَّامِنَةُ وَ الْعِشْرُونَ مِنْ طُرُقٍ **«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ
فَعَلِي مَوْلَاهُ»**؛ وَ يَتْلُوهُ الْمُجَلِّدُ التَّاسِعُ وَ الْعِشْرُونَ.^١

ما ذا تعني هذه الزيادة في التواتر و الاستفاضة، إذ

صُنِّفَ ثَانِيَةً

١ هذه الحكاية نقلها الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في «ينابيع المودة» ص ٣٦
عن الجويني؛ و نقلها العلامة الأميني في ج ١ من «الغدير» ص ١٥٨ عن
القندوزي في ينابيعه؛ و جاءت في «غاية المرام» ج ١، ص ١٠٣ نقلًا عن ابن
شهر آشوب، عن جدّه شهر آشوب، عن الجويني.

و عشرون مجلداً أو أكثر في نقل طرق هذا الحديث؟ و
أيّ حديث عند أهل الإسلام أكثر تواتراً من هذا الحديث
الذي رواه ما يربو على مائة صحابي، و أكثر أسانيد
صحاح و حسن، و صنّف الأعلام من أهل السنّة كتباً في
جمع طرقه، حتّى أنّ بعضهم كتب في طرقه ثمانية و عشرين
مجلداً أو أكثر؟^١

كلام صاحب «عبقات الانوار» في تواتر حديث الغدير عند العامة

و من علماء الإماميّة الذين ألقوا في الغدير: مير حامد
حسين رضوان الله عليه، و هو من مفاخر علماء الإسلام،
و من حماة حريم التشيع^٢ و حرّاسه المرموقين. فإنّه فصل

١ «العبقات» جزء الغدير، ص ٤٢ و ٤٣.

٢ عدة العلامة الأميني في «الغدير» ج ١، ص ١٥٦ و ١٥٧ المصنّف الحادي و
العشرين من الذين ألقوا في حديث الغدير. و قال في ترجمته: «السيد مير حامد
حسين بن السيد محمد قلي الموسوي الهندي اللكهنوي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ
عن ٦٠ سنة. ذكر حديث الغدير و طرقه و تواتره و مفاده في مجلدين ضخمين
في ألف و ثمان صحائف. و هما من مجلّدات كتابه الكبير «العبقات». و هذا السيد
الظاهر العظيم كوالده المقدّس سيف من سيوف الله المشهورة على أعدائه؛ و
راية ظفر الحقّ و الدين، و آية كبرى من آيات الله سبحانه. قد أتمّ به الحجّة، و
أوضح المحجّة. و أمّا كتابه «العبقات» فقد فاح أريجه بين جهات العالم، و طبّق
حديثه المشرق و المغرب. و قد عرف من وقف عليه أنه ذلك الكتاب المعجز

كثيراً في ذكر الكتب المصنّفة في موضوع حديث الغدير.
و انبري إلى ذكر أسماء كثير من العلماء الذين اعترفوا بتواتر
الحديث، و ترجم لهم مسهباً. رضوان الله عليه و أسكنه
بُحبوحَة جنّته مع أوليائه.

كلام العلامة الاميني حول مصادر حديث الغدير

و قد أتى المرحوم العلامة الأميني على حديث الغدير
من جميع جوانبه و وفاه حقّه. و ذلك في كتابه الفذّ البديع
الذي لا مثيل له: «الغدير»

الميين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. و قد استفدنا كثيراً من
علومه المودعة في هذا السفر القيم. فله و لوالده الطاهر منّا الشكر المتواصل،
و من الله تعالى لها أجزل الاجور».

الذي يعدّ فريداً في موضوعه حقاً، و صاحبه من
مفاخر علمائنا. ذكر العلامة الأمينيّ سند الغدير بالتفصيل
عن مائة و عشرة صحابيّ مرتبة أسماؤهم على حسب
حروف الهجاء مع ترجمة وافية لهم. و كذلك أورد أسماء
أربعة و ثمانين تابعياً وفقاً للترتيب الهجائيّ.^١ و نقل في
موسوعته أسماء الرواة الذين رووا هذا الحديث، اعتباراً
من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجريّ، و مجموعهم
ثلاثمائة و ستون راوياً مع ترجمة لحياتهم. و كذلك ثبت فيه
أسماء المؤلفين الذين صنّفوا في حديث الغدير، و عددهم
ستّة و عشرون شخصاً. و قال في آخر هذا البحث تحت
عنوان: تكملة: قال ابن كثير في «البداية و النهاية» ج ٥،
ص ٢٠٨: «و قد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمّد

١ نذكر هنا أسماء بعض المشاهير من التابعين، و هم: الأصبغ بن بُبّانة، سعيد
بن جبير، سالم بن عبد الله بن عمر، سُليم بن قيس الهلاليّ، سليمان بن مهران
الأعمش، طاووس بن كيسان اليمانيّ، عامر بن سعد بن أبي وقاص، أبو مريم
عبد الله بن زياد الأسديّ الكوفيّ، عائشة بنت سعد، عطية بن سعد بن جُنادة
العوفيّ الكوفيّ، عُمر بن عبد العزيز، عمر بن عليّ أمير المؤمنين، محمّد بن عمر
بن عليّ أمير المؤمنين.

بن جرير الطبري صاحب التفسير و التأريخ، فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه و ألفاظه. و كذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة، نحن نورد عيون ما روى في ذلك».

و بعد نقل حكاية الجويني في بغداد و مشاهدته المجلد الثامن و العشرين الخاص بالغدير عند الصحاف، قال نقلاً عن «ينابيع المودة»: «و قال العلوي الهدار الحداد في كتاب «القول الفصل» ج ١، ص ٤٤٥: كان الحافظ أبو العلاء العطار الهمداني يقول: أروى هذا الحديث بهائتي و خمسين طريقاً. و هناك تأليف اخرى تخص هذا الموضوع يأتي ذكرها

في صلاة الغدير، إن شاء الله»^١.

و جمع صاحب «الغدير» في هذه الموسوعة القيّمة القصائد التي انشدت في الغدير بدءاً بعصر صدر الإسلام حيث شعر حسّان بن ثابت، و الكميت و أمثالهما، و انتهاءً بالقرن الرابع عشر. جمع القصائد التي قيلت في الغدير، و رتبها حسب عصورها. و جاء ببحث بليغ حول ترجمة شعرائها و منهجهم في الحياة، و تطلّعهم في العلوم، و قرض الشعر، و الجدل، و إخلاصهم لأهل البيت عليهم السلام. و يمثّل كتاب «الغدير» موسوعة ضخمة ترتكز على أساس مدرسة التشيع. و فيها كلّ ما لذّ و طاب من الشعر، و الأدب، و التاريخ، و الفنّ، و الأخلاق، و العلم، و الدين. رحم الله العلامة الأمينيّ و جزاه عن العلم و الدين و الإسلام و الإيمان أحسنَ الجزاء، و أسكّنَه في بُحْبُوحة جنّانه مع أوليائه أئمّة المسلمين من آل خير المرسلين.

١ «الغدير» ج ١، ص ١٤ إلى ١٥٨.

و قد تحدّث العلامة الأميني في مقدّمة الكتاب عن
ضرورة وجود تأريخ صحيح؛ و اعتبر ذلك باعثاً على
تنامي المجتمع و رقيّه. أي: أنّ كلّ سعادة يناها شعب من
الشعوب منبثقة عن البحث و النقد و التدوين و التعديل
و الترجيح في التأريخ الصحيح. و ذلك ما يقود الشعب
نحو الواقع، و يهديه إلى واقع الأمر و الحقيقة. و إذا
انحرف التأريخ عن مجراه الصحيح أحياناً، و صوّر
المؤرّخون، و الخطباء، و البلغاء، و المحدثون، و
الكتّاب، الحقائق بشكل آخر، و فُتح للناس طريق
الخيالات و الأوهام، بحيث لا يتسنّى لهم أن يميّزوا الحقّ
من الباطل، فعندئذٍ يسير المجتمع نحو الضياع و الفناء،
ذلك أنه أسّس ببيان تأريخه على شفا جُرف هار،

فلا منتدح له من الانهيار.

إنَّ اهمّيّة واقعة الغدير في تأريخ الإسلام، بل في تأريخ البشريّة جمعاء لا مجال للشك فيها أو التردد على الإطلاق لأنّ كل عاقل لا يشك بأنّ شرف الشيء بشرف غايته، فعليه يجب على كل عاقل لأجل الحصول على أصول الدين و أساس المذهب أن يسعى في مواضع التاريخ و أسسه و جذوره، و هذه هي الوسيلة التي تقرب الشعوب و الأمم من بعضها البعض.

و لذلك نجد أئمّة التّاريخ يتهاكّون في ضبط مبادئ الأديان و تعاليمها، و تقييد ما يتبعها من دعايات، و حروب، و حكومات، و ولايات، التي عليها تناسلت الحقب و الأعوام، و مضت القرون الخالية [و يعرّض أولئك المؤرّخون أنفسهم للخطر من وراء ذلك].

و إذا أهمل مؤرّخ شيئاً من ذلك، [و لم يسبر غورها كما ينبغي]، فقد أوجد في صحيفته فراغاً لا تسدّه أيّة مهمّة، و جاء فيها بأمر خداج، بتر أوّله، و لا يُعلم مبدؤه. و عسى أن يوجب ذلك جهلاً للقارئ في مصير الأمر و منتهاه.

إنّ واقعة «غدير خمّ» هي من أهمّ تلك القضايا [التي
وقعت في التاريخ] لما ابنتي عليها و على كثير من الحجج
الدامغة، مذهب المقتصّين إثر آل الرسول صلوات الله
عليه و عليهم، و هم يعدّون بالملايين، و منهم الحكماء و
العلماء و الأمراء، و القادة، و فيهم العلم و السؤدد و
الأدب الجمّ، و الفضل الكثير، [و عندهم] كتب قيّمة في
كلّ فنّ [من الفنون].

[لذلك]، فإنّ يكن المؤرخ منهم، فمن واجبه أن
يفيض على امّته نبأ بدء دعوته. و إن يكن من غيرهم، فلا
يعدوه أن يذكرها بسيطة عند ما يسرد

تأريخ أمة كبيرة كهذه، أو يشفعها بما يرتأيه حول القضية من غمزة في الدلالة، إن كان مزيج نفسه النزول على حكم العاطفة، و ما هنالك من نعرات طائفية [التي لا يقوى على التخلص منها] على حين أنه لا يتسنى له غمز في سندها، فإن ما جاء به النبي يوم الغدير من الدعوة إلى مفاد حديثه لم يختلف فيه اثنان، و إن اختلفوا في مؤداه لأغراض و شوائب غير خافية على النبيه البصير.

المؤرخون الذين تقلوا واقعة غدير خم

و من أئمة التأريخ الذين ذكروا حديث الغدير:

١- البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ في «أنساب

الأشراف».

٢- ابن قتيبة المتوفى [سنة] ٢٧٦ في «المعارف»، و

«الإمامة و السياسة».

٣- الطبري المتوفى [سنة] ٣١٠ في كتاب مفرد.

٤- ابن زولاق الليثي المصري المتوفى [سنة] ٢٨٧

في تأليفه.

٥- الخطيب البغداديّ المتوفّي [سنة] ٤٦٣ في

تأريخه.

٦- ابن عبد البرّ المتوفّي [سنة] ٤٦٣ في

«الاستيعاب».

٧- الشهرستانيّ المتوفّي [سنة] ٥٤٨ في «المِلل و

النحل».

٨- ابن عَسَاكر المتوفّي [سنة] ٥٧١ في «تأريخ

دمشق».

٩- ياقوت الحَمَوِيّ في «معجم الادباء» ج ١٨ ص

٨٤ من الطبعة الأخيرة.

١٠- ابن الأثير المتوفّي [سنة] ٦٣٠ في «اسد الغابة».

١١- ابن أبي الحديد المتوفّي [سنة] ٦٥٦ في «شرح

نهج البلاغة».

١٢- ابن خَلِّكان المتوفّي [سنة] ٦٨١ في تأريخه.

١٣- اليافعيّ المتوفّي [سنة] ٧٦٨ في «مرآة الجنان».

١٤- ابن الشيخ البلويّ في «ألف باء».

١٥- ابن كثير الشامي المتوفى [سنة] ٧٧٤ في
«البداية و النهاية».

١٦- ابن خلدون المتوفى [سنة] ٨٠٨ في مقدمة
تأريخه.

١٧- شمس الدين الذهبي في «تذكرة الحفاظ».

١٨- النويري المتوفى حدود ٨٣٣ في «نهاية الإرب».

١٩- ابن حجر العسقلاني المتوفى [سنة] ٨٥٢ في
«الإصابة» و «تهذيب التهذيب».

٢٠- ابن صباغ المالكي المتوفى [سنة] ٨٥٥ في
«الفصول المهمة».

٢١- المقرزي المتوفى [سنة] ٨٤٥ في «الخطط».

٢٢- جلال الدين السيوطي المتوفى [سنة] ٩١٠ في
كتب كثيرة له.

٢٣- القرماني الدمشقي المتوفى [سنة] ١٠١٩ في
«أخبار الدول».

٢٤- نور الدين الحلبي المتوفى [سنة] ١٠٤٤ في
«السيرة الحلبية» و غيرهم [من المؤرخين الآخرين].

و هذا الشأن في علم التاريخ لا يقلّ عنه الشأن في فنّ الحديث. فإنّ المحدث إلى أي شطر ولى وجهه من فضاء فنّه الواسع [في علم الحديث]، يجد عنده صحاحاً و مسانيد تثبت هذه المأثرة لوليّ أمر الدين عليه السلام؛ و لم يزل الخلف يتلقاه من سلفه حتّى ينتهي الدور إلى جيل الصحابة الوعاة للخبر؛ و يجد لها مع تعاقب الطبقات بلجاً و نوراً يذهب بالأبصار.

فإن غفى النظر محدّث عن موضوع بهذه الدرجة من الأهميّة الولائيّه، فقد أضاع حقّ الأمتّه، و حرصها من الكثير الطيّب ممّا أسدى إليها نبيّها نبيّ الرحمة من برّه الواسع، و هدايته لها إلى الطريقة المثلى.

المحدثون الذين تفلوا واقعة غدیر خمّ

و ممّن ذكر حديث الغدير من أئمّة الحديث:

١- إمام الشافعيّة أبو عبد الله محمد بن إدريس

الشافعيّ المتوفى سنة ٢٠٤ كما في نهاية ابن الأثير.

٢- إمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفى [سنة] ٢٤١

في مسنده و مناقبه.

٣- ابن ماجة المتوفى [سنة] ٢٧٣ في سننه.

٤- الترمذى المتوفى [سنة] ٢٧٩ في صحيحه.

٥- النسائى المتوفى [سنة] ٣٠٣ في الخصائص.

٦- أبو يعلى الموصلى المتوفى [سنة] ٣٠٧ في

مسنده.

٧- البغوي المتوفى [سنة] ٣١٧ في سننه.

٨- الدولابي المتوفى [سنة] ٣٠٢ في «الكنى و

الأسماء».

٩- الطحاوري المتوفى [سنة] ٣٢١ في «مُشكل

الآثار».

١٠- الحاكم المتوفى [سنة] ٤٠٥ في «المستدرک».

١١- ابن المغازلي الشافعي المتوفى [سنة] ٤٨٣. في

«المناقب».

١٢- ابن منده الإصفهاني المتوفى [سنة] ٥١٢ بعدة

طرق في تأليفه.

١٣- الخطيب الخوارزمي المتوفى [سنة] ٥٦٨ في

«المناقب» و مقتل الإمام السبط سيد الشهداء عليه

السلام».

١٤- الكنجي المتوفى [سنة] ٦٥٨ في «كفاية

الطالب».

١٥- محب الدين الطبري المتوفى [سنة] ٦٩٤ في

«الرياض النضرة» و «ذخائر العقبى».

١٦- الحموي المتوفى [سنة] ٧٢٢ في «فرائد

السمطين».

١٧- الهيثمي المتوفى [سنة] ٨٠٧ في «مجمع

الزوائد».

١٨- الذهبي المتوفى [سنة] ٧٤٨ في «التخليص».

١٩- الجزري المتوفى [سنة] ٨٣٠ في «أسنى

المطالب».

٢٠- القسطلاني المتوفى [٩٢٣] في «المواهب

اللدنية».

٢١- المتّقي الهنديّ المتوفّي [سنة] ٩٧٥ في «كنز

العمّال».

٢٢- الهروي القاري المتوفى [سنة] ١٠١٤ في

«المراقبة في شرح المشكاة».

٢٣- تاج الدين المناوي المتوفى [سنة] ١٠٣١ في

«كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق»؛ و في «فيض

القدير».

٢٤- الشيخاني القادري في كتاب «الصراط السوي

في مناقب آل النبي».

٢٥- باكثير المكي المتوفى [سنة] ١٠٤٧ في «وسيلة

الآمال من مناقب الآل».

٢٦- أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفى [سنة]

١١٢٢ في «شرح المواهب».

٢٧- ابن حمزة الدمشقي الحنفي في كتاب «البيان و

التعريف». و غيرهم [من المحدثين الآخرين].

المفسرون الذين تملوا واقعة الغدير

كما أن المفسر نصب عينيه أي من القرآن الكريم

نازلة في هذه المسألة، يرى من واجبه الإفاضة بما جاء في

نزولها و تفسيرها. و لا يرضى لنفسه أن يكون علمه
مبتوراً، و سعيه مخدجاً. فذكرها من أئمة التفسير:

- ١- الطبري المتوفى [سنة] ٣١٠ في تفسيره.
- ٢- الثعلبي المتوفى [سنة] ٤٢٧ / ٤٣٧ في تفسيره.
- ٣- الواحدي المتوفى [سنة] ٤٦٨ في «أسباب
النزول».

- ٤- القرطبي المتوفى [سنة] ٥٦٧ في تفسيره.
- ٥- أبو السعود في تفسيره.
- ٦- الفخر الرازي المتوفى [سنة] ٦٠٦ في تفسيره
الكبير.

- ٧- ابن كثير الشامي المتوفى [سنة] ٧٧٤ في تفسيره.
- ٨- النيسابوري المتوفى في القرن الثامن في تفسيره.

٩- جلال الدين السيوطي في تفسيره.

١٠- الخطيب الشربيني في تفسيره.

١١- الآلوسي البغدادي المتوفى [سنة] ١٢٧٠ في

تفسيره، وغيرهم [من المفسرين].

المتكلمون واللغويون الذين نقلوا حديث الغدير

و المتكلم حين يقيم البراهين في كل مسألة من مسائل

علم الكلام، إذا انتهى به السير إلى مسألة الإمامة، فلا

مُنتدح له من التعرض لحديث الغدير، حجة على المدعى،

أو نقلاً لحجة الخصم، وإن أردفه بالمناقشة في الحساب

عند الدلالة. مثل:

١- القاضي أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة

٤٠٣ في كتاب «التمهيد».

٢- القاضي عبد الرحمن الإيجي الشافعي المتوفى

[سنة] ٧٥٦ في «المواقف».

٣- السيد الشريف الجرجاني المتوفى [سنة] ٨١٦ في

«شرح المواقف».

٤- البيضاوي المتوفى [سنة] ٦٨٥ في «طوالع

الأنوار».

٥- شمس الدين الإصفهاني في «مطالع الأنظار».

٦- التفتازاني المتوفى سنة [٧٩٢] في «شرح

المقاصد».

٧- القوشجي المولى علاء الدين المتوفى [سنة]

٨٧٩ في «شرح التجريد».

و العبارة التي أتى بها هؤلاء المتكلمون جميعهم هي:

«أن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله قد جمع الناس يوم

غدير خمّ موضع بين مكّة و المدينة بالجحفة؛ و ذلك بعد

رجوعه من حجّة الوداع، و كان يوماً صائفاً حتّى أنّ

الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدة الحرّ؛ و جمع

الرجال،

و صعد عليها، و قال مخاطباً [الناس]:

"مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ! أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟!"

قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلَىٰ! قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ

وَالِ مَنْ وَآلَاهُ، وَ عَادٍ مَنْ عَادَاهُ، وَ أَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ، وَ أَخْذُلُ

مَنْ خَذَلَهُ".

لم ينقل المتكلمون هذه الكلمات من مصدر ما، بل

ذكروها إرسالاً المسلم.

و من المتكلمين: القاضي المنجم محمد الشافعي

المتوفى [سنة] ٨٧٦ في «بديع المعاني»، و جلال الدين

السيوطي في أربعينه؛ و مفتي الشام حامد بن علي العمادي

في «الصلاة الفاخرة بالأحاديث المتواترة»؛ و الآلوسي

البغدادي المتوفى [سنة] ١٣٢٤ في «نثر اللئالي». و

غيرهم [من المتكلمين].

و اللغوي لا يجد مُتَدَحًّا من الإيعاز إلى حديث الغدير

عند إفاضة القول في معنى المَوْلى، أو الحُمِّ، أو الغدير، أو

الولي، كابن دُرَيْدٍ محمد بن الحسن المتوفى [سنة] ٣٢١ في

جمهرته ج ١ ص ٧١؛^١ و ابن الأثير في «النهاية» و الحموي
في «معجم البلدان» في خُم، و الزبيدي الحنفي في «تاج
العروس»، و النبّهاني في «المجموعة النبّهانيّة».^٢
و جاء في «غاية المرام» تحت عنوان: نصّ رسول الله
صلّى الله عليه

١ قال: غدير خمّ معروف، و هو الموضوع الذي قام فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله خطيباً بفضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كذا في المطبوع من «الجمهرة». و قد حكى عنه ابن شهر آشوب في العصور المتقدّمة من النسخ المخطوطة من «الجمهرة» ما نصّه: هو الموضوع الذي نصّ النبيّ فيه على [ولاية] عليّ عليه السلام. و قد حرّفته يد المطبعة المؤتمنة.
٢ «الغدير» ج ١، ص ٥ إلى ٨.

و آله على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في غدير خمّ بالولاية المقتضية للإمامة و الإمامة في قوله صلّى الله عليه و آله: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ** من طريق العامّة تسعة و ثمانون حديثاً، و من طريق الخاصّة ثلاثة و أربعون حديثاً. و فيما يلي عدد من الأحاديث عن الفريقين:

قال أحمد بن حنبل: حدّثنا ابن نمير، قال: حدّثنا عبد الملك بن عطية العوفي، قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له: **إِنَّ خَالِي حَدَّثَنِي عَنْكَ بِحَدِيثٍ فِي شَأْنِ عَلِيِّ يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ؛ فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ!**

فقال [زيد]: معشر أهل العراق، فيكم ما فيكم؛ فقلت: ليس عليك مني بأس! قال: نعم! كنا بالجحفة، فخرج رسول الله صلّى الله عليه و آله ظهراً و هو آخذ بيدي عليّ عليه السلام فقال: أيها الناس! أستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟! قالوا: بلى. قال: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ.**

قال: فقلت: هل قال رسول الله: **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ**،

وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ؟ قال زيد: إنما اخبرك ما سمعتُ! ١

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال حدثنا حماد، عن

عليّ بن زيد، عن عديّ بن ثابت، عن البرّ، و هو ابن

عازب، قال: أقبلنا مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي حَجَّةِ

الوداع حتّى كُنَّا بِبَغْدِيرِ خَمٍّ، فنودي فينا إلى الصلاة جامعة.

و كُسِحَ لِرَسُولِ اللهِ بَيْنَ شَجْرَتَيْنِ. فأخذ [رسول الله] بِيَدِ

عليّ و قال: **أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟** قالوا: بلى

يَا رَسُولَ اللهِ.

قال: **أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟** قالوا: بلى يَا

رَسُولَ اللهِ!

قال: **هَذَا مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ! وَ**

عَادِ مَنْ عَادَاهُ.

١ «غاية المرام» ص ٧٩ الباب السادس عشر، الحديث الثامن، الطبعة الحجرية.

فلقية عمر، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت

وأمسيت مولى كل مؤمن و مؤمنة.^١

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدّثنا عبد الله بن

الصّقر سنة ٢٩٩، قال: حدّثنا يعقوب بن حمدان بن

كاسب، قال: حدّثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، و

ربيعة الخدسيّ أنه ذكر عليّ [بن أبي طالب] عند رجل، و

عنده سعد بن أبي وقاص؛ فقال له سعد: أتذكر ذكراً أن له

مناقب أربعاً، لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من كذا

و كذا، و ذكر حمر النعم، و قوله [أي رسول الله]: لأعطينّ

الرّاية، و قوله: **أنت مني بمنزلة هارون من موسى**، و قوله:

من كنت مولاه فعليّ مولاه.

و نسي سفيان واحدة.^٢

من «صحيح مسلم» أيضاً قال: حدّثنا ابن بكّار بن

الريان، [قال]: حدّثنا حسان يعني ابن إبراهيم، عن سعيد

و هو ابن مسروق، عن يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم،

١ نفسه ص ٨٠، الحديث الحادي عشر.

٢ «غاية المرام» ص ٨٠، الحديث السادس عشر، الطبعة الحجرية.

قال: دخلنا عليه؛ فقلنا له: لقد صاحبت رسول الله صلى
الله عليه وآله! و صليت خلفه! و لقيت خيراً كثيراً، حدّثنا
ما سمعت من رسول الله!

قال زيد: يا بن أخي! و الله لقد كبرت سنّي و قدم
عهدي؛ و نسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله؛
فما حدّثتكم، فاقبلوه! و ما لا، فلا تكلفونيهِ! ثمّ قال: قام
رسول الله صلى الله عليه و آله يوماً فينا خطيباً بما يدعى
خُماً بين مكّة و المدينة؛ فحمد الله و أثنى عليه، و وعظ و
ذكّر، ثمّ [قال]: أمّا بعد؛

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي
فَاجِيبَ؛ أَلَا وَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ؛
وَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ؛ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَ مَنْ تَرَكَهُ كَانَ
عَلَى ضَلَالَةٍ؛ فِيهِ الْهُدَى وَ النُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَ
اسْتَمْسِكُوا بِهِ. فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ رَغَبَ فِيهِ؛ ثُمَّ قَالَ:
وَ أَهْلُ بَيْتِي، اذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، اذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ
بَيْتِي، اذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي! قَالَ: فَقُلْنَا: وَ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ
نِسَاؤُهُ؟!

قَالَ: لَا! أَيُّمُ اللَّهِ إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ ثُمَّ
الدَّهْرَ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهَا وَ قَوْمِهَا. أَهْلُ بَيْتِهِ أَهْلُهُ
وَ عَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِّمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ.^١

و من «مناقب ابن المغازلي» أبي الحسن علي بن
المغازلي الواسطي الشافعي بسنده عن زيد بن أرقم، ذكر
قضية الغدير و نقل أن رسول الله قال بعد حمد الله و الثناء
عليه: أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِنَبِيِّ مِنَ الْعُمَرِ إِلَّا

١ «غاية المرام»، ص ٨٠، الحديث التاسع عشر، عطفاً على الحديث السابع
عشر، الطبعة الحجرية.

نِصْفُ مَا عُمِّرَ مِنْ قَبْلَهُ؛ وَإِنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ
أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَإِنِّي قَدْ أَشْرَعْتُ^١ فِي الْعِشْرِينَ^٢، أَلَا وَإِنِّي
يُوشِكُ أَنْ أَفَارِقَكُمْ وَإِنِّي

مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ. و بعد حثّ الناس و
ترغيبهم في التمسك بالثقلين، قال: فَإِنِّي قَدْ سَأَلْتُ هُمَا
اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ فَأَعْطَانِي؛ نَاصِرُهُمَا لِي نَاصِرٌ؛ وَخَاذِلُهُمَا لِي
خَاذِلٌ؛ وَوَلِيَّهُمَا لِي وَليٌّ؛ وَعَدُوَّهُمَا لِي عَدُوٌّ؛ أَلَا فَإِنَّهَا لَمْ تَهْلِكْ
أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ حَتَّى تَدِينَنَّ بِأَهْوَائِهَا، وَتُظَاهَرَ عَلَى نُبُوَّتِهَا، وَتُقْتَلَ
مَنْ قَامَ بِالْقِسْطِ مِنْهَا. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ

^١ جاء في «المناقب»: قَدْ أَشْرَعْتُ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ.

^٢ لَا شَكَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عُمِّرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَعِنْدَ مَا يَقُولُ هُنَا: وَإِنِّي قَدْ
أَشْرَعْتُ فِي الْعِشْرِينَ، فَإِنَّهُ يَرِيدُ عُمَرَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ بَلَغَتْ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْذُ
بَدئِهَا. وَإِذَا مَا طَرَحْنَا الْأَعْوَامَ الثَّلَاثَةَ الْأُولَى حَيْثُ كَانَتِ الدَّعْوَةُ سَرِيَّةً، وَكَانَتِ
الآيَةُ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} بَعْدَ، فَالْبَاقِي عِشْرُونَ سَنَةً
كَانَتِ فِيهَا الدَّعْوَةُ النُّبُوَّةَ جَهْرًا. وَهَذِهِ الْمُدَّةُ تَسَاوَى نِصْفَ عُمَرِ عَيْسَى ابْنِ
مَرْيَمَ إِذْ كَانَ نَبِيًّا طِيلَةً أَرْبَعِينَ سَنَةً تَامَّةً، حَيْثُ جَعَلَ نَبِيًّا مِنْذُ طِفْلُوتِهِ: قَالَ: {إِنِّي
عَبُدْتُ اللَّهَ إِذْ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} ● وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَ
أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا}.

فَرَفَعَهَا وَ قَالَ: مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ
وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ،^١ قَالَهَا ثَلَاثًا - آخِرُ الْخُطْبَةِ.^٢

و في «مناقب ابن المغازلي» أيضاً بسنده عن جابر بن
عبد الله أن رسول الله لَمَّا نَزَلَ بِخَمٍّ، فَتَنَحَّى النَّاسَ عَنْهُ، وَ
نَزَلَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَشَقَّ عَلَى النَّبِيِّ تَأَخَّرَ النَّاسُ،
فَأَمَرَ عَلِيًّا فَجَمَعَهُمْ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ فِيهَا وَ هُوَ مَتَكِيٌّ يَدُ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا
النَّاسُ! إِنَّهُ قَدْ كَرِهْتُ تَخَلُّفَكُمْ عَنِّي حَتَّى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَيْسَ
شَجَرَةٌ أَبْغَضُ إِلَيْكُمْ مِنْ شَجَرَةٍ تَلِينِي؛ ثُمَّ قَالَ: لَكِنْ عَلِيٌّ
بُنُّ أَبِي طَالِبٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنِّي بِمَنْزِلَتِي مِنْهُ؛ فَارِضِي اللَّهَ عَنْهُ
كَمَا أَنَا عَنْهُ رَاضٍ، فَإِنَّهُ لَا يُخْتَارُ عَلَى قُرْبِي وَ مَحَبَّتِي شَيْئًا. ثُمَّ

١ «غاية المرام» ص ٨١ و ٨٢، الحديث السابع و العشرون؛ و «مناقب ابن
المغازلي»، ص ١٦ إلى ١٨، الحديث رقم ٢٣؛ و في «غاية المرام» أيضاً، ص
٨٨، الحديث ٧٩ في حديث ينقله عن علي بن أحمد المالكي، يذكر فيه إشارة
رسول الله إلى أن عمر كل نبي نصف عمر النبي الذي خلا من قبله.

٢ و في «غاية المرام» أيضاً، ص ٨٩، الحديث الثامن و الثمانون عن ابن المغازلي،
ذكر حديثاً بهذا المضمون أن رسول الله قال: لم يكن لنبي من العمر إلا نصف
ما عمّر من قبله. و إن عيسى ابن مريم عمّر أربعين سنة، و إنّي قد اشرعت في
العشرين.

رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ
مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.

قَالَ: فَأَبْتَدَرَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
يَبْكُونَ وَ يَتَضَرَّعُونَ وَ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تَنْحِينَا
عَنْكَ إِلَّا كَرَاهِيَّةَ أَنْ نَثْقَلَ عَلَيْكَ! فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَ سَخَطِ رَسُولِ اللَّهِ. فَرَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُمْ عِنْدَ
ذَلِكَ. ١

اعتراف أبي هريرة بحديث الغدير عند معاوية

و قال موفق بن أحمد أخطب خطباء خوارزم بإسناده:
قال الأصبغ بن نباتة: «دخلت على معاوية و هو جالس
على نطع من الادم، متكئاً على و سادتين خضراوتين، و عن
يمينه: عمرو بن العاص، و حوشب، و ذو الكلاع، و عن
شماله: أخوه عتبة، و ابن عامر بن كريز، و الوليد بن عتبة،
و عبد الرحمن بن خالد، و شر حبيل بن السمط؛ و بين يديه:
أبو هريرة، و أبو الدرداء، و النعمان بن بشير، و امامة
الباهلي.»

١ «غاية المرام» ص ٨٢، الحديث الثلاثون؛ الطبعة الحجرية و «مناقب ابن
المغازلي»، ص ٢٥ و ٢٦، الحديث السابع و الثلاثون.

فلما قرأ الكتاب [أي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام]، قال: إنَّ عليّاً لا يدفع إلينا قتلة عثمان. فقلت له: يا معاوية! تعتلّ بدم عثمان! فإنّك تطلب الملك و السلطان! و لو كنت أردت نصره حيّاً لنصرته! و لكنّك تربّصت به لتجعل ذلك سبباً إلى وصولك إلى الملك!

فغضب [معاوية من هذا الكلام]؛ فأردتُ أن يزيد غضبه، فقلتُ لأبي هريرة: يا صاحب رسول الله! إنّي احلّفتُ بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة، و بحقّ حبيبه المصطفى عليه و آله السلام، ألا أخبرتني! أ شهدتَ غدير خُمّ؟ قال [أبو هريرة]: بلى شهدتُه! قلتُ: فما سمعته [يقول] في عليّ؟!

قال: سمته يقول: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ**

وَالِ مَنْ وَالَاهُ،

وَ عَادٍ مِّنْ عَادَاهُ، وَ انْصُرْ مَن نَّصَرَهُ، وَ اخْذُلْ مَن

خَذَلَهُ.

قلتُ: فإذا أنت واليتَ عدوّه! و عاديته وليه! فتنفس

أبو هريرة الصعداء و قال: {إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} ١.

و روى السمعانيّ بإسناده عن سالم بن أبي الجعد، قال:

قيل لعمر: إِنَّكَ تَصْنَعُ بَعِيًّا مَا لَا تَصْنَعُهُ بِأَحَدٍ مِّنْ صَحَابَةِ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ! قَالَ: لِأَنَّهُ مَوْلَايَ! ٢

قال إبراهيم بن محمد الحمّويّ، [و هو] من أعيان

علماء العامّة: قال أخبرني الشيخ مجد الدين عبد الله بن

محمود بن مودود الحنفيّ، بقراءتي عليه، ببغداد ثالث

رجب سنة اثنتين و سبعين و ستمائة، قال الشيخ أبو بكر

المسمار بن عمر بن العويس البغداديّ سماعاً عليه، قال:

أبأنا أبو الفتح محمّد بن عبد الباقيّ المعروف بابن البطيّ

سماعاً عليه. و أخبرنا الإمام الفقيه كمال الدين أبو غالب

١ «غاية المرام» ص ٨٦، الحديث التاسع و الأربعون؛ الطبعة الحجرية؛ و

«مناقب الخوارزمي» طبعة النجف، ص ١٣٤ و ١٣٥، و في الطبعة الحجرية ص

٢ «غاية المرام» ص ٨٤، الحديث السادس و الخمسون.

هبة الله بن أبي القاسم بن أبي غالب السامريّ بقراءتي عليه
بمسجد القصر ببغداد ليلة الأحد السابع و العشرين من
شهر رمضان سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة، قال: أنبأنا
الشيخ محاسن بن عُمَر بن رضوان الحرائنيّ سماعاً عليه في
الحادي و العشرين من المحرّم سنة اثنتين و عشرين و
ستمائة، قال: أنبأنا أبو بكر محمّد بن عبد الله بن نصر بن
الزعفرانيّ سماعاً عليه في السادس عشر من شهر رجب من
سنة خمسين و خمسمائة، قال: أنبأنا أبو عبد الله مالك بن
أحمد بن عليّ بن إبراهيم الفراء البانياسيّ سماعاً عليه، قال
ابن الرغونيّ في شهر شعبان سنة ثلاث

و ستين و أربعائة، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن قاسم بن الصلت قراءةً عليه، و أنا أسمع في رجب ثالث عشر من سنة خمس و أربعائة، قال: أنبأنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي المكنى بأبي إسحاق، قال: أنبأنا أبو سعيد الأشج، قال: أنبأنا المُطَلِّب بن زياد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال:

كنت عند جابر بن عبد الله في بيته، و عليّ بن الحسين عليه السلام و محمد بن الحنفية، و أبو جعفر [الباقر] عليه السلام [عنده]. فدخل رجل من أهل العراق، فقال: أنشدك الله إلا حدّثني بما رأيت و ما سمعت من رسول الله صلّى الله عليه و آله!

فقال [جابر]: كنا بالجحفة بغدير خم، و ثمّ ناس كثير من جُهَيْنَةَ، و مُزَيْنَةَ، و غِفَار؛ فخرج علينا رسول الله صلّى الله عليه و آله من خِباء أو فُسْطَاط،^١ فأشار بيده ثلاثاً، ثمّ

١ الخباء: خيمة يصنعونها من الصوف أو الوبر أو الشعر، و يسكنون فيها. و جمعه: أخبية. و الفُسْطَاط، و الفُسَاط، و الفُسْطَاط: خيمة يصنعونها من الشعر. و جمعه: فُسَاطِيط.

أخذ بيد عليّ صلوات الله عليه و قال: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ**.^١

رسالة عمرو بن العاص إلى معاوية تضمّ حديث الغدير

و يقول موفق بن أحمد [الخوارزمي] في حديث مكاتبة معاوية لعمرو بن العاص أن يستفزّه في محاربة عليّ عليه السلام فأبى عليه عمرو بن العاص؛ فأجاب معاوية في جواب مكاتبته، فقال عمرو و هو [يعدّ] فضائل أمير المؤمنين عليه السلام [واحدة بعد الاخرى]: **وَ قَدْ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: هُوَ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ؛ وَ هُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ**

١ «غاية المرام» ص ٨٥، الحديث الحادي و الستون؛ و «فرائد السمطين» ج ١، ص ٦٢ و ٦٣، الحديث ٢٩.

مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؛ وَقَدْ قَالَ فِيهِ يَوْمَ غَدِيرِ
خُحْمٍ: أَلَا وَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ
وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَ اخذُلْ مَنْ
خَذَلَهُ. إلى آخر الكتاب، و هو كتاب مفصل.^١

و ينقل [إبراهيم بن محمد] الحمُّوئي بسنده، عن زيد
بن عمر بن مورِّق، قال: كنت بالشام، و عمر بن عبد
العزیز يعطي الناس، فتقدّمت إليه. فقال: ممّن أنت؟
فقال، قلت: من قريش! قال: من أيّ قريش أنت؟!
قلت: من بني هاشم! قال: من أي بني هاشم؟! فسكت!
فوضع يده على صدره و قال: أنا و الله مولى عليّ بن أبي
طالب!

ثمّ قال: حدّثني عدّة أنهم سمعوا رسول الله صلّى الله
عليه و آله و سلّم يقول: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. ثمّ
قال [لخازنه]: يا مُزاحم! كم تعطي أمثاله؟! قال
[مُزاحم]: مائة أو مائتي درهم!

١ «غاية المرام» ص ٨٤، الحديث الثامن و الأربعون؛ و «مناقب الخوارزمي»
طبعة النجف، ص ١٣٠، و الطبعة الحجرية ص ١٢٦.

قال [عمر بن عبد العزيز]: أعطه خمسين ديناراً؛

لولاية عليّ بن أبي طالب، ثمّ قال: إحق ببلدك فسيأتيك

مثل ما يأتي نظراءك.^١

و روى الحمّوئيّ بسنده أيضاً عن أبي سعيد الخدريّ

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا الناس إلى عليّ عليه

السلام في غدیر خمّ، و أمر بما تحت الشجرة من الشوك

فقّم، و ذلك يوم الخميس.^٢ فدعا عليه السلام عليّاً

عليه السلام، فأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى نظر الناس

إلى بياض إبّطي رسول الله؛ ثمّ لم يفترقوا حتّى نزلت هذه

الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً}.^٣ فقال

١ «غاية المرام» ص ٨٦، الحديث الرابع و الستون؛ و «فرائد السمطين» ج ١

ص ٦٦، الحديث رقم ٣٢. و جاء في «الفرائد» أنّ عمر بن عبد العزيز بعد أن

سأله: من أي بني هاشم؟ قال: مَوْلى عَلِيٍّ! قال: مَوْلى عَلِيٍّ؟ فسكت.

٢ ينبغي أن نعلم أننا وفقاً لما ذكرناه عن تحرك رسول الله إلى مكة في حجة

الوداع، فإنّ أوّل ذي الحجة كان يوم الخميس، و عرفة كان يوم الجمعة، لذلك

فإنّ يوم الغدير، و هو الثامن عشر من ذي الحجة كان يصادف يوم الأحد. لكنّ

بعض التواريخ و الروايات نقلت أنه كان في يوم الخميس.

٣ الآية ٣، من السورة ٥: المائدة.

رسول الله: "الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضا الرب برسائتي و الولاية لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي".

و قال: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَ اخذْ مَنْ خَذَلَهُ". فقال حسان بن ثابت: إئذن لي يا رسول الله،

فأقول في عليّ أبياتاً تسمعها! فقال: قل على بركة الله!

أشعار حسان بن ثابت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقام حسان، فقال: يا معشر مشيخة قريش! اسمعوا

قولي شهادة من رسول الله في الولاية الثابتة لِعَلِيٍّ! ثم أنشد
هذه الأبيات:

علماً أنّ الأعلام و العلماء في الحديث و التاريخ أجمعوا

على شعر

حسان بن ثابت؛ و هذه الأبيات نفسها مستمسك
حيّ على الولاية في يوم الغدير؛ و تعتبر من الوثائق
التاريخية الهامة للغدير، إذ انشدت بين يدي رسول الله، و
وسعت مُفاد حديث الولاية في يوم الغدير.

كان حسان شاعر النبي، و تبوّأ في الشعر مقاماً منيعاً.
و نقل المؤرّخون مدائحه في رسول الله و أمير المؤمنين
عليهما الصلاة و السلام في كتبهم خلال مناسبات مختلفة.
و الذين ذكروا شعره في الغدير يختلفون في عدد الأبيات،
فمنهم من قال: ثلاثة، و منهم: أربعة، و منهم: خمسة، و
الأغلب: ستة، و ثمة من قال: عشرة، و هناك من قال: أكثر
من ذلك؛ و فيما يلي هذه الأبيات نقلاً عن كتاب «الغدير»،
تعقبها أسماء الكبار من العامة و الشيعة الذين ذكروا تلك
الغديرية في كتبهم:

العلماء الذين ذكروا شعر حسان بن ثابت في غدير خم

و من مشاهير علماء العامّة الذين ذكروا أبيات حسان

في كتبهم:

١- الحافظ أبو عبد الله المرزبانيّ محمّد بن عمران

الخراسانيّ المتوفّي [في سنة] ٣٧٨ في [كتاب] «مرّقة

الشعر».

٢- الحافظ [أبو سعيد] الخركويّش المتوفّي [في سنة]

٤٠٦ في كتابه «شرف المصطفى».

٣- الحافظ ابن مردويه الإصفهانيّ المتوفّي [في سنة]

٤١٠ أخرجه في كتابه.

٤- الحافظ أبو نُعَيْم الإِصْفَهَانِيّ المتوفى [في سنة]

٤٣٠ في كتابه: «مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي عَلِيٍّ».

٥- الحافظ أبو سعيد السَّجِسْتَانِيّ المتوفى [في سنة]

٤٤٧ في كتاب «الْوَلَايَةِ».

٦- أخطب الخطباء، الخوارزمي المتوفى [في سنة]

٥٦٨ في كتاب «المناقب»، و كتاب «مقتل الإمام السَّبْط

الشَّهِيد».

٧- الحافظ أبو الفتح النطنزي في كتاب «خصائص

العلوية على سائر البرية».

٨- أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى [في

سنة] ٦٥٤ في كتاب «تذكرة خواص الامّة».

٩- صدر الحُفَّاز الكنجي الشافعي المتوفى [في]

٦٥٨، في كتاب «كفاية الطالب».

١٠- شيخ الإسلام صدر الدين الحموي المتوفى

[في] ٧٢٢ في كتاب «فرائد السَّمطين».

١١- الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي

المتوفى بضع و ٧٥٠، في «نظم دُرر السَّمطين».

١٢- الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى [في

سنة] ٩١١ في كتاب «الازدهار فيما عقده الشعراء من

الأشعار».

و من مشاهير علماء الشيعة الذين ذكروا أبيات

حسان:

١- أبو عبد الله المُفَجَّع محمد بن أحمد المتوفى [في]

.٢٢٧

٢- أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم بن يزيد

الطبري في «المُسْتَرَشِد».

٣- أبو جعفر الصدوق، محمد بن بابويه المتوفى [في]

٣٨١ في كتاب

«الأمالى».

٤- الشريف الرضي المتوفى [سنة] ٤٠٦.

٥- مُعَلِّمُ الأُمَّةِ شيخنا المفيد المتوفى [سنة] ٤١٣ في

كتاب «الفُصُولُ المُخْتَارَةُ»، و كذلك في رسالته في معنى

المَوْلى، و ذكره أيضاً في كتابه الآخر: «النُّصْرَةُ لِسَيِّدِ العِترَةِ

في حَرْبِ البَصْرَةِ»؛ و في كتاب «الإرشاد» أيضاً.

٦- الشريف المرتضى عَلمُ الهُدَى المتوفى [سنة]

٤٣٦ في شرح بائِةِ السَيِّدِ الحِميرِيِّ.

٧- أبو الفتح الكَراجكيّ المتوفى [سنة] ٤٤٩ في

«كَنْزُ الفَوَائِدِ».

٨- الشيخ عبيد الله بن عبد الله السَّدَّادِيّ في

[كتاب] «المُقْنَع» في الإمامة.

٩- شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسيّ المتوفى [سنة]

٤٦٠ في كتاب «تَلْخِصُ الشَّافِي».

١٠- المفسّر الكبير الشيخ أبو الفتح الخَزاغيّ

الرازيّ المتوفى [سنة] ٥٥٨ في تفسيره.

١١- الشيخ الفَتّال في «روضَة الواعظين».

١٢- أبو عليّ الفضل بن الحسن الطُّبرسيّ في «إعلام

الوَرى».

١٣- ابن شهر آشوب السَّرويّ المازندرانيّ المتوفّى

[سنة] ٥٨٨ في «المناقب».

١٤- أبو زكريّا يحيى بن الحسن الحليّ الشهير بابن

بَطريق في كتاب «الخصائص».

١٥- السيّد هبة الدين في كتاب «المجموع الرّائق».

١٦- رضيّ الدين عليّ بن طاووس المتوفّى [سنة]

٦٦٤ في

«الطرائف».

١٧- بهاء الدين أبو الحسن الإربليّ المتوفّي سنة ٦٩٢

أو ٦٩٣ في «كشف الغمّة».

١٨- عماد الدين الحسن الطّبريّ في [كتاب] «كامل

بهائي».

١٩- الشيخ يوسف بن أبي حاتم الشاميّ في موضعين

من كتابه «الدرّ النّظيم».

٢٠- الشيخ عليّ البياضيّ العامليّ [المتوفّي سنة

٨٧٧] في كتاب «الصّراط المُستقيم».

٢١- القاضيّ نور الله المرعيّ الشوشتريّ الشهيد

المتوفّي سنة ١٠٩١ في «مجالس المؤمنين».

٢٢- المولى محسن الفيض الكاشانيّ المتوفّي سنة

١٠٩١ في [كتاب] علم اليقين.

٢٣- الشيخ إبراهيم القطيفيّ في [كتاب] «الفِرقة

النّاجية».

٢٤- السيّد هاشم البحرانيّ المتوفّي [سنة] ١١٠٧ في

«غاية المرام».

٢٥- العلامة المجلسي المتوفى [سنة] ١١١١ في

«بحار الأنوار».

٢٦- شيخنا البحراني صاحب «الحدائق» المتوفى

١١٨٦ في كتابه: «الكشكول». و هناك جمع آخرون من

العلماء رووا هذا الحديث من شعر حسان^١. و لما كان

بحثنا يحوم حول سند حديث الغدير و الولاية، لهذا ذكرنا

أسماء هؤلاء الأعلام و كتبهم.

و روى الحموي أيضاً بسنده عن الأصبغ [بن نباتة]

قال: سئل سلمان الفارسي رضي الله عنه عن علي بن أبي

طالب و فاطمة صلوات الله

^١ «الغدير» ج ٢، ص ٣٤ إلى ٣٩.

عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَآلِهِ يَقُولُ: "عَلَيْكُمْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَإِنَّهُ مَوْلَاكُمْ

فَأَحِبُّوهُ! وَكَبِّرُوهُ فَاتَّبِعُوهُ! وَعَالِمُكُمْ فَأَكْرِمُوهُ! وَقَائِدُكُمْ

إِلَى الْجَنَّةِ فَعَزِّزُوهُ! فَإِذَا دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ! وَإِذَا أَمَرَكُمْ

فَأَطِيعُوهُ! أَحِبُّوهُ بِحُبِّي! وَأَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي! مَا قُلْتُ لَكُمْ

فِي عَلِيٍّ إِلَّا مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي جَلَّتْ عَظَمَتُهُ"^١.

و روى ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن

سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن قاسم، عن عمرو بن

عَبْدِ الْغَفَّارِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ مَعَ مَعَاوِيَةَ؛ وَكَانَ

يَجْلِسُ بِالْعَشِيَّاتِ بَبَابِ كِنْدَةَ، وَيَجْلِسُ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ

شَابٌّ مِنَ الْكُوفَةِ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ انشُدْكَ

اللَّهُ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

"اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ؟!"^٢

قال أبو هريرة: اللَّهُمَّ نَعَمْ! فقال الشاب: فأشهد بالله

لَقَدْ وَالَيْتَ عَدُوَّهُ، وَعَادَيْتَ وَلِيَّهُ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُ.^٢

١ «غاية المرام» ص ٨٨، الحديث السابع والسبعون.

٢ «غاية المرام» ص ٨٩، الحديث الثالث والثمانون.

استدلال أهل صفين على أحقية أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عمار بن ياسر

و ذكر ابن أبي الحديد في شرحه أيضاً أن ابن نوح قال:

وَ عَجَبًا مِنْ قَوْمٍ - يَعْنِي مِنْ أَصْحَابِ صِفِّينَ - يَعْتَرِيهِمْ

الشُّكُّ فِي أَمْرِهِمْ فِي مَكَانِ عَمَّارٍ؛ وَ لَا يَعْتَرِيهِمْ الشُّكُّ فِي

مَكَانِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ يَسْتَدِلُّونَ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ مَعَ أَهْلِ

العِرَاقِ يَكُونُ عَمَّارٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ وَ لَا يَعْنُونَ بِمَكَانِ عَلِيٍّ؛

وَ يَحْذَرُونَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ

الْبَاغِيَةُ؛ وَ يَرْتَاعُونَ لِذَلِكَ؛ وَ لَا يَرْتَاعُونَ لِقَوْلِهِ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ

السَّلَامُ: "اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ؛ وَ لَا

لِقَوْلِهِ: لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَ لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا

و نقل ابن أبي الحديد في شرحه أيضاً أنّ عمّار بن ياسر كان يتحدّث مع عمرو بن العاص في يوم صِفِّين.

قال له عمّار [بن ياسر]: ساخِرك على ما اقاتلك عليه وأصحابك. إنّ رسول الله أمرني أن اقاتل الناكثين، و قد فعلتُ. و أمرني أن اقاتل القاسطين، و أنتم هم! و أمّا المَارِقُونَ، فلا أدري أدركهم أم لا؟!

أَيُّهَا الْأَبْتَرُ! أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ مَوْلَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ؟ وَ أَنَا مَوْلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ؛ وَ عَلِيٌّ مَوْلَايَ بَعْدَهُمَا. ٢

إنّ العلامة الكبير و المُحدّث العظيم: السيّد هاشم البَحْرانيّ، و هو من علماء الإسلام و مدرسة التشيع، و من الشخصيات القيّمة. و هو صاحب «تفسير البرهان»، و «مدينة المعاجز» و «غاية المرام»، و كتب اخرى؛ يقول في

١ «غاية المرام» ص ٨٩، الحديث الخامس و الثمانون.

٢ «المصدر السابق»، الحديث السادس و الثمانون.

«غاية المرام» بعد نقله تسعة وثمانين حديثاً عن العامّة ذكرنا عدداً قليلاً منها هنا: خبر غدير خمّ قد بلغ حدّ التواتر من طريق العامّة و الخاصّة، حتّى أنّ محمّد بن جرير الطبريّ صاحب التّاريخ أخرجّه و طرقه من خمسة و سبعين طريقاً، و أفرد له كتاباً سمّاه: كتاب «الولاية»؛ و هذا الرجل عامّيّ المذهب.

و أفرد له أبو العبّاس محمّد بن سعيد بن عقّدة كتاباً؛ و استخرج طرق حديث الغدير من مائة و خمسة طرق؛ و هذا قد تجاوز حدّ التواتر؛ فلا يوجد خبر قطّ نقل من طرق بقدر هذه الطرق. فيجب أن يكون أصلاً

متّبعاً و طريقاً واضحاً. و بعد نقله عن ابن طاووس

قصة أبي المعالي الجويني في بغداد و مشاهدته الجزء الثامن

و العشرين من «الغدير» عند الصحاف، يقول:

قصة ابن غالية و الفقيه الحنبلي حول زيارة يوم الغدير

حِكَايَةٌ لَطِيفَةٌ: ذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج

البلاغة» قال: حدّثني يحيى بن سعيد بن عليّ الحنبليّ

المعروف بابن غَالِيَةِ من ساكني قطيفا بالجانب الغربيّ

ببغداد؛ و أحد الشهود المعدّلين بها قال: كنت حاضراً

عند الفخر إسماعيل بن عليّ الحنبليّ الفقيه المعروف بغُلام

ابن المُشَنَّى. و كان الفخر إسماعيل هذا من كبار الحنابلة

ببغداد في الفقه و الخلاف، و يشتغل بشيء في علم المنطق،

و كان حلو العبارة. و قد رأيتُه أنا و حضرت عنده و

سمعت كلامه، و توفّي سنة ست مائة و عشر.

قال ابن غالية: و نحن عنده نتحدّث إذ دخل شخص

من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر

إليه يطالبه به؛ فاتّفق أن حضرت زيارة يوم الغدير؛ و

الحنبليّ المذكور في الكوفة. و هذه الزيارة هي اليوم الثامن

عشر من ذي الحجّة، و يجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن غالية: فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص، ما رأيت هل وصل ما لك إليك؟! هل بقي لك منه بقية عند غريمك؟! و ذلك الشخص يجاوبه، حتى قال: يا سيدي، لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، لرأيت ما يجري عند قبر عليّ بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة و سب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة و لا خيفة!

فقال [الفخر] إسماعيل: أيّ ذنب لهم؟ و الله ما جرّأهم على ذلك و لا فتح لهم هذا الباب إلا صاحب هذا القبر.

فقال ذلك الشخص؛ و من هو صاحب القبر؟!

قال [الفخر]: عليّ بن أبي طالب.

فقال [ذلك الشخص]: يا سيّدي! هو الذي سنّ لهم

ذلك وعلّمهم إيّاه وطرّقهم إليه؟! قال [الفخر]: نعم!

فقال [ذلك الشخص]: يا سيّدي! فإن كان [عليّ]

محقّاً، فما لنا نتولّي فلاناً و فلاناً؟ وإن كان مبطلاً، فما لنا

نتولّاه؟! ينبغي أن نبرأ منه أو منها.

قال ابن غالية: [لم يجد ذلك الفقيه الحنبليّ جواباً] فقام

إسماعيل مسرعاً فلبس نعله و قال: لعن الله إسماعيل

(الفاعل بن الفاعل) إن كان يعرف جواب هذه المسألة؛

و دخل دار حرمة و قمنا نحن و انصرفنا.^١

أحاديث الشيعة في الغدير

و أمّا الروايات و الأحاديث المأثورة عن الخاصّة:

روى المرحوم الصدوق عن أبيه قال: حدّثنا أحمد بن

إدريس، قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي

عمير، عن محمّد القبطيّ، قال: قال [الإمام] الصادق

جعفر بن محمّد عليه السلام: أغفل الناس قول رسول الله

^١ «غاية المرام» ص ٩٠.

في عليّ بن أبي طالب في مشربة أمّ إبراهيم كما أغفلوا قوله
يوم غدیر خمّ.

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان في مشربة أمّ
إبراهيم، و عنده أصحابه إذ جاء عليّ بن أبي طالب، فلم
يهتموا به. فلما رأهم رسول الله لا يهتمون به، قال: معاشر
النّاس! هذا من أهل بيتي تستخفّون به، و أنا حيّ بين
أظهركم! أمّا و الله لئن غبت عنكم، إنّ الله لا يغيب
عنكم. إنّ الرّوح، و الراحة، و البشّر، و البشارة لمن اتّم
بعليّ، و تولّاه، و سلّم له، و للأوصياء من ولده. حقّاً عليّ
أن أدخلهم في شفاعتي، لأنهم أتباعي. و من تبعني، فإنّه
منّي. سنّة جرت في من إبراهيم [الخليل]؛ لأنّي من
إبراهيم، و إبراهيم

منّي. و فضلي له فضل، و فضله فضلي. و أنا أفضل

منه، تصديق قول ربّي: {ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ١.

و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم لا يزال

موجوداً في مشرّبة أمّ إبراهيم، حتّى رجع الناس عن الأمر

[أمر عليّ بن أبي طالب] ٢.

و روى الصدوق أيضاً بسنده عن وكيع المسعودي،

رفعه عن سلمان الفارسيّ رحمه الله قال: مرّ إبليس لعنه الله

بنفر يتسابّون أمير المؤمنين عليه السلام فوقف أمامهم.

فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟! فقال [إبليس]: أنا ابو

مُرّة (و أبو مُرّة لقبه). فقالوا: يا أبا مُرّة! أ ما تسمع

كلامنا؟! فقال [إبليس]: سواةً لكم! تسبّون مولاكم عليّ

بن أبي طالب! فقالوا له: من أين علمت أنه مولانا؟ فقال

[إبليس]: من قول نبيكم: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛

اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انصُرْ مَنْ نصره،

١ الآية ٣٤، من السورة ٣: آل عمران.

٢ «غاية المرام» ص ٩٠، الحديث الثاني.

وَ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ". فقالوا له: أنت من مواليه و شيعته؟

فقال: ما أنا من مواليه و شيعته، و لكنني احبّه. و ما يبغضه
أحد إلا شاركته في الهال و الولد.

فقالوا له: يَا أبا مُرَّة! فنقول في عليّ شيئاً؟! فقال

[إبليس]: اسمعوا مني معاشر الناكثين و القاسطين و

المارقين! عبتُ الله عزّ و جلّ في الجانّ اثني عشر ألف

سنة. فلمّا أهلك الله الجانّ، شكوت إلى الله عزّ و جلّ

الوحدة. فخرج بي إلى السماء الدنيا، فعبدت الله عزّ و جلّ

في السماء الدنيا اثني عشر ألف سنة في جملة الملائكة. فبينما

نحن نسبح الله عزّ و جلّ و نقدّسه، إذ مرّ بنا نور

شعشعانيّ، فخرّت الملائكة لذلك سجّداً فقالوا: سُبُّوحٌ

قُدُّوسٌ. نور ملك مقرب أو نبيّ مرسل؟ فإذا النداء من

قبل الله عزّ

و جلّ: لَا نُورُ مَلَكٍ مُّقْرَبٍ، وَ لَا نَبِيٍّ مُّرْسَلٍ، هَذَا نُورُ

طِينَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.^١

و روى عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير،
عن ابن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما
أمر الله نبيّه أن ينصب أمير المؤمنين للناس في قوله: يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ «فِي عَلِيٍّ» بِغَدِيرِ خُمٍّ؛
فقال [النبيّ]: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ، فجاءت
الأبالسة إلى إبليس الأكبر و حثوا التراب على وجوههم.

فقال لهم إبليس [الأكبر]: ما لكم؟! قالوا: إنّ هذا
الرجل (النبيّ) قد عقد اليوم عقدة لا يحلّها شيء إلى يوم
القيامة. فقال لهم إبليس: كلاً، إنّ الذين حوله قد وعدوني
فيه عدّة لن يخلفوني! فأنزل الله على رسوله: {وَلَقَدْ صَدَّقَ
عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.^٢

و روى الشيخ الطوسي في «التهذيب» بإسناده عن
حَسَّانِ الْجَمَّالِ، قال: حملتُ أبا عبد الله عليه السلام من

١ «غاية المرام» ص ٩١، الحديث السادس.

٢ الآية ٢٠، من السورة ٣٤: سبأ.

المدينة إلى مكة؛ فلما انتهينا إلى مسجد الغدير، نظر في
ميسرة الجبل، فقال: ذاك موضع قدم رسول الله صلى الله
عليه وآله حيث قال: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ**
وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ. ثم نظر في الجانب الآخر،
قال: ذاك موضع أبي فلان، و فلان، و سالم مولى أبي
حذيفة، و أبي عبدة الجراح، لَمَّا رَأَوْهُ رَافِعاً يَدَهُ، قال
بعضهم: انظروا إلى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون! فنزل
جبرئيل بهذه الآية: **﴿وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا**
لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا

الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِلْعَالَمِينَ }^١. ثم قال: يا حَسَّان! لو لا أنك جَمَّالِي، ما

حدَّثتك بهذا الحديث.^٢

و روى محمد بن علي بن شهر آشوب، عن معاوية بن

عَمَّار، عن [الإمام] الصادق عليه السلام، قال: لَمَّا قَالَ

النَّبِيِّ: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. قال العَدَوِيُّ: لا، و

الله، ما أمره الله بهذا، و ما هو إِلَّا شيء يتقوَّله، فأنزل الله

تعالى:

{ وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٥٣﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ

بِالْيَمِينِ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٥٥﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ

عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٥٦﴾ وَ إِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ

أَنَّ مِنْكُمْ مُكْذِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَ

إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ }^٣. [و المراد من قوله]: { وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ

١ الآيتان ٥١ و ٥٢، من السورة ٦٨: ن وَ الْقَلَمِ.

٢ «غاية المرام» ص ٩٢، الحديث السادس عشر.

٣ الآيات ٤٤ إلى ٥١، من السورة ٦٩: الحاقة.

عَلَى الْكَافِرِينَ { يعني مُحَمَّد، [و المراد من قوله]: {وَإِنَّهُ
لِحَقِّ الْيَقِينِ}: يعني به عَلِيٌّ. ١

و روى مُحَمَّد بن العَبَّاس [بن مَاهِيَار] بسنده عن
فضيل بن عبد الملك، عن الإمام الصادق عليه السلام
قال: لَمَّا نَصَّبَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمير
المؤمنين [عليه السلام] يوم الغدير، افرق الناس ثلاث
فرق. فقالت فرقة: ضَلَّ مُحَمَّد. و فرقة قالت: غوي. و
فرقة قالت: يهواه، و تقوِّله في أهل بيته و ابن عمّه. فأنزل
الله سبحانه [هذه الآيات]:

{وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَى} ● مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى

● وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

١ «غاية المرام» ص ٩٢، الحديث السابع عشر.

الهُوى ٥٠٠ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ١.

و روى الشيخ الطوسي في أماليه قال أخبرنا محمد بن

محمد يعني [الشيخ] المفيد، بسنده عن زيد بن أرقم، قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِغَدِيرِ خُمٍّ يَقُولُ:

"إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِي وَ لَا لِأَهْلِ بَيْتِي. لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ادَّعَى

إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ؛ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ. الْوَلَدُ لِصَاحِبِ

الْفِرَاشِ وَ لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ. وَ لَيْسَ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ. إِلَّا وَ قَدْ

سَمِعْتُمْ مِنِّي وَ رَأَيْتُمُونِي. إِلَّا مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا

مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. إِلَّا وَ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَ مَكَائِرُ

بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي. إِلَّا لِأَسْتَنْقِذَنَّ رِجَالًا

مِنَ النَّارِ وَ لِيَسْتَنْقِذَنَّ مِنْ يَدَيِّ أَقْوَامٌ. إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَ أَنَا

مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ. إِلَّا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا عَلَيَّ

مَوْلَاهُ" ٢.

و روى الشيخ في أماليه [أيضاً] بإسناده عن سَهْمِ بْنِ

حَصِينِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ إِلَى مَكَّةَ أَنَا وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

١١ الآيات ١ إلى ٤، من السورة ٥٣: النجم.

٢ «غاية المرام»، ص ٩٢، الحديث الثامن عشر.

عَلْقَمَةَ؛ و كان عبد الله بن علقمة سبابة لعلّي بن أبي طالب
دهراً.

قال: فقلت [أي لعبد الله]: هل لك في هذا (يعني أبا
سعيد الخُدريّ) نحدث به عهداً؟!

قال: نعم! فأتينا. فقال [له عبد الله]: هل سمعت لعلّي
منقبة؟!

قال: نعم! إذا حدّثتك، تسأل عنها المهاجرين و
الأنصار و قريشاً. [اعلم] أنّ رسول الله قام يوم غدیر خمّ
فأبلغ، ثمّ قال: **أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَسْتُ**

أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قالوا: بلى، قالها ثلاث

مرّات. ثمّ قال: ادنُ يا عَلِيّ! فرفع رسول الله يديه حتّى

نظرتُ إلى بياض آباطهما، و قال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ

مَوْلَاهُ، ثلاث مرّات.

قال: فقال عبد الله بن علقمة [لأبي سعيد]: أنت

سمعت هذا من رسول الله؟! قال أبو سعيد: نعم، و أشار

إلى اذنيه و صدره و قال: سمعته اذناي و وعاه قلبي.

قال عبد الله بن شريك: فقدم [علينا] عبد الله بن

علقمة، و سهم بن حصين، فلما صلينا صلاة الظهر، قام

عبد الله بن علقمة، فقال: إِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَ أَسْتَغْفِرُهُ مِنْ

سَبِّ عَلِيٍّ.^١

و روى الشيخ في أماليه [أيضاً] بسنده عن عبد الله بن

يزيد، عن أبيه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ

١ «غاية المرام» ص ٩٤، الحديث ٢٣؛ و «أمالي الشيخ»، ص ٢٥٢، طبعة

سَلَّمَ: عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ، وَ هُوَ
وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي.^١

و روى في أماليه [أيضاً] بسنده عن عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ
سَمِعَ عَلِيًّا فِي الرَّحْبَةِ يَنْشُدُ النَّاسَ، مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ
يَقُولُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ
عَادِ مَنْ عَادَاهُ [فليقم و يشهد]. فقام بضعة عشر،
فشهدوا.^٢

و روى في أماليه [أيضاً] بسنده عن عبد الرحمن بن أبي
لَيْلَى قَالَ: قَالَ أَبِي: دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ
الرَايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ

١ «المصدر السابق»، الحديث ٢٤، و «أمالي الشيخ» ص ٢٥٣، المجلس
التاسع، النجف.

٢ «المصدر السابق»، الحديث ٢٧، و «أمالي الشيخ» ص ٣٤٣ و ٣٤٤،
المجلس الثاني عشر.

أبي طالب عليه السلام ففتح الله عليه. و أوقفه يوم
غدير خمّ فأعلم الناس أنه مولى كلّ مؤمن و مؤمنة. و قَالَ
لَهُ: أَنْتَ مِنِّي وَ أَنَا مِنكَ. وَ قَالَ لَهُ: تُقَاتِلُ يَا عَلِيٌّ عَلَى التَّأْوِيلِ
كَمَا قَاتَلْتُ أَنَا عَلَى التَّنْزِيلِ. وَ قَالَ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. وَ قَالَ لَهُ: أَنَا سِلْمٌ لِمَنْ
سَأَلَكَ، وَ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكَ. وَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ الْعُرْوَةُ
الْوُثْقَى. وَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِي.
وَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ إِمَامٌ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ؛ وَ وَليِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ
مُؤْمِنَةٍ بَعْدِي. وَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: وَ أذَانُ
مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ. وَ قَالَ لَهُ:
أَنْتَ الْآخِذُ بِسُنَّتِي وَ الذَّابُّ عَن مِلَّتِي. وَ قَالَ لَهُ: أَنَا أَوَّلُ
مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَ أَنْتَ مَعِي. وَ قَالَ لَهُ: أَنَا عِنْدَ
الْحَوْضِ وَ أَنْتَ مَعِي. وَ قَالَ لَهُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَ
أَنْتَ بَعْدِي، تَدْخُلُهَا وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ فَاطِمَةُ. وَ قَالَ
لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ بِأَنْ أَقُومَ بِفَضْلِكَ، فَقُمْتُ بِهِ فِي
النَّاسِ، وَ بَلَّغْتُهُمْ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ. وَ قَالَ لَهُ: اتَّقِ

الضغائن التي في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي،
اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون.

ثم بكى النبي فقيل: مم بكائك يا رسول الله؟ قال:
أخبرني جبرائيل عليه السلام عن ربه عز و جل: أن ذلك
يزول إذا قام قائمهم، و علت كلمتهم، و اجتمعت الامم
على محبتهم، و كان الشاني لهم قليلاً، و الكاره لهم ذليلاً، و
كثر المادح لهم؛ و ذلك حين تغير البلاد، و تضعف العباد،
و الإياس من الفرج، فعند ذلك يظهر القائم فيهم
(الحديث).^١

خصال الإسلام الخمس المختومة بالولاية

و روى الشيخ في أماليه [أيضاً] بإسناده عن

المُجاشعي، بسندين:

١ «غاية المرام» ص ٩٤ و ٩٥، الحديث الثلاثون؛ و «أمالي الشيخ» القسم
الأول، الجزء ١٢، ص ٣٦١ و ٣٦٢.

أحدهما عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه الصادق عليه السلام، و الثاني عن [الإمام] الرضا [عليه السلام] عن أبيه موسى، عن أبيه جعفر بن محمد [عليه السلام] قالوا جميعاً عن آبائهم، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ خِصَالٍ: عَلَى الشَّهَادَتَيْنِ، وَ الْقَرِيبَتَيْنِ. قِيلَ لَهُ: أَمَّا الشَّهَادَتَيْنِ فَقَدْ عَرَفْنَاهُمَا، فَمَا الْقَرِيبَتَانِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ وَ الزَّكَاةُ، لَا يُقْبَلُ إِحْدَاهُمَا إِلَّا بِالْآخَرَى، وَ الصِّيَامُ وَ حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ اسْتَطَاعَ سَبِيلاً؛ وَ خُتِمَ ذَلِكَ بِالْوِلَايَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا} ١.

و روى الشيخ في مجالسه بسنده عن أبي ذر [الغفاري]: جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ «غاية المرام» ص ٩٥، الحديث الحادي و الثلاثون؛ و «أمالى الشيخ» ج ٢، الجزء ١٨ ص ١٣١ و ١٣٢.

فَقَالَ لَهُ: "يَا عَلِيّ! أَنْتَ أَحِي، وَ صَفِيّ، وَ وَصِيّ، وَ
وَزِيرِي، وَ أَمِينِي، مَكَانَكَ مِنِّي فِي حَيَاتِي وَ بَعْدَ مَوْتِي كَمَا كَانَ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مَعِي. مَنْ مَاتَ وَ هُوَ
يُحِبُّكَ خَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ بِالْأَمْنِ وَ الْإِيمَانِ؛ وَ مَنْ مَاتَ
وَ هُوَ يُبْغِضُكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ".^١

و روى الشيخ في مجالسه بسنده عن عمرو بن ميمون
الأوديّ أنّه ذكر عنده عليّ بن أبي طالب عليه السلام،
فقال: إنّ قوماً ينادون منه [عليه السلام] اولئك هم وقود
النار. و لقد سمعت هذه الآية من أصحاب

١ «المصدر السابق»، الحديث ٣٢؛ و «أما لي ابن الشيخ» ج ٢، ص ١٥٨ و ١٥٩

مجلس الجمعة الرابع من المحرم سنة ٤٥٧.

محمّد صلّى الله عليه و آله، منهم: حُذَيْفَةُ بن اليمّان، و
كعْبُ بنُ عُجْرَةَ، يقول كلّ رجل منهم: لقد اعطيتني عليّ
[عليه السلام] ما لم يعطه بشر. هو زوج فاطمة سيّدة نساء
الأوّلين و الآخرين. فمن رأى مثلها أو سمع أنه تزوّج
بمثلها أحد في الأوّلين و الآخرين؟ و هو أبو الحسن و
الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين و الآخرين.
فمن له أيّها الناس مثلها؟ و رسول الله صلّى الله عليه و
آله حموه، و هو وصيّ رسول الله في أهله و أزواجه.

و سدّ [رسول الله] الأبواب التي في المسجد كلّها
غير بابه. و هو صاحب باب خيبر، و هو صاحب الراية
يوم خيبر. و ثقل رسول الله يومئذ في عينيه و هو أرمّد، فما
اشتكاها بعد، و لا وجد حرّاً و لا قرّاً بعد ذلك اليوم.

و هو صاحب يوم غدیر خمّ إذ نوّه رسول الله باسمه،
و ألزم أمّته و لايته، و عرفهم بخطرته، و بيّن لهم مكانه،

فقال: أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قالوا: اللهُ وَ

رَسُولُهُ. قال: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ.^١

خطبة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عند معاوية وإشارته إلى الغدير

و نقل الشيخ في مجالسه [أيضاً] عن أبي زاذان، في

خطبة خطبها [الإمام] الحسن بن عليّ عليه السلام في

الناس بحضور معاوية. و ذكر فيها فضل أبيه و سوابقه و

ما قال الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مِنَ النَّصِّ، إِلَى

أَنْ قَالَ: "فَقَدْ تَرَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَارُونَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ

خَلِيفَةُ مُوسَى فِيهِمْ وَ اتَّبَعُوا السَّامِرِيِّ، وَ قَدْ تَرَكْتُ هَذِهِ

الْأُمَّةَ أَبِي وَ بَايَعُوا غَيْرَهُ وَ قَدْ سَمِعُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَ آله يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ

١ «غاية المرام» ص ٩٥ و ٩٦، الحديث ٣٤؛ و «أمالي الشيخ» ج ٢ ص ١٧٠ و

موسى إِلَّا النُّبُوَّةَ. وَقَدْ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَآلِهِ نَصَبَ أَبِي يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ وَ أَمْرَهُمْ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ

مِنْهُمْ الْغَائِبَ".^١

و روى في مجالسه أيضاً هذا المضمون من خطبة

الإمام الحسن بالفاظ اخرى، و بسند آخر عن عبد الرحمن

بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن

الحسين عليه السلام.^٢

إنكار أبي حنيفة حديث الغدير مع إقراره بوقوع واقعة الغدير

و روى الشيخ محمد بن محمد بن النعمان [المعروف

بالشيخ] المفيد في أماليه بسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَائِدِ

الصَّيْرَفِيِّ [قال: كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفي] فدخل

علينا أبو حنيفة: النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ؛ فذكرنا أمير المؤمنين

[عليّ بن أبي طالب] عليه السلام و دار بيننا كلام في غدير

خُمٍّ.

١ «غاية المرام» ص ٩٦، الحديث ٣٥؛ و «أمالي الشيخ» ج ٢، ص ١٧٢ و

١٧٣.

٢ «المصدر السابق»، الحديث السادس و الثلاثون.

فقال أبو حنيفة: قد قلت لأصحابنا: لا تقرّوا لهم

(للشيعة) بحديث غدير خمّ فيخصموكم!

فتغيّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفيّ، وقال [له]: لم لا

يقرّون بحديث الغدير؟ أما هو عندك يا نعمان؟!

قال [أبو حنيفة]: [بلى] هو عندي و قد رُوِيَتْهُ!

قال [الهيثم]: فلم لا تقرّون به و قد حدّثنا به حبيب

بن أبي ثابت، عن أبي الطّفيل، عن زيد بن أرقم أنّ عليّاً

عليه السلام أنشد الله في الرّحبة من سمعه؟

فقال أبو حنيفة: أ فلا ترون أنه قد جرى في ذلك

خوض حتّى نشد عليّ الناس؟!!

فقال الهيثم: فنحن نكذب علياً؟! أو نردّ قوله؟!!

فقال أبو حنيفة: ما نكذب علياً و لا نردّ قولاً قاله، و

لكّنتك تعلم أنّ الناس قد غلا منهم قوم!

فقال الهيثم: يقوله رسول الله صلى الله عليه و آله و

يخطب به و نشفق نحن منه و نتقيه بغلوّ غالٍ أو قول

قائل؟!!

ثمّ جاء [في تلك الحال] من قطع الكلام بمسألة سأل

عنها. و دار الحديث بالكوفة. و كان معنا في السوق حبيب

بن نزار بن حيّان، فجاء إلى الهيثم، فقال له: قد بلغني ما

دار عنك في عليّ عليه السلام و قول من قال- و كان

حبيب مولى لبني هاشم-^٢ فقال له الهيثم: النظر يمرّ فيه

أكثر من هذا، فخفض الأمر!

١ «غاية المرام» ص ٩٦، الحديث الثامن و الثلاثون.

٢ لما أضافوا كلمة (المولى) إلى الشخص، فهو يعطى معنى العبد أو معنى السيّد، كما نقول: قنبر مولى عليّ، أي: عبده، أو نقول: عليّ مولى قنبر، أي سيّده؛ إلّا أننا لو نسبنا المولى إلى القبيلة، كأن نقول: مولى بني أسد، مولى الأزد، مولى ثقيف، فإنّ المراد به معنيان:

١- الحليف. ٢- النزول و المهاجر إلي تلك القبيلة. و على هذا فإنّ حبيب بن نزار بن حيّان الذي كان مولى لبني هاشم، إمّا أنه كان حليفاً لهم أو أنه كان نزيلاً

فحججنا بعد ذلك و معنا حبيب، فدخلنا على أبي عبد
الله جعفر بن محمد عليهما السلام فسلمنا عليه؛ فقال له
حبيب: يا أبا عبد الله! كان من

عندهم أو مهاجراً إليهم. و من هنا يستبين أنّ شوذباً الذي كان مع عابس بن
شبيب الشاكريّ يوم عاشوراء، و يسمّونه: شوذب مولى شاكراً، لم يكن عبداً
لعابس، بل كان حليفاً لشاكراً، قبيلة عابس أو مهاجراً إليها. و شاكراً قبيلة في
اليَمَن من همدان، من أولاد شاكراً بن ربيعة بن مالك؛ و كان عابس من تلك
القبيلة، لذلك يسمّونه: الشاكريّ. و كان شوذب إمّا حليفاً لتلك القبيلة أو نزيراً
عندها؛ و لهذا كان رفيقاً لعابس في سفره مستمتعاً بفيض كربلاء. و لعلّ منزلته
كانت أرفع من منزلة عابس، لأنّ المؤرّخين يقولون فيها: وَ كَانَ مُتَقَدِّمًا فِي
الشَّيْعَةِ.

الأمر كذا و كذا، فتبيّن الكراهية في وجه أبي عبد الله عليه السلام، فقال له حبيب: هذا محمد بن نوفل حضر ذلك. فقال له [الإمام] أبو عبد الله عليه السلام: أي حبيب كُفَّ! خالقوا الناس بأخلاقهم! و خالفوهم بأعمالكم! "فإن لكل امرئ ما اكتسب، و هو يوم القيامة مع من أحب، لا تحمّلوا الناس عليكم و علينا! و ادخلوا في دهماء الناس: فإن لنا أياماً و دولةً يأتي بها الله إذا شاء".

فسكت حبيب، فقال عليه السلام: أفهمت يا حبيب؟ لا تخالفوا أمري فتندموا! فقال حبيب: لن اخالف أمرك.

قال أبو العباس [ابن عقدة، أحمد بن محمد بن سعيد]: سألت عليّ بن الحسين عن محمد بن نوفل فقال: كوفي. قلت: ممن؟ قال: أحسبه مولى لبني هاشم. و كان حبيب بن نزار بن حيّان مولى لبني هاشم. و كان الخبر فيما جرى بينه و بين أبي حنيفة حين ظهر أمر بني العباس فلم يمكنهم (الشيعة) إظهار ما كان عليه آل محمد صلى الله عليه و آله.^١

١ «الأمالي» للشيخ المفيد، ص ٢٦ إلى ٢٨، طبعة سنة ١٤٠٣ هـ، المجلس

و ذكر ابن بابويه في كتاب «النصوص على الأئمة
الاثنى عشر عليهم السلام» بسنده عن محمود بن لُبَيْد قال:
لَمَّا قبض رسول الله، كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء، و
تأتي قبر حمزة و تبكي. فلَمَّا كان في بعض الأيام أتيت قبر
حمزة رضي الله عنه فوجدتها صلوات الله عليها تبكي
هناك. فأمهلتها حتى سكتت، فأتيتها، فسلمت عليها، و
قلت لها: يا سَيِّدة النسوان! و الله قد قطعت نياط قلبي من
بكائك! فقالت: يا أبا عَمْرَةَ! يحق لي بالبكاء، فلقد اصبت
بخير الآباء رسول الله، ثم أنشأت تقول:

قلت: يا سيِّدتي! إنِّي سائلك عن مسألة تتلجلج في
صدري! قالت:

سَلَّ. قلت: هل نصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

قبل وفاته على عليٍّ بالإمامة؟! قالت: **وَأَعَجَبًا أَنْسَيْتُمْ يَوْمَ**

غَدِيرِ حُجِّمٍ؟ قلتُ: قد كان ذلك و لكن أخبريني بما أسرَّ

إليك!

فقلت: **"أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: عَلِيٌّ فِيكُمْ**

خَيْرٌ مَنْ أَخْلَفَهُ فِيكُمْ؛ وَهُوَ الْإِمَامُ وَ الْخَلِيفَةُ بَعْدِي؛ وَ

سِبْطَاهُ وَ تِسْعَةُ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ أئِمَّةٌ أَبْرَارٌ. لَئِنْ

اتَّبَعْتُمُوهُمْ وَ جَدْتُمُوهُمْ هَادِينَ مَهْدِيَيْنَ، وَ لَئِنْ خَالَفْتُمُوهُمْ

لَيَكُونُ الْاِخْتِلَافُ فِيكُمْ إِلَى الْقِيَامَةِ".

قلتُ: يَا سَيِّدَتِي فَمَا بَالُهُ قَعَدَ عَنْ حَقِّهِ؟!

قَالَتْ: يَا أَبَا عَمْرَةَ! لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَآلِهِ: **مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ إِذْ تُؤْتَى وَ لَا تَأْتِي - أَوْ قَالَتْ:**

مَثَلُ عَلِيٍّ - ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَ اللَّهِ لَوْ تَرَكُوا الْحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ وَ

اتَّبَعُوا عِترَةَ نَبِيِّهِمْ لَمَا اخْتَلَفَ فِي اللَّهِ تَعَالَى اثْنَانِ؛ وَ لَوْرَثَهَا

سَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، وَ خَلَفٌ عَنْ خَلَفٍ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا

التَّاسِعُ مِنْ صُلْبِ وَلَدِي الْحُسَيْنِ، وَ لَكِنْ قَدَّمُوا مَا آخَرَهُ

اللَّهُ، وَ آخَرُوا مَا قَدَّمَهُ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا أَحْدُوا الْمَبْعُوثَ، وَ

أَوْدَعُوهُ الْجَدَثَ الْمَجْدُوثَ اخْتَارُوا بِشَهْوَتِهِمْ وَ عَمِلُوا
بِرَأْيِهِمْ؛ تَبَّأَ لَهُمْ أَلَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ يَقُولُ: { وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ }^١. بَلْ سَمِعُوا وَ لَكِنَّهُمْ
كَمَا قَالَ اللَّهُ: { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } . هَيْهَاتَ بَسَطُوا فِي الدُّنْيَا أَمَانَهُمْ
وَ نَسُوا آجَالَهُمْ، فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
الْجُورِ بَعْدَ الْكُورِ " ^٢.

وقوع حادثة الغدير من بديهيات التاريخ و ضروراته

و قال المحدث العظيم و السيد الأجل الأكرم هاشم
البحراني في كتاب «غاية المرام» بعد نقله أحاديث العامة
و الخاصة: على هذا تقتصر من روايات الخاصة و
الروايات في قصة غدير خم لا تحصي من طريق الخاصة و
العامة. قال الشيخ الفاضل محمد بن علي بن شهر آشوب
في فصل قصة غدير خم من كتابه:

١ الآية ٦٨، من السورة ٢٨: القصص.

٢ «غاية المرام» ص ٩٦ و ٩٧، الحديث ٣٩.

العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر وإن وقع الخلاف
في تأويله. وقد بلغ في الانتشار و الاشتهار إلى حدٍّ لا
يوازيه خبر من الأخبار وضوحاً و بياناً و ظهوراً و عرفاناً
حتى لحق في المعرفة و البيان بالعلم بالحوادث الكبار و
البلدان، فلا يدفعه إلا جاحد، و لا يردّه إلا معاند.

و أي خبر من الأخبار جمع في روايته و معرفة طريقه
أكثر من ألف مجلّد من تصانيف العامّة و الخاصّة من
المتقدّمين و المتأخّرين!؟

ذكره [أي أمر غدير خمّ]: محمّد بن إسحاق، و أحمد
البلاذريّ، و مسلم بن الحجاج، و أبو نعيم الإصفهانيّ، و
أبو الحسن الدارقطنيّ، و أبو بكر بن مردويه، و ابن شاهين
المروزيّ: و أبو بكر الباقلانيّ، و أبو المعالي الجوينيّ، و
أبو إسحاق الثعلبيّ، و أبو سعيد الخركوشيّ، و أبو المظفر
السّمعانيّ، و أبو بكر بن شيبّة، و عليّ بن الجعد، و شعبة، و
الأعمش، و ابن عيَّاش، و ابن سَلاح، و الشّعبيّ، و
الزُّهريّ، و الإقليسيّ، و الجعابيّ، و ابن البيّع، و ابن ماجّة،

و ابن عَبْد رَبَّهِ، و الألكانيّ، و شريك القاضي، و أبو يعلى
الموصليّ من عدّة طرق، و أحمد بن حنبل من

عشرين طريقاً، و ابن بَطَّة بثلاثة و عشرين طريقاً. و
عليّ بن هلال المُهَلَّبِيّ صنّف كتاب «الغدير»؛ و أحمد بن
مُحمَّد بن سَعِيد كتاب «من روى خبر غدير خمّ»؛ و ابن
جَرِير الطَّبْرِيّ كتاب «الولاية» و هو كتاب غدير خمّ، و
ذكر فيه سبعين طريقاً؛ و مَسْعُود الشَّجَرِيّ كتاباً في رواية
هذا الخبر و طرقه؛ و الرازيّ في كتابه أسماء رواته على
حروف المعجم. و لقد رواه أبو العبّاس بن عُقْدَةَ، و قال:
سمعت أبا عليّ العطار الهمدانيّ يقول: روى هذا الحديث
عَلِيّ مائتي و خمسين طريقاً.

و قال: قال جدّي شهر آشوب سمعت أبا المعالي
الجوينيّ يتعجّب و يقول: شاهدت مجلّداً ببغداد في يدي
صحّاف فيه روايات هذا الخبر مكتوباً عليه المجلّدة
الثامنة و العشرون من طرق قوله من كنت مولاه و يتلوه
المجلّدة التاسعة و العشرين.^١

١ «غاية المرام» ص ١٠٣.

إلى هنا قد وضح لنا أنّ قصّة غدير خمّ من المسلّمات و الضروريّات في التّاريخ؛ و إنكار ذلك كإنكار الشمس و هي في كبد السماء عند رائحة النهار، حتّى أنّ المستجدّين من علماء السنّة المتعصّبين في مصر أقرّوا بالغدير و سلّموا به؛ غاية الأمر لّمّا كانوا يرون أنّ نصب الإمام مناف للديمقراطيّة الغربيّة على حدّ زعمهم، لذلك لم يستسيغوه على الصعيد العمليّ و التطبيقيّ. و اعتبروا الاقتراع و انتخاب الإمام منسجمين مع روح الديمقراطيّة فيما إذا أفرزهما تصويت الأكثرية.

فأحمد أمين المصريّ لم يترك تهمة إلاّ و ألصقها بالشيعة و علماءهم و كتبهم، و ذلك في كتبه: «فجر الإسلام» و «ضحى الإسلام» و «ظُهر الإسلام»؛ و كلّ من رأي هذه الكتب، فإنّه يقف على عناده و مكابرتة،

و لكن مع ذلك كله، فهو يقرّ بحديث الغدير و

يعترف به.

يقول صاحب كتاب «تفكّر نوين سياسي اسلام»

(التفكير السياسي الحديث في الإسلام): يحاول أحمد أمين،

من خلال قلب المعالم الخاصّة لمذهب أهل البيت، أن

يبسط بحثاً معقّداً في مقابل المذهب السنّي، في أربعة

مبادئ رئيسيّة هي: العصمة، و المهدويّة، و التقيّة، و

الرجعة. و نلاحظ في آراء أمين حول هذه المسائل الأربع

معايير تنبئ عن ذهنيّة ليبراليّة ذات نزعة عصريّة، فهو

يعترض على نظريّة الإمامة عند الشيعة، لا من منطلق عدم

الاعتقاد بوثاقة حديث الغدير (و هو نفسه يقرّ بأنّ بعض

مؤرّخي السنّة يعترفون به)، بل من منطلق الاعتقاد بأنّ

نظريّة الإمامة تلغي التصورات الحديثة للديمقراطية.^١

قال الشيخ محمّد عبده في «تفسير المنار» الذي ألفه

السيد محمّد رشيد رضا: أمّا حديث: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**

١ «تفكّر نوين سياسي اسلام»، تأليف الدكتور حميد عنایت، في ترجمة أبي طالب

مَوْلَاهُ فقد رواه أحمد في مسنده من حديث البراء و بُرَيْدَةَ،
و الترمذِيَّ، و النسائيَّ، و الضياء في «المختارة» من حديث
زيد بن أرقم، و ابن ماجة عن البراء؛ و حسَّنه بعض أهل
الحديث؛ و صحَّحه الذهبيَّ بهذا اللفظ؛ و وثَّق أيضاً سند
من زاد فيه: **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انصُرْ**
مَنْ نَصَرَهُ، وَ اخذْ مَنْ خَذَلَهُ.

و في رواية أن النبيَّ خطب الناس، فذكر اصول
الدين، و وصَّى بأهل بيته، فقال: **"إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ**
الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَ عِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ
تَخَلَّفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ.
اللَّهُ مَوْلَايَ، وَ أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مَوْمِنٍ؛ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَ
قَالَ: مَنْ كُنْتُ

مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ

عَادَاهُ، وَ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ" ١.

ثمّ قال بعد بحث مقتضب: و أمّا الحديث (حديث

الولاية يوم الغدير)، فنهتدي به: نوالى عليّاً المرتضى و

نوالى من والاهم، و نعادي من عاداهم؛ و نعدّ ذلك

كموالاة رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم؛ و نؤمن

بأنّ عترته لا تجتمع على مفارقة الكتاب الذي أنزله الله

عليه؛ و أنّ الكتاب و العترة خليفتا الرسول. فقد صحّ

الحديث بذلك في غير قصّة الغدير. فإذا أجمعت العترة على

أمر، قبلناه و اتّبعناه. و إذا تنازعوا في أمر، رددناه إلى الله و

إلى الرسول. ٢.

و مع هذا كلّه، لّمّا كانت روح التبعية للإمام المعصوم

المنسوب من الله معدومة عندهم، لهذا ما فتئوا يحترمون

سقيفة بني ساعدة و حكومة الغاصبين، و يؤوّلون الولاية

في حديث غدير خمّ و سائر الأحاديث بمعنى المحبّة أو

١ «تفسير المنار» ج ٦، ص ٤٦٤ و ٤٦٥.

٢ «نفس المصدر السابق».

النصرة، لعلهم يجدون ملاذاً يفرّون إليه خشية اتّباع الحقّ.
وَ أَنِي هُمْ ذَلِكَ؟

لقد تحدّث محمّد فريد و جدي في دائرة معارفه عن كلّ
موضوع، و حكم، و تاريخ، و مذهب، و واقعة، و حادثة،
و تقليد، و عادة، و كان له بحث تامّ و واف في هذا كلّه؛ و
حتّى في كلمة الخيار إذ تحدّث عنه في صفحتين، و ذكر نوعاً
من أنواعه يدعى (خيار شَنَبَر) في عشرة أسطر، إلّا أنه لم
يتحدّث عن الغدير و وقوف رسول الله بالجحفة و خطبته
فيها و حديث الولاية، و لم يأت بجملته واحدة عن ذلك لا
في مادّة غَدَر، و لا في

مادّة خَمَم. و لم يذكر الغدير أثناء كلامه عن الولاية و
الخلافة، اللهمّ إلا في مادّة جَحَفَ فَانّه قال: الجُحفة موضع
بين مكّة و المدينة.

و تحدّث المشار إليه عن الخلافة في خمس و عشرين
صفحة؛ و تطرّق إلى ما حدث بعد وفاة رسول الله من
اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، و ذهاب عمر، و أبي
بكر، و أبي عبيدة الجراح إلى السقيفة، و بالتالي بيعة أبي بكر،
تحدّث عن ذلك بالتفصيل، بيدّ أنه لم يأت في دائرته بجملة
واحدة عن غدير خمّ، و لم يأت حتّى برواية اخرى حول
خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و وزارته و إمارته و
وصايته؛ و كأنّ هذا الموضوع لم يكن في الإسلام. و له في
مادّة الولاية بحث مفصّل يقع في سبع و ثلاثين صفحة.^١
و له بحث عن طرق ارتباط أهل التصوّف و فرّقهم. و
لكنّه لم يُشير إلى حديث الولاية و الآية القرآنيّة التي تحدّثت
عن الولاية، و كأنّ نبينا عنده لم يكن كأحد الأنبياء، و عليّ
بن أبي طالب ليس من هذه الامّة!

١ «دائرة المعارف» و جدي، ج ٣، ص ٧٤٣ إلى ٧٦٨.

بينما نلاحظ في كتابه أنه يتحدّث عن انتخاب الخليفة
وديمقراطية الإسلام في مواطن شتى منه؛ ويحاول جاهداً
أن يكيّف الآيات، و الروايات، و منهاج رسول الله، و
سيرة المسلمين على أساس الديمقراطية الغربية؛ و لعلّه
كان يخيّل إليه أنه يقدّم للإسلام و القرآن خدمة بهذا
العمل، و يدفع عنهما شبهة نصب الإمام و تعريف
الولاية.

و مع أنه كان يقرّ بأخطاء عمر، و أبي بكر، و عثمان، و
يعنّف عثمان أيّما تعنيف، و يحمّله المسؤولية في رفضه
الاقتراح الذي قدّمه إليه

المسلمون، القاضي باستقالته عن الخلافة. و يعظم
عليّاً عليه السلام و يبجّله، بيد أنه - مع ذلك كله - لم يكن
مستعدّاً لترك ما وجد عليه آباءه من أمّة، فيلتحق بمدرسة
أتباع أهل البيت، فلهذا تترجم لنا الآية الكريمة التالية
حاله و تقليده الأعمى لآبائه بكلّ وضوح: **{إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ}** ١.

و عند ما يتحدّث عن الفرق الواقعة في الإسلام في
مادّة فرق، فإنّه يقرّ بمخالفة عمر لرسول الله حين أمر
بإتيانه بدواة و كتف، و هو على فراش المرض، و يقرّ أيضاً
بمخالفته لإنفاذ جيش اسامة، و يعترف بكلام مأثور عن
عمر، و هو قوله: مَنْ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَاتَ قَتَلْتُهُ بِسَيْفِي، و
يقرّ بالسقيفة و إمامة أبي بكر، و بيعة عمر، و قوله: أَلَا إِنَّ
بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا، فَمَنْ عَادَ إِلَىٰ مِثْلِهَا
فَأَقْتُلُوهُ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ بَايَعَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمَا جَدِيرَانِ أَنْ يُقْتَلَا؛ و يعترف بدعوى
فاطمة فداً، و يعترف أيضاً بقتال أبي بكر مانعي الزكاة؛

١ الآية ٢٣، من السورة ٤٣: الزخرف.

و يحصي النقمات على عثمان و خطاياہ و ذنوبہ. ثم يقول:
وقعت هذه الأحداث كلها لمصلحة المسلمين، و ينبغي
أن تكون الخلافة باختيار الناس و آرائهم.^١

و بعد ذلك كله يقول: وَ بِالْجُمْلَةِ كَانَ كَانَ عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ

الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ (الكلام).^٢

فهل جهل هذا الرجل العالم كتب الروايات و السنن

و التأريخ؟ ألم ير الأحاديث المأثورة في الكتب المفصلة

عن الغدير، و قد ذكرنا نموذجاً منها

١ «دائرة المعارف»، وجدي، ج ٧، ص ٢١٨ فما يليها.

٢ نفس المصدر السابق، ص ٢٢٢.

هنا؟ و هل يميز لنا الحكم من جانب واحد على أساس الديمقراطية و الحرية أن نغض الطرف عن حديث مسلم و متواتر، و نعتبره نسياً منسياً؟

و من الثابت أن ذنب هذا الجيل من المسلمين الذين يتهافتون على الباطل، و يعرضون عن الحق يقع على عاتق أمثال هؤلاء العلماء الذين شابوا التأريخ الصحيح بأرائهم، ثم قدّموا هذا التأريخ المشوب إلى المجتمع و عامّة الناس.

إنّ هؤلاء المساكين الذين يبغون من وراء هذه التمحّلات عرض خلافة أبي بكر كخلافة قائمة على أساس ديمقراطيّ، و توطيد دعائم مذهبهم، ما ذا يقولون عن خلافة عمر التي تمّت برأي أبي بكر الفرديّ الاستبداديّ؟ و ما ذا يقولون عن خلافة عثمان التي كانت برأي عمر الفرديّ الاستبداديّ؟ و هل كان اختيار عمر أو عثمان للخلافة قد تمّ بالتشاور مع المسلمين؟

يستبين ممّا عرضناه هنا كنه السرّ من وراء إخفاء حديث الغدير. علماً أن حديث الغدير لا يدع مجالاً

للتروّي و التأمل؛ و كما قال أبو حنيفة: لَا تُقْرُوا بِهَا
فِيخْصِمُوكُمْ! فالحيلة - إذن - إخفاء حديث الغدير، كما أنّ
البُخاريّ، و مُسلم لم يذكره في صحيحهما؛ فلهذا نرى أنّ
هذين الصحيحين يحظيان بأهميّة خاصّة عند السنّة، لأنهما
يرسيان دعائم التسنن أكثر فأكثر؛ و كان الحكماء في ضوء
سياستهم أقرب إلى هذين الكتابين من غيرهما.

و لم يذكر البُخاريّ، و مُسلم أحاديث المهديّ القائم
من آل محمّد، و قد صدفا عنها تماماً. أمّا الصحاح الأربعة
الآخري، و هي للنسائيّ، و أحمد بن حنبل، و الترمذيّ، و
ابن ماجّة، فقد ذكرت حديث الغدير، و حديث مهديّ آل
محمّد معاً بأسانيد صحيحة. بيد أنّ محلّي السيرة

و التّاريخ، و حتّى المستشرقين المحايدين صرّحوا
و نصّوا وفقاً لمنطق الإسلام أنّ الحقّ كان مع عليّ بن أبي
طالب، و قد حرموه من حقّه.

خضوع الاجانب أمام شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام

يقول الكاتب المسيحيّ جورج سجعان جرداق: و
سواء لدي الحقيقة و التاريخ أ عرفت هذا العظيم أم لم
تعرفه! فالتاريخ و الحقيقة يشهدان أنه الضمير العملاق
الشهيد أبو الشهداء عليّ بن أبي طالب، صوت العدالة
الإنسانيّة، و شخصيّة الشرق الخالدة.

مَاذَا عَلَيْكَ يَا دُنْيَا لَوْ حَشَدْتِ قَوَاكِ فَأَعْطَيْتِ فِي كُلِّ

زَمَانٍ عَلِيًّا بِعَقْلِهِ وَ قَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ وَ ذِي فَقَارِهِ؟!^١

و يقول فؤاد جرداق المسيحيّ: و أني قصدتني
خطوب الحياة، و شئتُ الخلاص من محن الدهر، لجأتُ من
حزني إلى أعتاب عليّ عليه السلام، فهو مأوى كلّ ذي

١ «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة» ص ٣٠.

عزاء، و هو كالرعد القاصف على الظالمين، و كالرفيق
المخلص العطوف على المنكسرين.^١

و يقول الهاديّ المصريّ المعروف شبلي الشُّمَيْل:
«الإمام عليّ عليه السلام عظيم العظاء، نسخة مفردة لم ير
لها الشرق و لا الغرب صورة طبق الأصل، لا قديماً و لا
حديثاً».

لقد حاول أعداء الولاية و أهل البيت بكلّ قواهم أن
لا يبقوا أثراً لأهل البيت؛ و كانوا يقتلون رواة حديث
الولاية حيثما يثقفونهم في كلّ حدب و صوب، و تحت كلّ
حجر و مدر. و كان اسم عليّ جريمة. و كانوا يسوقون
الامة بأساليب بربريّة و جاهليّة كأساليب الجاهليين قبل
الإسلام، و يفرضون عليهم إسلاماً فارغاً ليس فيه روح
العرفان و المعنويّة، إسلاماً

١ لم نعر على نصّ كلامه، فترجمناه من الفارسيّة (م).

لا يرتبط بعالم الملكوت؛ و يطلبون منهم الاعتقاد
بنبيّ بلا عليّ بن أبي طالب، و قرآن بلا محتوى و لا تفسير
و لا بيان. حتّى بلغ الأمر أنّ جلاوزة الحجاج بن يوسف
الثقفيّ أتوه برجل يدعى عليّاً، و لما سأله الحجاج عن
اسمه، قال: عقّني أبواي إذ سمّاني عليّاً.

كُتبا «الإمامة و السياسة» و «ينابيع المودة» كانا محظورين

و كما رأينا فإنّ ابن حجر الهيثميّ صاحب «الصّواعق
المُحرّقة» احتجّ على ابن قُتَيْبَةَ الدينوريّ صاحب كتاب
«الإمامة و السّيّاسة» لذكره أخباراً توجب القدح في
الصحابّة، و تؤدّي إلى المشاجرة بين العوامّ، و تلفت نظر
الناس إلى امور لا ينبغي أن يطلّعوا عليها، و هو معروف
بمنزلته و جلالته العلميّة و عظمته الثقافيّة الإسلاميّة. و
يجب على العلماء أن لا يقولوا الحقائق كما هي، لأنّها تكون
مستمسكاً بيديّ العوامّ، و الأفضل في هذه الحالة عرض
مواضيع لا تبعث على تشويش ذهن الامّة.^١

١ جاء ذلك في كتاب «تطهير اللسان» المطبوع في حاشية كتاب «الصواعق
المُحرّقة» ص ٩٤.

إِنَّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَلَهُمْ لَمَّا لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الشُّكِيِّ فِي
جَلَالَةِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، أَوْ فِي كِتَابِهِ «الإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ»، بَثُّوا
وَجَدَهُمْ حَرَصًا عَلَى مَصْلَحَةِ الإِمَّةِ شَاكِينَ مِنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَ
مَعَاتِبِينَ أَيْاهُ. وَ لَوْ وَجَدُوا سَبِيلًا إِلَى الطَّعْنِ فِيهِ لِأَمْكِنَهُمْ
ذَلِكَ بِسَهُولَةٍ، فَإِمَّا يَنْكُرُونَ جَلَالَتَهُ وَ عَظَمَتَهُ فِي التَّارِيخِ،
أَوْ يَنْكُرُونَ نِسْبَةَ هَذَا الْكِتَابِ إِلَيْهِ بِصِرَاحَةٍ!

إِنَّ كِتَابَ «الإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ» كِتَابٌ مِنَ الْعَامَّةِ لَا
مِثِيلَ لَهُ بَيْنَ كُتُبِ الْعَامَّةِ مِنْ حَيْثُ صِحَّتِهِ وَ قَدَمِهِ. مُؤَلَّفُهُ
هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ الدِّينُورِيِّ الْمَتَوَفَّى فِي سَنَةِ
٢٧٠ هـ.

يَقُولُ مُحَمَّدٌ فَرِيدٌ وَجَدِّي بَعْدَ عَرْضِهِ شَيْئًا مِنْ قَضِيَّةِ
السَّقِيفَةِ: هَذَا

موجز لما ذكره العلامة الدينوريّ في كتابه: «الإمامة و

السياسة» مفصّلاً.^١

و بعد نقله خطبة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، و قوله

في الهامش، نقلنا هذه الخطبة عن كتاب «الإمامة و

السياسة» لأبي محمّد عبد الله بن مسلم الدينوريّ المتوفّي

سنة ٢٧٠ هـ يقول: إنّ الكتاب الذي نقل منه هذه الخطبة

هو من أقدم الكتب و أوثقها في مسائل الخلافة

الإسلاميّة.^٢

و لما لم يسعهم إنكار ما جاء في هذا الكتاب من

موضوعات، أعلنوا أنه من الكتب المحظورة. و هذا

الكتاب، و كتاب «ينابيع المودّة» للقندوزيّ الحنفيّ اللذان

طبعوا قبل قرن من الزمان بعد انتشار الطباعة كانا محظورين

في الدولة العثمانيّة (تركيا المعاصرة) و العراق. و لكن

عند ما كثرت نسخها عند الناس و في المكتبات شيئاً

١ «دائرة المعارف»، و جدي، ج ٣، ص ٧٤٥.

٢ نفس المصدر السابق، ص ٧٤٩.

فشيئاً. لم يستطع أحد أن يمنع تداولهما بيعاً و شراءً في
السنين الأخيرة.

جاء في كتاب «الإمامة و السياسة» امتناع أمير
المؤمنين عليه السلام عن البيعة، و اعتصام الزُّبير، و
المقداد، و سلمان، و غيرهم في دار فاطمة عليها السلام،
و سوق أمير المؤمنين إلى المسجد، و ذهاب فاطمة خلفه،
و لجوؤه إلى قبر رسول الله، و استنصاره المهاجرين و
الأنصار بواسطة فاطمة سلام الله عليها.

عجباً لمخالفي الولاية إذ ظلموا أنفسهم، مع جميع
ضروب الظلم و الأذى التي أحقوها بمقام الولاية، و
كافة جهودهم لإخفاء الولاية. عجباً لهم إذ حرموا
أنفسهم الارتشاف من منهل الحقيقة، و لم يهتدوا بضياء
الشمس المتألقة كالحُقُفَّاش الذي ظلَّ محروماً من شعاع
الشمس و إلاَّ فهل

يمكن حجب الشمس و إسدال الستار عليها؟

لقد أنشد محبّو أهل البيت و ولايتهم مدائحهم في أمير المؤمنين عليه السلام جيلاً بعد جيل و قرناً بعد قرن مع تجرّعهم الغصص و معاناتهم صنوف العذاب، و دأبوا على ذلك منذ عصر إمامهم صلوات الله عليه إلى يومنا هذا. و إن كان بينهم مَنْ مَدَحَ و مَجَّدَ و هو على خشبة الصلب ينازع الموت كُرْشِيدَ الهَجْرِيِّ، و مَيْثَمَ التَّمَّارِ، غير أنّ الشعراء أنشدوا قصائدهم، و الخطباء ألقوا خطبهم، و كلّ جيل يرى نفسه مديناً للجيل السابق، و مسؤولاً عن إيصال ذلك إلى الجيل اللاحق، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَ لَهُ الشُّكْرُ إِذْ نَرَى أَنَّ اسْمَ عَلِيِّ فِي طَلِيعَةِ أَسْمَاءِ أَحْرَارِ الْعَالَمِ، وَ أَنَّ جَمِيعَ الْمَبَادِئِ وَ الْمَدَارِسِ - بِمَا فِيهَا الْمَبَادِئُ وَ الْمَدَارِسُ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ - تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ احْتِرَامٍ وَ تَبْجِيلٍ مِنْ حَيْثُ عَظَمَتِهِ، وَ رَفْعَةِ شَأْنِهِ، وَ عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، وَ كَوْنِهِ قَدْوَةَ الْأَحْرَارِ فِي الْعَالَمِ. وَ أَنَّ الشِّيْعَةَ حَيْثَمَا كَانُوا يَتْبَاهُونَ بِأَنْهُمْ أَتْبَاعَ مَدْرَسَتِهِ. وَ الْمَخَالَفُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى إِخْفَاءِ مَطَاعِنِ وَ قَبَائِحِ

أئمتهم حيال الجرائم التي يكشف عنها التأريخ باستمرار،
و يحاولون دائماً التكتّم على مثالب رجالهم لئلا يفتضحوا
أكثر فأكثر. ولكن ليعلموا أنه قد مضى ما مضى، و الحادث
يتعدّر تجنّبه، و أنّ التكتّم على تلك الفضائح يزيد الطين
بلّة، خاصّة مع النقد و التحليل و التدقيق و التنقيب و
البحث و المناقشة الحرّة حيال الأحداث التي شاعت في
عالم اليوم.

قصيدة الكميّ شاعر أهل البيت في الغدير

و هناك شاعر من شعراء أهل البيت المبدعين، و هو
الكميّيّ و في شعره الهاشميّيّات قد قطع شوطاً كبيراً في
إحياء تأريخ أهل البيت خاصّة

قصائده «الهاشميات». ولما كان ميلاده سنة ٦٠ هـ،
و وفاته سنة ١٢٦ هـ، فقد كان عصره متقارناً مع عصر
الإمام زين العابدين، و ولده الباقر سلام الله عليهما؛ كان
يعيش أيام دولة بني امية. و لم يدخر وسعاً في إنشاد
قصائده على الرغم من تحمّله صنوف العذاب و العناء، و
تحدّث عن مظلومية أهل البيت، و كشف جرائم
مناوئهم. و في شعره الذي أنشده في غدير خم، تكلم عن
الولاية و لزوم اتباعها. و فيما يلي عدد من أبيات قصيدته
العينية.

يقول أبو الفتوح الرازيّ: روي عن الكميت أنه قال:

رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، فقال: أنشدني

قصيدتك العينية،

فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي فيها:

فقال صلوات الله عليه: صدقت! ثم أنشد [الإمام]

عليه السلام هذا البيت:

و في كتاب «الصراط المستقيم» للبياضي العاملي: أنه

روى ابن الكميت: أنه رأى النبي الأكرم صلى الله عليه و

آله في النوم، فقال: أنشدني قصيدة أبيك العينية، فلما وصل

إلى قوله:

بكى رسول الله بكاء شديداً و قال: صدق أبوك رحمه

الله؛ إي و الله، لم أر مثله حقاً اضيعاً.^١

في رحاب هاشميات الكميت

قيل: إن أول قصيدة قالها الكميت من الهاشميات هي

هذه القصيدة:

^١ «تفسير أبي الفتوح» ج ٢، ص ١٩٣، طبعة المظفرى.

و

إلى أن يقول:

إلى أن يقول:

إلى أن قال:

الدَّرْسُ الثَّانِي بَعْدَ الْمِائَةِ إِلَى الدَّرْسِ الْخَامِسِ بَعْدَ الْمِائَةِ فِي
تَفْسِيرِ وَمَفَادِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ

مَوْلَاهُ"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

{الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ
أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا} ١.

بعد أن فرغنا و الحمد لله تعالى من الحديث عن سند

حديث الولاية يوم عيد الغدير: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**

١ وسط الآية ٣، من السورة ٥: الهائدة.

مَوْلَاهُ، نتقل الآن إلى الحديث عن معنى المَوْلَى و مُفَاد
نصّ هذا الحديث؛ ووجوب طاعة الامّة لمولى الموحّدين
عليه صلوات الله و صلوات ملائكته المقرّبين و أنبيائه
المرسلين.

غديرية أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى معاوية

جاء في مناقب ابن شهر آشوب عن أبي الحسن
المدائني أنه قال: كتب معاوية إلى الإمام أمير المؤمنين
رسالة قال له فيها:

يَا أَبَا الْحَسَنِ! إِنَّ لِي فَضَائِلَ كَثِيرَةً: كَانَ أَبِي سَيِّدًا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ وَ صِرْتُ مَلِكًا فِي الْإِسْلَامِ، وَ أَنَا صِهْرُ رَسُولِ اللَّهِ،
وَ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ،^١

وَ كَاتِبُ الْوَحْيِ!

فلما قرأ أمير المؤمنين الكتاب، قال: أبا الفضل يفخر
علينا ابن آكلة الأكباد؟ اكتب يا غلام:

١ لما كانت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان و اخت معاوية من أزواج رسول الله، و
القرآن يصرّح أنّ أزواج النبيّ أمّهات المؤمنين: { وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }، لذلك
استغلّ معاوية هذه الآية فاخترق له نسباً يتمثّل في خوولة المؤمنين. و كان يسمّي
نفسه في الشام: خال المؤمنين.

فلما قرأ معاوية الكتاب، قال: مزّقه يا غلام! لا يقرأه

أهل الشام فيميلون معه نحو عليّ بن أبي طالب! ^١

نرى في هذه الأبيات أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد

استشهد بحديث الغدير، و استنبط وجوب ولايته على

الامة من قوله صلّى الله عليه و آله: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**

مَوْلَاهُ؛ فولايته عليه السلام واجبة على الامة كافة، و هي

تستلزم الإمامة و الإمارة و الاستخلاف.

تلقت الامة الإسلامية هذا الإشعار بالقبول، و

تسالمت جميعها على روايته عنه عليه السلام. غير أنّ كلّ

^١ جاء هذا البيت في كتاب «النقض» ص ١٤٥ على الشكل التالي: سبقتكم إلى

الإسلام طراً***غلاماً ما بلغت أو أنّ حلمي و في كتاب «كشف الغمّة»

للإربليّ، ص ٩٢: صَغِيرًا مَا بَلَغْتُ أو أنّ حلمي***...

عالم أخذ من هذه الأبيات ما يتصل بموضوع بحثه. فمنهم من أخذ منها ما يتعلق بالصهرية، و منهم من أخذ ما يتعلق بالنسب، و منهم من أخذ ما يرتبط بالسبق إلى الإسلام، و منهم من أخذ منها ما يتعلق بالولاية في غدیر خمّ.

فمن علماء الشيعة البارزين الذين أوردوها في كتبهم: الشيخ المفيد و الكراجكيّ، و الفتال النيسابوريّ، و أبو منصور الطبرسيّ، و ابن شهر آشوب، و الإربليّ، و ابن سنجر النخجوانيّ، و عليّ البياضيّ، و المجلسيّ العظيم [الثاني] و السيّد عليّ خان المدنيّ، و أبو الحسن الشريف. و رواها من أعلام العامّة: البيهقيّ الذي رواها برمتها و قال: إنّ هذا الشعر ممّا يجب على كلّ أحد موالٍ لعلّيّ حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام.

و منهم: الحافظ زيد بن الحسن الكنديّ الحنفيّ، و ياقوت الحمويّ، و محمّد بن طلحة الشافعيّ، و يوسف بن محمّد المالكّيّ المعروف بابن الشّيخ، و سبط بن الجوزيّ، و ابن أبي الحديد، و محمّد بن يوسف الكنجيّ الشافعيّ، و

سعيد الدين الفرغاني، و شيخ الإسلام الحموي، و أبو

الفداء،

و محمد بن يوسف الزرّنديّ، و ابن كثير الشاميّ، و
الخواجه بارسا، و ابن الصبّاغ المالكيّ، و خواند مير، و ابن
حجر الهيثميّ، و المتّقي الهنديّ، و الإسحاقيّ، و الحلبيّ
الشافعيّ، و الشبراويّ الشافعيّ، و السيّد أحمد قادين
خواني، و السيّد محمود الألوسيّ، و القنّدوزيّ، و السيّد
أحمد زيني دحلان، و محمد حبيب الله الشنقيطيّ المالكيّ.^١

استنباط الإمامة من شعر حسّان و الكميّ

و رأينا في أبيات حسّان بن ثابت أنه ذكر الولاية
بمعنى الإمامة و القيادة و الهداية. و قال بعد ذلك:

و يتفرّع على ذلك:

أي: أن شرط الولاية إمامة الناس و هدايتهم؛ و هذان
المعنيان متلازمان.

١ «الغدير» ج ٢، ص ٢٦ إلى ٣٠. إكتفى بذكر أسماء المؤلّفين فحسب.

و كان حسان بن ثابت من العرب الخالصة،^١ ويعتمد أهل اللغة و الأدب في تفاسيرهم و كتبهم النحويّة و البلاغيّة على شعره لمعرفة اللغة و تفسير القرآن. فكيف يُتصوّر أن يفرّع هذا التفرّيع على غير المعنى اللغويّ و المتفاهم العرقيّ، و هو الذي قوله حجّة، و الاستشهاد بشعره عند

أهل الأدب يقطع العذر على المعذّرين؟

و رأينا في شعر الكُميت أيضاً أنه استنتج الرئاسة و الحكومة و الإمامة من حديث الولاية في يوم الغدير، إذ قال:

^١ ذكر أبو الفرج الإصفهانيّ نسبه في «الأغاني» طبعة ساسي ج ٤، ص ٣ كما يلي: «حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار- و هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة- و هو العنقاء بن عمرو (و إنّها سمّي العنقاء لطول عنقه) و عمرو- هو مزريقاء- بن عامر بن ماء السّماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد، و هو ذري- و قيل: ذراء ممدود- بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

و لَمَّا كَانَ وَجُوبُ الطَّاعَةِ الْمُرْتَكِزَ عَلَى الْوَلَايَةِ

مُسْتَخْرَجٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**

مَوْلَاهُ، فَمَعْنَى الْوَلَايَةِ، أَوْ بِكَلِمَةِ أَفْضَلٍ: شَرَطُ الْوَلَايَةِ هُوَ

وَجُوبُ الطَّاعَةِ الْمُرْتَكِزَ عَلَى الرَّئِاسَةِ وَالْإِمَارَةِ وَالْإِمَامَةِ.

الْكَمَيْتِ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ، وَهُوَ عَرَبِيٌّ الْمَحْتَدُ أَيْضًا.^١ مِثْلَهُ

كَحَسَّانٍ إِذْ يَفَادُ مِنْ كَلَامِهِ، وَ يُسْتَشْهَدُ بِهِ لِفَهْمِ اللُّغَةِ وَ

آيَاتِ الْقُرْآنِ وَ شَعْرِ الْعَرَبِ وَ طَبَّهِمْ.

فَكَيْفَ يُخَالُ أَنْ مِثْلَ هَذَا الشَّخْصِ الْحَاقِّ فِي اللُّغَةِ

الْعَرَبِيَّةِ، يَسْتَعْمَلُ عِبَارَةً أَوْ كَلِمَةً فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَ يَجْعَلُهَا

فِي مَوْضِعٍ لَمْ تَسْتَعْمَلْ فِيهِ قَطُّ، وَ هُوَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ

الْجَلَالَةِ وَالْعِظْمَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَ مَفْرَدَاتِهَا؟ وَ لَوْ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ

١ جَاءَ نَسْبُهُ فِي «الْأَغَانِي» ج ١٥، ص ١٠٨ كَمَا يَلِي: هُوَ الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدِ بْنِ

خَنِيْسِ بْنِ مَخَالِدِ بْنِ وَهَيْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَبِيْعٍ - وَ قِيلَ: الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدِ بْنِ

خَنِيْسِ بْنِ مَخَالِدِ بْنِ ذُوَيْبِيَّةِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَبِيْعٍ - بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ

ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ. وَ جَاءَ

فِي التَّعْلِيْقَةِ مِنْ «الْمُؤْتَلَفِ وَ الْمَخْتَلَفِ» لِلْأَمْدِيِّ أَنَّ الْمَسْمُومِينَ بِاسْمِ الْكَمَيْتِ بَيْنَ

الشُّعْرَاءِ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ: أَوْلَهُمْ: الْكَمَيْتُ أَكْبَرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ نُوْفَلِ بْنِ فَضْلَةَ بْنِ

الْأَشْثَرِ بْنِ جِحْوَانَ بْنِ فِقْعَسٍ. الثَّانِي: الْكَمَيْتُ بْنُ الْمَعْرُوفِ بْنِ الْكَمَيْتِ الْأَكْبَرِ،

وَ الثَّلَاثُ: الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ [بْنِ خَنِيْسِ، مَوْضُوعٌ بِحَثْنًا].

استعمال كلمة في غير معناها الحاقاً و الأصلي صحيحاً،
فإنه صحيح بالنسبة إلى الجميع؛ و يتسنى لكلّ خطيب أو
شاعر أن يستخدم الألفاظ في غير معانيها الحقيقية بدون
التوكؤ على قرينة. و في هذه الحالة

تضيق اللغة ويسقم الشعر والأدب تماماً، وعندئذ لا
سبيل لنا إلى فهم معاني الألفاظ من كلام البلغاء و
الفُصحاء.

و من الأشعار المأثورة عن صحابة النبي صَلَّى اللهُ
عليه و آله في حديث الغدير، الدالة على إمامة أمير
المؤمنين عليه السلام و وجوب طاعته على الأمة، أبيات
الصحابيِّ المعروف بجلالة منزلته و عظيم قدره قيس بن
سعد بن عبادة، الشيعيِّ الوفيِّ المخلص لأمر المؤمنين
عليه السلام في جميع المواطن، و الخطيب البليغ من قبيلة
الخرزج، و هم من أنصار المدينة. و أن سيرته الحميدة، و
حياته الكريمة، و عقله الحصيف، و استقامته و صموده،
و ركونه إلى أهل البيت عليهم السلام منذ بدء نشأته، كل
ذلك حقيق ببحث تاريخيِّ مفصّل.

ينقل التاريخ عنه أنه عند ما عاد من معركة الجمل،
وقف أمام أمير المؤمنين عليه السلام و أنشده الأبيات
التالية:

فلاحظ في الآيات المذكورة كيف بهذا الصحابيِّ

الجليل، وهو من

سادة العرب و عظمائها، و نجل سيّد الخَزْرَج: سَعْد بن عُبَادَة، يعتبر عليّاً صلوات الله عليه إماماً له و لمن سواه. و قد انتهل ذلك من الآية القرآنيّة الكريمة: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ }، التي قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي أَعْقَابِهَا: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ.**

و على هذا، فإنّ الولاية هنا ينبغي أن تكون بمعنى الإمامة، أو أنّ الإمامة شرطها لا محالة، و عندئذٍ يتسنى مثل هذا الاستنتاج. لذلك فإنّ اللغة العربيّة الأصيلة الحقّة تفيد أنّ الولاية تعني الإمامة، أو أنها شرطها.

أشعار الحميريّ في غدير خمّ و استنباط الإمامة منها

و للسيد إسماعيل الحميريّ قصائد جمّة في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. و بعامة، أنّ ديوانه يتألف من مدائح أهل البيت، و مطاعن مناوئهم. و فيما يلي عدد من أبياته، نذكرها هنا مثلاً لما نقول:

و نلاحظ أنّ السيّد الحَمِيرِيّ ذكر في هذه الأبيات أمر
التبليغ بالولاية النازل من الله بلفظ النُّصْب. و النّصْب لا
يناسب إلّا الخلافة و الإمامة، لا المحبّة و النصرّة. يقال:
نُصِب فلان في الخلافة أو الإمارة؛ و لا يقال: نُصِب فلان
في المحبّة أو النصرّة للناس.

هذا من جهة، و من جهة اخرى فإنه يقول في البيت
الرابع: جعل الولاية بعده لإنسان مهذب. و يستبين من
ذلك أن الولاية لو كانت بمعنى المحبة أو النصر، فهي
لا تختص بما بعده، بل إن على الأمة أن تحب علياً و تواليه
و تنصره سواء في عصر رسول الله، أو في العصر الذي يأتي
بعده؛ و لكنّها الإمامة التي جعلت بعد وفاة الرسول
الأعظم صلى الله عليه و آله عقداً لا بدّ منه.
و يقول السيّد الحميريّ أيضاً:

استهدى الحميريّ في هذه الأبيات بكلام رسول الله:
مَنْ أَوْلَى بِكُمْ، و استنتج من كلامه صلى الله عليه و آله: مَنْ
كُنْتُ مَوْلَاهُ أَمَرَ الْخِلاَفَةَ و الإمارة. ذلك أن رسول الله بعد

أن أشهد الناس على أولويّته، و جعل ولاية عليّ كولاية،
نظّم القيادة و الوزارة في حياته حتّى دنوّ أجله، كما هيأ
الأجواء للخلافة و الإمارة بعد وفاته. و من المعلوم أنّ
هذه المعاني و المفاهيم تستنبط من الولاية، و إلاّ فإنّ
الاستنتاج و التفرّع و الترتّب امور غير صحيحة.

و يقول الحميريّ أيضاً:

و نشاهد الحميريّ هنا أيضاً يذكر بعد العبارة المتمثلة
بقوله: مَنْ مَوْلَاكُمْ، و قولهم: أَنْتَ مَوْلَانَا، عبارة: هَذَا
وَلِيَّكُمْ بعدي، و يتفرّع عليها أنّ منزلة الإمام من رسول
الله هي كمنزلة هارون، و اخوته له كاخوة هارون لموسى
بن عمران.

و من الواضح أنّ الولاية بعد الموت، و الخلافة و
الوصاية هي من المعاني المستفادة من الولاية بمعنى
الإمارة و الإمامة، لا بمعنى المحبة

و النُّصرة.

و أنشد القاضي التَّنُوخيّ قائلًا: ١

١ القاضي التَّنُوخيّ أحد علماء القرن الثالث و الرابع. توفيّ سنة ٣٤٢ هـ. نظم قصيدة ردّ فيها على عبد الله بن المعتزّ المتوفّي سنة ٢٩٦ هـ، و كان عبد الله قد نظم قصيدة في مدح العبّاسيّين، افتخرَ بهم على الطالبين، و مطلعها:

أبي الله إلا ما ترون فما لكم غضاباً على الأقدار يا آل طالبٍ
فانبري إليه التَّنُوخيّ بقصيدة في غاية الروعة و الجمال، و أولها:

من ابن رسول الله و ابن وصيّهِ إلى مُدغِلٍ في عقدة الدين ناصبٍ
نَشأ بين طُنُبور و دفّ و مزهر و في حجر شادٍ أو على صدر ضاربٍ و من ظَهر
سَكَران إلى بطن قينةٍ عليّ شُبّه في ملكها و شوائبٍ و يعدّد الشاعر الظلامات التي
حلّت بأهل البيت حتّي يصل إلى سمّ الإمام الرضا عليه السلام من قبل المأمون
فيقول:

و مأمونكم سمّ الرّضا بعد بيعّة تودّ ذري شمّ الرجال الرواسبِ

و القاضي التنوخيّ هذا يصل نسبه إلى يعرب بن قحطان أيضاً.^١ رواه في هذه الأبيات بعد ذكره حديث الولاية: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ...** يجعل وجوب طاعة الإمام كوجوب طاعة هارون. و لا طائل تحت هذا الأمر ما لم يحمل معنى و مفاد الإمام و الإمامة.

شعر الشريف المرتضى علم الهدى في الغدير و استنباط الإمامة منه

و أنشد الشريف المرتضى عَلمُ الهدى قائلاً:

يَا رَاكِباً رَقَصْتُ بِهِ مَهْرِيَّةً

١ أبو القاسم التنوخيّ: و هو عليّ بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هاني بن زيد بن عبيد بن مالك ... بن حارث بن عمرو (ملك تنوخ) ... يعرب بن قحطان.

نرى في هذه الآيات أنّ الشريف المرتضى، و هو
حفيد أهل البيت، يعبر عن حبه و شغفه بأمر المؤمنين
عليه السلام و تعلقه بشخصية المقدّسة. فيشبهه

- شاكراً - تشييعه بالبصرة عند انبلاج الفجر و تمزق

حجب الجهل و الجور و التعدي و المرض، التي تحول

دون قبول الحق. فيقول: إن الرسول قد أصرح عن ولائه،

لو كان فيه نفع لجائر قاسط. و يقول: لم يقل النبي ما قاله

معرضاً، و لم يبع هدفاً خاصاً أو خديعة. و أقام علياً باباً

للنجاة؛ أمّا ذوو الضغائن، فإنهم حبسوا أنفاسهم في

صدورهم حقداً و حسداً، و لم يجهروا بأناتهم. و هذه كلها

آثار و مواصفات نصب الإمامة المتخذة من كلام النبي

الأعظم صلى الله عليه و آله: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ.**

و إلا فإن وصية رسول الله بحب الإمام أو نصره لا

تتمخض بهذه النتائج كلها.

تمكن الشريف المرتضى وبراعته في العربية

كان الشريف المرتضى ضليعاً في اللغة العربية و آدابها

حتى قالوا فيه: هو أصل العربية. أي: أن العرب الذين

تمثل اللغة العربية لغتهم الام ينبغي لهم أن يتعلموا العربية

منه.

جاءت ترجمة الشريف المرتضى و مجالسه مع أبي
العلاء المَعَرِّي و مناقشاته الأدبيّة في كتب التراجم، و
منها: «روضات الجنّات». فقد اِثْر عن الشيخ عزّ الدين
أحمد بن مقبل أنه قال: لو حلف إنسان إنّ السيّد المرتضى
كان أعلم بالعربيّة من العرب، لم يكن عندي آثماً. و نقل
عن شيخ من شيوخ مصر أنه قال: و الله، إنّني استفدت من
كتاب السيّد مرتضى «الغرر و الدرر» مسائل لم أجدها في
كتاب سيبويه و غيره من كتب النحو. و كان الخواجة
نصير الدين الطوسيّ إذا جرى ذكر السيّد المرتضى في
درسه يقول: صَلّوات الله عَلَيْهِ، و يلتفت إلى القضاة و
المدرّسين الحاضرين و يقول: كيف لا اصلّي على السيّد
المرتضى؟!!

و نقل ابن فثال النيسابوريّ عن الشيخ الأديب: على

بن أحمد الفنجكرديّ:

هذا الرجل المطلع الخبير و الأديب العالم المتضلع
الذي كان معاصراً لابن فتنال النيسابوري، استنتج من
كلمة المَوْلى في شعره معنى الإمامة و المرجعية في أحكام
الدين.

إن ما نقلناه من شعر ماثور عن كبار الشعراء كشاهد
على معنى المولى نموذج من قصائد لا تحصى أنشدها
العلماء و الادباء في الغدير و المعنى المستفاد من الولاية
طيلة أربعة عشر قرناً. و في هذا المقدار الذي نقلناه ما
يكفي لأهل الفهم و الدراية إن شاء الله.

و نتحدّث فيما يلي عن الشواهد الموجودة في قصّة
الغدير، و دلالة الولاية على معنى الإمامة.

المعنى الحقيقي للمولى و الولاية في اللغة و موارد استعمالهما

أولاً: لفظ المولى نفسه الذي جاء في الحديث. و
المولى من مصدر الولاية. و الولاية تعني الاتّحاد بين
شيئين، و زوال الحجاب المانع من اتّحادهما. و قد ذكرنا في
الجزء الخامس من كتابنا هذا «معرفة الإمام» أنّ جميع

المعاني المنقولة للولاية و المولى تعود إلى معنى واحد، و
قد وضع لفظ الولاية لذلك المعنى بلا إضافة.

و قال الراغب الإصفهاني في مفرداته، مادة وَّليّ:
الْوَلَاءُ وَ التَّوَالِي أَنْ يَحْضَلَ شَيْئَانِ فَصَاعِدًا حُصُولًا لَيْسَ
بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا. ^١ أي: إذا كان بينهما ما يفصلهما،
فينبغي أن يكون منهما، أو لا وجود لما يفصل بينهما، فهما
متّحذان بكلّ ما للكلمة من معنى، أو إذا لم تتحقّق بينهما
وحدة، فإنّ ما يفصل بينهما يجب أن يكون منهما، لا من
شيء آخر.

هذا هو معنى الْوَلَايَةِ وَ الْوَلَاءِ وَ التَّوَالِي. و جميع
مشتقّات هذه المادّة من وَّليّ و مَوْلى و أَوْلَى و وَّليّ و غيرها
لها نفس المعنى. و نلاحظ هذا المعنى نفسه في جميع
تصاريف أبواب «فعل».

ثمّ جاءت في اللغة بمعنى القرب نظراً لما تقتضيه
الكيفيّة الحاصلة بين شيئين من القرب. و لما كان القرب
المعنويّ كالقرب الحسيّ يتمتّع بميزات القرب و

١ «معرفة الإمام» ج ٥، الدرس ٦١ و ٦٢، جاء الحديث عن معنى الولاية و لفظ
الولي و المولي هناك بصورة وافية. بيدّ أنّي أشرت هنا إلى ذلك الموضوع إجمالاً
و ذلك لأنّ الحديث يحوم هنا حول لفظ المولي الوارد في حديث الغدير.

خصائصه، لذلك عبّروا عن القرب المعنويّ بلفظ
الولاية. و استعاروا الولاء و التّواليّ للقرب النّسبيّ، و
القرب الدينيّ، و قرب الصداقة، و النصرّة، و الاعتقاد، و
ما شابهها.

ثمّ استخدموا هذه الكلمة حيثما كان معنى الولاء
الحقيقيّ و رفع الحجاب بين شيئين قائماً، و كان المصداق
لتحقّق معنى الولاء موجوداً. و على سبيل المثال فقد
استعملوا كلمة الولاية في النسبة و القرب اللذين يوجدان
نوعاً من الاتّحاد و الاشتراك بين المالك و المملوك، و
عبّروا عن كلّ واحد منهما: المولى. و كذلك أطلقوا هذه
الكلمة في النسبة بين السيّد و العبد، و المُنعم و المنعم
عليه، و المُعتق و المُعتق. و في النسبة بين

الحليفين، و العقيدين، و الحبيب و المحبوب، و
الناصر و المنصور، و ابني العمّ، و الجارين، و المتصرّف
في الأمر و المتصرّف فيه، و المتولّي و صاحب الاختيار،
و من كان تحت ولايته. و أطلقوا لفظ المولى على كثير من
الحالات الاخرى بنفس النسق. و يقال لكلّ طرف من
هذه النسبة: مَوْلى. و ما نستنتجه من هذا العرض هو:

أولاً: أن إطلاق لفظ المَوْلى على كلّ واحد من هذين
الشخصين، اللذين يتواجهان، ليس من باب إطلاق كلمة
على معنيين متضادّين، و لا يدخل هذا في باب الأضداد كما
يعبّرون. لأنه على الرغم من أنّ السيّد و العبد متضادّان من
حيث الفاعليّة و المفعوليّة، لكنّ استعمال كلمة المَوْلى في
هذين المعنيين لم يأت من وحي هذه المواصفات
المتضادّة، بل من وحي الارتباط و الاشتراك القائم بينهما،
و هو كالارتباط بين الناصر و المنصور اللذين يربطهما
معنى النصرة. و هذا الارتباط و الاشتراك في النصرة له
معنى واحد يوصل مفهوم الناصر بمفهوم المنصور.

و ثانياً: أن استعمال لفظ الوَلِيّ و المَوْلى و الوَلَاية و مشتقاتها في جميع هذه المعاني العديدة التي بلغ بعضها سبعة و عشرين معنى، ليس من باب استعمال اللفظ في معانٍ متعدّدة، بل من باب استعماله في معناه الحقيقيّ الأصليّ الواحد، و إنّما استُعْمِل في هذه المصاديق المختلفة من باب التطبيق و الانطباق دون النظر إلى خصائص موضع الانطباق. فعلى هذا، فلفظ المَوْلى و الوَلِيّ و الوَلَاية و ما شابهها التي استعملت في هذه المعاني العديدة هي من باب الاشتراك المعنويّ، لا الاشتراك اللفظي^١.

١ قال في «شرح المواقف» ضمن نقله تقرير دليل الشيعة في كيفية استفادة الإمامة من حديث الولاية: «و لأئمتها (أي المعاني المذكورة) تشترك في الولاية فيجب الحمل عليها و جعل اللفظ حقيقة في هذا القدر المشترك دفعاً للاشتراك اللفظي». (ص ٦١١). و قال المرحوم العلامة الأميني أيضاً في «الغدير» ج ١، ص ٣٧٠ بعد عرض القاسم المشترك بين المعاني التي ذكرها للمولى، و بلغت سبعة و عشرين معنى: الوجه المشترك بين هذه المعاني هو الأولى بالشيء فالاشتراك معنويّ و هو أولى من الاشتراك اللفظيّ المستدعى لأوضاع كثيرة غير معلومة بنصّ ثابتٍ و المنفيّة بالأصل المحكّم. و قد سَبَقْنَا إلى بعض هذه النظرية شمس الدين ابن البَطْرِيْق في «العمدة» ص ٥٦، و هو أحد أعلام الطائفة

قال التفتازاني في «شرح المقاصد»^١ و القوشجي في «شرح التجريد»، و مير سيّد شريف الجرجاني في «شرح المواقف» للقاضي الإيجي، في ص ٦١١: جاءت كلمة المَوْلى لسبعة معانٍ: المُعْتَق و المُعْتَق، و الحَلِيف، و الجار، و ابن العمّ، و النَّاصِر، و الأوّلِي في التصرّف.

و ذكر السجستانيّ العزيزي في كتاب «غريب القرآن»^٢، و الأنباري في «مشكل القرآن»،^٣ ثمانية معانٍ للمولى، و هي: العبد، و السيّد، و الصّهر، و الواليّ، و ابن العمّ، و الجار، و الحَلِيف، و الأوّلِي بالشيء.

في القرن السادس» بيد أننا لا نتفق مع المرحوم الأميني في طبيعة الوجه المشترك، و سيأتي.

١ «شرح المقاصد» ص ٢٨٩.

٢ «غريب القرآن»، ص ١٥٤.

٣ «مشكل القرآن»، بناءً على نقل الشريف المرتضى في كتاب «الشافى». و ذكر استشهاد الأنباري بيت لبيد. و كذلك بناءً على نقل ابن بطريق في كتاب «العمدة» ص ٥٥.

و ذكر الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره أحد عشر معنى للمولى، مع مثال لكل واحد منها. و نظراً لأهميّة كلامه في هذا المجال ننقله نصّاً:

«اعلم أنّ المولى في اللغة على أحد عشر قسمًا:

المَوْلى بمعنى الأوّل، و هو الأصل، و ترجع إليه الأقسام الأخرى للمولى كما يقال. و من شواهدة، قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ} ١.

أي: أنها أولى بكم. و لا تحتل معنى آخر. و من شواهدة في الشعر، قول لبيد:

أي: أولى بالمخافة. و لا خلاف بين أهل اللغة في هذا الموضوع.

المعنى الآخر للمولى: مَالِكِ الرَّقِّ. و الشاهد عليه قَوْلُهُ تَعَالَى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى

شَيْءٍ} ... إلى قوله: {وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ}¹. يعني على مَالِكِهِ.

و المعنى الثالث: الْمُعْتَق و يسمّى: مَوْلَى مِنْ فَوْق. و الرابع: الْمُعْتَق و يسمّى: مَوْلَى مِنْ تَحْتِ. و كذلك يطلق المَوْلَى على الله، و على العبد قبل العِتق. و هذا قسم آخر. و لا يحتاج إلى شواهد لأنه معروف. فهذه خمسة أقسام.

و لعلّ من شواهد الْمُعْتَق قوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ}².

و المعنى السادس: ابن العمّ، كما قال الشاعر:

و السابع: الناصر. قال الله تعالى:

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا

مَوْلَى لَهُمْ}³، أي: لَا نَاصِرَ لَهُمْ.

١ هذا البيت من معلّقة لبيد بن ربيعة، و هي من المعلّقات السبع. يقول: فغدت البقرة و هي تحسب أنّ كلا فرجها خلفها أو أمامها أولي بالمخافة منه.

٢ الآيتان ٧٥ و ٧٦، من السورة ١٦: النحل.

٣ الآية ٥، من السورة ٣٣: الأحزاب.

الثامن: مولى ضمان الجريرة كما يعتق رجل عبداً، و يتبرأ من ضمان جريرته و ولاءه، فيقول: أنا بريء من خيره و شره. و يُدعي: سائبة. فهو يذهب و يتوَّى أحداً، و ذلك الشخص يضمن جريرته، و له ولاء الميراث. يطلق على هذا الشخص: مَوْلى.

التاسع: الحليف، كما قال الشاعر:

و قال الآخر:

العاشر: الجار، كما قال الشاعر:

الحادي عشر: السيّد المطاع، و الرئيس، و الإمام، و من انخرط في هذا السلك.

فمن تأمل هذه الأقسام يجد أنّ معناها جميعها: الأولى. فالله أولى بالعبد، و العبد أولى بالله؛ و المعتق أولى بالمعتق، و المعتق أولى بالمعتق؛ و الجار أولى بالجار؛ و الحليف أولى بالحليف؛ و الناصر أولى بالمنصور؛ و ابن العمّ أولى بابن العمّ؛ و هكذا ضامن الجريرة؛ فهو لاء أولى

بأصحابهم من غيرهم الذين ليس لهم هذه الولاية؛
فصحّ - إذن - أن يكون المعنى أوّلى، و هذا المعنى هو
المناسب هنا»^١.

بيان سبط بن الجوزي في معاني المولى

و ذكر سبط بن الجوزي هذه المعاني التي نقلناها عن
الرازي كلّها إلا المالك، و العبد قبل العتق. و جعل معاني
المولى عشرة، عاشرها الأوّلى. و نقل لكلّ معنى شاهداً
من القرآن الكريم، أو من شعر العرب، ثمّ قال:

١ «تفسير أبي الفتوح» ج ٢، ص ١٩٧ و ١٩٨.

«المعاني المذكورة في حديث ولاية الغدير لا تصح،

إلا الوجه العاشر وهو الأولى ومعناه: مَنْ كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ

مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ أَوْلَىٰ بِهِ. وقد صرح بهذا المعنى الحافظ أبو

الفرج يحيى بن سعيد الثقفى الإصبهاني في كتابه المسمى

ب-: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ»، فإنه روى هذا الحديث بإسناده إلى

مشايخه، وقال فيه: فأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله]

و سلم بيد علي عليه السلام فقال: **مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ وَ أَوْلَىٰ بِهِ**

مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ. فعلم أن جميع المعاني راجعة إلى

الوجه العاشر. و دل عليه أيضاً قول رسول الله: **أَلَسْتُ**

أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ وهذا نص صريح في إثبات

إمامته وقبول طاعته. وكذا قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[وآله] و سلم: **وَ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ وَ كَيْفَمَا دَارَ!** و

هذا [الكلام من رسول الله] بإجماع الأمة. ألا ترى أن

العلماء إنما استنبطوا أحكام البغاة من وقعة الجمل و

صفيين^١.

^١ «تذكرة خواص الأمة» ص ١٩ و ٢٠.

و قال محمد بن طلحة الشافعي بعد ذكر حديث
الولاية في الغدير و شأن نزول آية التبليغ نقلاً عن «أسباب
النُّزول» للواحدي، و بعد نقله سبعة معان لكلمة المولى:
«قول رسول الله في غدير خم: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**
قد اشتمل على لفظه «مَنْ»، و هي موضوعة للعموم.
فاقتضى أنّ كلّ إنسان كان رسول الله مولاة، كان عليّ بن
أبي طالب مولاة. و اشتمل على لفظه «المَوْلى». و هي لفظة
مستعملة بإزاء معان متعددة وردت في القرآن الكريم. و
هي تارة تكون بمعنى أوّل، قال الله في حقّ المنافقين:
{مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ}.^١ معناه: أوّل بكم.
و تارة بمعنى الناصر؛ قال الله: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى**
الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ

^١ الآية ٥٧، من السورة ٥٧: الحديد.

الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} .^١ أي: لا ناصر لهم.

و تارة بمعنى الوَارِث؛ قال تعالى: {وَلِكُلِّ جَعَلْنَا

مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} .^٢ الموالى هنا:
الوَرَاث. [جعلنا لكل ورثاً].

و تارة بمعنى العَصَبَة أي: الأقارب من جهة الأب.

قال الله تعالى [على لسان زكريا على نبينا و آله و عليه

الصلاة و السلام] {وَأِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِن وَّرَائِي} .^٣

معناه عصبتي. [و قرابتي من أبي].

و تارة بمعنى الصَّدِيق و الحَمِيم. قال الله تعالى: {يَوْمَ

لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا} .^٤ معناه: حميم عن حميم،

و صديق عن صديق، و قرابة عن قرابة.

و تارة بمعنى السَيِّد و المَعْتَق. و إذا كانت واردة لهذه

المعاني، فعلى أيها حملت؟ إمّا على كونه أولى كما ذهب إليه

طائفة؟ أو على كونه صديقاً حميماً؟ فيكون معنى الحديث:

١ الآية ١١، من السورة ٤٧: محمد.

٢ الآية ٣٣، من السورة ٤: النساء.

٣ الآية ٥، من السورة ١٩: مريم.

٤ الآية ٤١، من السورة ٤٤: الدخان.

من كنت أولى به أو ناصره؛ أو وارثه؛ أو عصبته؛ أو حميمه
أو صديقه؛ فإنّ علياً منه كذلك.

و هذا صريح في تخصيصه لعلّي عليه السلام بهذه
المنقبة العليّة؛ و جعله لغيره كنفسه بالنسبة إلى من دخلت
عليهم كلمة «مَنْ» التي هي للعموم بما لم تجعله لغيره.
و ليعلم أنّ هذا الحديث هو من أسرار قوله تعالى: في
آية المَبَاهَلَةِ:

{فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ
نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا

وَأَنْفُسَكُمْ} ١.

و المراد [من نفس رسول الله هنا] نفس عليّ عليه السلام، فإنّ الله قرن بين نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله وبين نفس عليّ. و جمعها بضمير مضاف إلى نفس رسوله. صلّى الله عليه وآله.

[و في حديث الولاية يوم الغدير] أثبت رسول الله صلّى الله عليه وآله لنفس عليّ عليه السلام ما هو ثابت لنفسه على المؤمنين عموماً. فإنّه صلّى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين، و ناصر المؤمنين، و سيّد المؤمنين. و كلّ معنى أمكن إثباته ممّا دلّ عليه لفظ المولى لرسول الله، فقد جعله لعليّ عليه السلام.

و هي مرتبة سامية و منزلة سامقة و درجة عليّة و مكانة رفيعة خصّص رسول الله صلّى الله عليه وآله بها عليّاً [عليه السلام] دون غيره. فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد و موسم سرور لأوليائه.

١ الآية ٦١، من السورة ٣: آل عمران.

ثم أطال ابن طلحة الحديث عن هذا الموضوع مفصلاً و عرض بحثاً مفيداً و شاملاً ضمّ الأحاديث الدالة على منزلة أمير المؤمنين عليه السلام بنحو وافٍ^١.
 و قد نقلنا فيما مضى ستة عشر معنى لكلمة المَوْلى عن ابن الأثير الجزريّ في «النهاية»^٢ فأصبح مجموع معانيها سبعة عشر معنى بعد إضافة الأوّل.

سبعة و عشرون معنى لكلمة المولى

القصد من كلمة المولى الواردة في حديث الغدير

و ذكر العلامة الأمينيّ سبعة و عشرين معنى لكلمة المَوْلى، و هي على النحو التالى:

- ١- الرَّبِّ. ٢- العَمِّ. ٣- ابْنُ العَمِّ. ٤- الابْن. ٥-
- ابْنُ الاخت. ٦- المُعْتَق. ٧- المُعْتَق. ٨- العَبْد. ٩-
- المَالِك. ٣- التَّابِع. ١١- المُنْعَمُ عَلَيْهِ. ١٢- الشَّرِيك.

١ «مطالب السُّؤل»؛ ص ١٦ و ١٧. القطع الرحليّ. فصل ما يتعلّق بالإمام الأوّل عليّ.

٢ «معرفة الإمام» ج ٥، الدرس ٦١ و ٦٢.

٣ قال في التعليقة: في «صحيح البخاريّ» ج ٧ ص ٥٧ [المَوْلى بمعنى] المَلِيك؛ و قال القسطلانيّ في «شرح الصحيح» ج ٧، ص ٧٧؛ المَوْلى: المَلِيك، لأنّه يلي امور الناس. و شرحه كذلك أبو محمّد العينيّ في «عمدة القاري»، و هو شرح

١٣- الحَلِيف. ١٤- الصَّاحِب. ١٥- الجَار. ١٦-
النَّزِيل. ١٧- الصِّهْر. ١٨- القَرِيب. ١٩- المُنْعِم. ٢٠-
العَقِيد. ٢١- الوَلِيّ. ٢٢- الأوَّلِيّ بِالشَّيْء. ٢٣- السَّيِّدُ غَيْرُ
المَالِكِ وَغَيْرُ الْمُعْتَق. ٢٤- المُحِبِّ. ٢٥- النَّاصِر. ٢٦-
المُتَّصِرُ فِي الأَمْرِ ٢٧- المُتَوَلَّى فِي الأَمْرِ.

و تحدّث بعد ذلك عن ضرورة الأخذ ببعض هذه
المعاني في حديث الولاية و فيما يلي ملخص لما ذكره.

«فالمعنى الأوّل و هو الربّ، لا يمكن أن يكون هو
المراد من المولى في حديث رسول الله، لأنّه يلزم من
إرادته الكفر. و أمّا المعنى الثاني و الثالث إلى الثالث
عشر، فلا يمكن الأخذ بها أيضاً لأنّه يلزم من إرادتها
الكذب. ذلك أنه لا يصحّ أن نقول: كلّ من كان رسول
الله عمّه، أو معتقه مثلاً، أو مالكه، أو شريكه، أو حليفه،
أو عقيدته، فعليّ بن أبي طالب عمّه، أو معتقه، أو مالكه، أو

آخر لصحيح البخاري؛ و كذا قال لفظياً العدويّ الحمزاويّ في كتاب «النور
السّاري».

شريكه، أو حليفه أيضاً. و أمّا المعنى الرابع عشر إلى
الثامن عشر، أي: الصاحب، و الجار، و النزيل، و الصهر،

و القريب، فلا يمكن أن تكون هي المقصودة من الحديث، لأنه يلزم من إرادتها سخافة هذه الخطبة الهامة و تفاهتها.

فلا معنى لأمر رسول الله بالتوقف، و رجوع المتقدم، و بقاء المتأخر في مكانه، في ذلك الحشد الرهيب، في أثناء المسير، و رمضاء الهجير. و إبقاء الجميع في محلّ ليس بمنزل فيه على أساس الوحي الإلهي المشفوع بما يشبه التهديد، و الناس قد أنهكهم و عثاء السفر، و حرّ الهجير، و حراجة الموقف، حتّى أنّ أحدهم ليضع نصف رداءه تحت قدمه، و النصف الآخر على رأسه لجلوسه على الأرض لاستماع الخطبة، لئلا يرهقه حرّ الأرض و السماء. فيرقي رسول الله المنبر المصنوع من أحداج الإبل ليقول: إنّ نفسه نعت إليه، و هو مهتمّ بتبليغ أمر يخاف فوات وقته بانتهاء أيامه، و إنّ له الأهميّة الكبرى في الدين و الدنيا، فيخبرهم بامور ليس فيها أيّ فائدة، و لا حاجة إلى إعلانها على الملأ بتلك الحالة المذكورة، فيقول: من

كنت مصطحباً أو جاراً له، أو نزيلاً عنده، أو مصاهرأ له،
أو قريباً منه، فعليّ بن أبي طالب كذلك.

و نحن لا نحتمل هذا في أحد من أهل العقول
الضعيفة، فضلاً عن العقل الأوّل و الإنسان الكامل: نبيّ
الرحمة، و خطيب البلاغة، و على هذا، من الإفك الشائن
أن نعز و إلى النبيّ إرادة شيء منها.

و على تقدير إرادة شيء منها، فأيّ فضيلة فيها لأمر
المؤمنين عليه السلام حتّى يهنأ بها في ذلك الجمع الغفير،
و يقال له: بخّ بخّ لك، و يُفضّلها سعد بن أبي وقاص في
حديثه على حمر النعم لو كانت له، أو تكون أحبّ إليه من
الدنيا و ما فيها و إن عمّر فيها مثل عمر نوح؟!!

و أمّا المُنعم و العقيد. فلا يمكن أن يكونا هما
المرادين من المولى في الحديث. لأنه لا ملازمة في أن
يكون كلّ من أنعم عليه رسول الله،

يكون عليّ بن أبي طالب منعماً عليه أيضاً. و لا ملازمة في أن يكون كلّ من حالفه رسول الله، يكون عليّ عليه السلام حليفاً له أيضاً، إلّا أن نقول: إنّ المراد هو كلّ من كان رسول الله منعماً عليه بالدين، و الهدى، و التهذيب، و الإرشاد، و العزّة في الدنيا، و النجاة في الآخرة، فعليّ عليه السلام منعم عليه بذلك، لأنه القائم مقامه، و حافظ شرعه، و مبلغ دينه، و الصادع عنه؛ فلهذا أنّ الله أكمل به الدين، و أتمّ النعمة. فهو حينئذٍ لا يبارح معنى الإمامة و الولاية الذي نحن في صدد إثباته و لا ينفك عنه و يساوقه بهذه الأسباب، لأنه من معاني الأولويّة التي هي بمعنى الرئاسة و صاحب الاختيار.

و نقول في العقيد: إنّ المراد من العقد، العهود التي كانت تبرم بين رسول الله، و بين بعض القبائل من أجل إقرار السلم و الصلح، أو من أجل نصرته. و أمير المؤمنين عليه السلام في هذه العهود بمنزلة رسول الله، يقوم بها لتنظيم السلطة الإسلاميّة، و الحكومة الإلهيّة، و القضاء على الفوضى. و حينئذٍ لا منافاة بينها و بين الولاية

بمعنى الإمامة و الرئاسة الإلهية العامة، و القصد متحقق
على أي حال.

و أمّا المُحِبِّ و النَّاصِرِ على أيّ تقدير كان، فلا يمكن
أن يكونا هما المقصودين من الحديث الشريف، لأنه إذا
كان القصد من قوله: مَنْ كُنْتُ مُحِبَّهُ أَوْ نَاصِرَهُ فَعَلِيٌّ نَاصِرُهُ
أَوْ مُحِبُّهُ، الإخبار بوجوب حبّ المؤمنين عليّ بن أبي طالب
و نصرهم إيّاه، أو إنشاء لهذا المعنى، فيكون معناه: من
كنت محبّه، و ناصره؛ فعليّ محبّه و ناصره؛ أو أنّ عليّ أنّ
يكون محبّه و ناصره. فلا ضرورة حينئذٍ أن يكون الإخبار
بمحبّة عليّ و نصره أو إنشاء وجوبها في ذلك الحشد من
الناس، و إبلاغهم بذلك، بل كان من الضروريّ أن يخبر
رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام نفسه بذلك، أو
ينشئ

و جوابه .

إلّا أن يكون المراد من الخطبة و استماع الناس جلب
عواطف الملاء و تشديد حبّهم لعلّي عليه السلام إذا علموا
أنّ أمير المؤمنين في درجة النبي الأكرم محبّهم و ناصرهم .
لذلك و جب عليهم أن يتبعوه، و لا يخالفوا له أمراً و لا
يردّوا له قولاً .

و لما صدر رسول الله صلّى الله عليه و آله كلامه
بقوله: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ**، نعلم أنه على هذا التقدير لا يريد
من المحبّة أو النصرة إلّا ما هو على الحدّ الذي هو فيه
بالنسبة إلى أفراد المؤمنين . فلهذا تكون لعلّي عليه السلام
هذه المحبّة و النصرة للناس .

و حينئذٍ فإنّ هذا النوع من المحبّة و النصرة ستكون
كمحبّة رسول الله و نصرته تخصّه بما أنه زعيم الدين و
الدنيا، و مالك الأمر، و حافظ كيانه . و هذا هو معنى
الأولوية بهم من أنفسهم . فإنّه لو لم يفعل بهم ذلك،
لأجفلتهم الذئاب العادية، و انتاشتهم الوحوش الكاسرة،
و ستمتدّ أيدي العناد من كلّ حدب و صوب، فمن

غارات تشنّ، و أموال تباح، و نفوس تُزهق، و حُرّمات
الله تُهتِك. فينتقض الغرض من بثّ الدعوة و بسط نظام
الدين. و من الطبيعيّ أنّ من كان في المحبّة و النصرّة على
هذا الحدّ، فهو خليفة الله في أرضه، و خليفة رسوله. و هذا
هو معنى الولاية الإلهيّة الكبرى.

و إذا كان المراد من الحديث الإخبار بوجوب محبّة و
نصرة عليّ بن أبي طالب على جماعة المؤمنين أو إنشاء لهذا
المعنى، فيكون المعنى: من كنت محبّه و ناصره، فهو محبّ
عليّ بن أبي طالب و ناصره؛ أو أنّ عليه أن يكون محبّاً و
ناصراً لعلّيّ. و حينئذٍ لم يكن هذا المعنى جديداً فيحتاج
إلى خطبة، و جمع للناس بالنحو المارّ ذكره، ذلك أننا نعلم
أنه لَمّا كان

أمير المؤمنين أحد المؤمنين، فالناس يحبونه أو عليهم أن يحبوه وفقاً للآيات القرآنية الكريمة.

يضاف إلى ذلك، لو كان المراد من الحديث الإنشاء أو الإخبار عن محبة المسلمين أو نصرتهم أمير المؤمنين عليه السلام فينبغي أن يقول: مَنْ كَانَ مَوْلَايَ فَهُوَ مَوْلَى عَلِيٍّ. أي: من كان محبِّي أو ناصرِي، فهو محبُّ علي وناصره. بينما نجد أنّ معنى المولى هو المحبّ و الناصر، لا المحبوب و المنصور. و لذلك لا يمكن حمل الحديث على هذا المعنى. و لعلّ سبط بن الجوزيّ نظر إلى هذا المعنى، و قال في تذكرته، ص ١٩: لم يجز حمل لفظ المولى في هذا الحديث على الناصر.

على أنّ وجوب المحبة و النصرة غير مختصّ بأمير المؤمنين، و إنّما هو شرع سواء، بين المسلمين أجمع أن يحبّوا كافة المؤمنين و ينصروهم. فما وجه تخصيصه بأمير المؤمنين عليه السلام؟ و إن اريد محبة أو نصرة مخصوصة له تربو على درجة الرعية، كوجوب المتابعة، و امثال الأوامر، و التسليم له، فهو معنى الحجية و الإمامة، لا سيما

بعد مقارنتها بما هو مثلها في النبي الأكرم بقوله: **مَنْ كُنْتُ**
مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. و التفكيك بينهما في سياق واحد إبطال
للكلام.

المولى في حديث الغدير بمعنى **الأولى**

تحدّثنا إلى الآن عن اثنين و عشرين من المعاني السبعة
و العشرين التي ذكرناها للمولى. و اتّضح أنّ أيّاً منها لا
يمكن أن يكون هو المراد من لفظ **المَوْلى** في حديث
الولاية؛ فلم يبق منها إلا خمسة معانٍ هي: ١- **الْوَلِيّ**. ٢-
ال**أَوْلَى** **بِالشَّيْءِ**. ٣- **السَيِّد** (غير المالك أو المعتق؛ فلا يقال
له: **مَوْلى** بلحاظ هذا المعنى، بل للسيادة نفسها لا غير).
٤- **المُتَصَرِّف** في الأمر. ٥- **المُتَوَلَّى** في الأمر.

أمّا **السَيِّد** فهو **الأولى** **بالشَّيْءِ** من حيث السيادة الدينية

العامة على

الامة الإسلامية، لأنه لا معنى أن يعطي الرسول
الأكرم صلى الله عليه وآله سيادة لابن عمّة وفيها عَسْفٌ
و ظلم مع أنّ سيادته صلى الله عليه وآله إلهية.
و كذلك المتصرّف في الأمر، فلا بدّ أن يكون معناه
التصرّف الإلهي المعنويّ المساق للسيادة و الولاية
السبحانية. و ذكر كثيرون أنّ التصرّف في الأمر بمعنى
الولاية، كما قال الفخر الرازيّ في تفسيره الآية المباركة:
{ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ }^١. عن القفال، إذ قال
القفال: {هُوَ مَوْلَاكُمْ} يَعْنِي سَيِّدَكُمْ وَ الْمُتَصَرَّفَ فِيكُمْ.
و ذكرهما أيضاً سعيد الحلبيّ مفتي الروم، و شهاب الدين
أحمد الخفّاجيّ في تعليقهما على تفسير «البيضاويّ» و عدّة
في «الصواعق» من معانيه الحقيقية. و هذا حذوه كمال
الدين الجهرميّ في «ترجمة الصواعق»، و محمّد بن عبد
الرسول البرزنجيّ في «النواقض»، و الشيخ عبد الحقّ في
لمعاته.

١ الآية ٧٨، من السورة ٢٢: الحجّ.

و لذلك فإنَّ المراد بهذا المولى، المتصرّف الذي اختاره الله سبحانه لأن يُتَّبَع، و يقود البشرية إلى مدارج و معارج الإنسانيّة؛ فهو أولى من غيره بأنحاء التصرّف في المجتمع الإنسانيّ. و ليس هو إلاّ نبيّ مبعوث أو إمام مفترض الطاعة منصوص عليه من قبل النبيّ بأمر إلهيّ. و كذلك المُتَوَلَّى في الأمر و صاحب الاختيار فإنّه ينبغي أن يكون بهذا المعنى حتّى يتسنى له أن يتولّى امور الناس من قبل الله بحقّ فيسوقهم إلى الكمال.

و عدّ أبو العباس المبرّد متولّي الأمر من معاني المولى. قال في قوله: {بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} ^١: الوَلِيُّ و المَوْلَى معناهما سواء. و أبو الحسن

الواحديّ في تفسيره «الوسيط»، و القرطبيّ في تفسيره للآية الشريفة: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ} ^٢. و ابن الأثير في «النهاية»، و الزبيديّ في «تاج العروس»، و ابن منظور في «لسان العرب». فإنّهم ذكروا هذا المعنى للمولى، و قالوا:

١ الآية ١١، من السورة ٤٧: محمّد.

٢ الآية ١٥٠، من السورة ٣: آل عمران.

و منه الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
"أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ".^١ و في

رواية: "بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا"، أي: متولّي أمرها.

و ذكره البيضاويّ في ثلاثة مواضع من تفسيره: في

قوله تعالى: { مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا }،^١ و قوله تعالى:

{ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ }،^٢ و قوله تعالى: { وَاللَّهُ

مَوْلَاكُمْ }.^٣

و ذكر أبو السُّعود العماديّ في تفسيره أنّ المراد

بالمولى: متولّي الأمر، و ذلك في تفسير قوله تعالى: { وَاللَّهُ

مَوْلَاكُمْ }^٤ و قوله: { هِيَ مَوْلَاكُمْ }،^٥ و كذلك ذكره

الراغب الإصفهانيّ في مفرداته.

١ الآية ٥١، من السورة ٩: التوبة. و الآية بتمامها: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }.

٢ الآية ٧٨، من السورة ٢٢: الحجّ.

٣ الآية ٢، من السورة ٦٦: التحريم.

٤ نفس الصدر السابق.

٥ الآية ٥١، من السورة ٥٧: الحديد.

و عن أحمد بن الحسن الزاهد الدر و اجكي في تفسيره:

المولى في اللغة من يتولى مصالحك فهو مولاك يلي القيام

بأمورك و ينصرك على أعدائك. و لهذا سمي ابن العم، و

المعتق مولى. ثم صار اسماً لمن لزم الشيء و لا يفارقه.

و كذلك ذكر هذا المعنى الزمخشري في «الكشاف»، و

أبو العباس

أحمد بن يوسف الشيباني في «تلخيص الكشاف» و
النسفي في تفسيره، في قوله تعالى: {أَنْتَ مَوْلَانَا} ^١، و
النيسابوري في «غرائب القرآن» في قوله: {أَنْتَ مَوْلَانَا}،
و في قوله: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ} ^٢، و قوله: هي
{مَوْلَاكُمْ} ^٣.

و سار على هذا النهج السيوطي في «تفسير الجلالين»
حين أخذ معنى المولى في قوله تعالى: {أَنْتَ مَوْلَانَا}، و
قوله: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ}، و قوله: {قُلْ لَنْ
يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا} ^٤. بمعنى: مُتَوَلَّى
أمرنا.

فهذا بحث حول المعاني العديدة للمولى، و علمنا أن
الولاية في الحديث الشريف لا تعني غير الرئاسة الكليّة، و
الإمامة الإلهيّة، و أنّ صاحب الاختيار في الامّة الإسلاميّة
بيد النبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله.

١ الآية ٢٨٦، من السورة ٢: البقرة.

٢ الآية ٤٠، من السورة ٨: الأنفال.

٣ الآية ٥١، من السورة ٥٧: الحديد.

٤ الآية ٥١، من السورة ٩: التوبة.

يضاف إلى ذلك، أنّ الذي نرتأيه في خصوص المقام
بعد الخوض في غمار اللغة، و مجاميع الأدب، و جوامع
العربيّة أنّ الحقيقة من معاني المولى ليس إلاّ الأولى
بالشيء، و هو الجامع لهاتيك المعاني جمعاء، و مأخوذ في
كلّ منها بنوع من العناية. إذنّ فليس للمولى إلاّ معنى
واحد، و هو الأولى بالشيء. و تختلف هذه الأولويّة
بحسب الاستعمال في كلّ من مواردّه. و قد سبقنا إلى هذه
النظريّة ابن البطريق في «العمدة»، و هو أحد أعلام الطائفة
في القرن السادس. و تطفح بشيء من ذلك كلمات غير
واحد من علماء أهل السنّة حيث ذكروا المناسبات في جملة
من معاني المولى تشبه ما ذكرنا.

و يكشف عن كون المعنى الأوّل (أي الأولى بالشيء)

هو المتبادر من المولى إذا اطلق، ما رواه مسلم بإسناده في

صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **لَا يَقُلُ الْعَبْدُ**

لِسَيِّدِهِ: مَوْلَايَ. و زاد في حديث أبي معاوية: **فَإِنَّ مَوْلَاكُمْ**

اللَّهُ. و أخرجه غير واحد من أئمة الحديث في تأليفهم.^١

و قال الشيخ أبو الفتوح الرازي: لا يحتمل من المعاني

الواردة في كلمة المولى، في الحديث: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**

مَوْلَاهُ أي معنى غير الأولى، أو السيد المطاع، كما خاطب

الأخطل عبد الملك بن مروان بذلك، و كان نصرانياً. و

لا يمكن أن يتّهم الأخطل بأن له غرضاً في ذلك، أو أنه

يميل إلى هذا المذهب و أتباعه. و كان ممدوحه علماً في

عدائه لأهل البيت. يخاطبه فيقول:

و على أيّ حال، فإنه أراد بالمولى: السيد و الأولى.^٢

١ «الغدير» ج ١، منتخب من ص ٣٦٢ إلى ٣٧٠.

٢ «تفسير أبي الفتوح الرازي» ج ٢، ص ١٩٨.

و من الأبيات التي جاء فيها التصريح بإمامة أمير
المؤمنين عليه السلام و إمارته و يستفاد ذلك من لفظ
المَوْلى، أبيات عمرو بن العاص من قصيدة طويلة أنشدها
في مدح أمير المؤمنين عليه السلام و بيان منزلته

و مقامه و إمامته و إمارته. و بعث بها إلى معاوية حين
دعاه إلى نصرته في رسالة أرسلها إليه و هو مقيم في
فلسطين. فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً يضمّ هذه
القصيدة. و أراد أن يشعره أنه دعاه إلى نصرته ليجعله في
مواجهة هذه الشخصية الرفيعة! و أنّ حظّه من هذه
الدعوة ينبغي أن يكون عظيماً ذا قيمة، لا تافهاً لا شأن له.
و من أبيات هذه القصيدة الدالّة على ما نحن بصدده، هذه
الأبيات:

شعر أبي تمام الطائي و العبدي الكوفي في الغدير

و قال الشاعر العربيّ المعروف أبو تمام، و هو من
شعراء القرنين الثاني و الثالث، قال في هذا الموضوع:

و من قصيدة طويلة لشاعر أهل البيت العبدِيّ

الكوفي:

فهذه كلّها شواهد تدلّ على أنّ المَوْلى هو الإمام و
الحاكم على مقدّرات الناس، و المفوّضة إليه من الله تعالى
شؤونهم الدنيويّة و الاخرويّة. أي: أنّ من بلغ مقام الفناء
في الله، و لم يبق بينه و بين الحقّ أيّ بُعد أو فاصلة في سير
مراتب التقرب، فإنّ جميع الحجب و الفواصل الظلمانيّة و
النورانيّة قد رفعت. و هذه هي حقيقة الولاية التي تمثّل

مقام العبوديّة الحقّة الحقيقيّة و آخر درجة من الكمالات
البشريّة.

رجال الادب العربي يرون أن المولى يعني الإمام و الأولى

و إذا استثنينا أمير المؤمنين عليه السلام و الشعراء
المعاصرين لرسول الله و الأئمّة الطاهرين سلام الله
عليهم أجمعين الذين ذكرناهم إلى الآن، فإننا نجد كثيراً من
الشعراء الكبار المعروفين بفضلهم و بلاغتهم و أدبهم،
سواء الذين كانوا معاصرين للأئمّة عليهم السلام أم
المتأخرين عنهم، قد نظموا القصائد العصماء في الغدير و
الولاية، و فضائل أمير المؤمنين عليه السلام و محاسنه و
مناقبه. و يستفاد منها معنى المولى المستنبط من
الأحاديث التي جاءت فيها كلمة الولاية أو المولى. و قد
اتفق أهل العربيّة على كلامهم و شعرهم و استشهدوا بهما.
و من هؤلاء الشعراء: دَعْبِلُ الخُزَاعِيّ، و الأمير أبو فِرَاس،
و الحُسَيْنُ بن الحَجَّاج، و الحَمَّانِي الكُوفِيّ، و الشريف
المُرْتَضَى عَلَمُ الهُدَى، و الشريف الرضِيّ، و ابن الروميّ،
و الصنوبريّ، و المُفَجِّع، و الصّاحِبُ بنُ عَبَّاد، و النَّاشِيء

الصَّغِير، و ابن عَلَوِيَّة، و ابن حَمَّاد، و ابن طَبَّاطبَا، و ابن
العُودِيَّ النِّيْلِيَّ، و الجَوْهَرِيَّ، و الزَّاهِيَّ، و التَّنُوخِيَّ، و
الصَّوْلِيَّ النِّيْلِيَّ، و أَبُو العَلَا السَّرْوِيَّ، و مَهْيَار،^١

و الفَنَجَكِرْدِيَّ، و أَبُو الفَرَج الرَّاظِيَّ. و قد ذكرنا قريباً
بعض هؤلاء، و نقلنا من شعرهم الرائع نماذج تدلُّ على ما
نحن فيه. فهل لأحد أن يرتاب في معاني كلمات هؤلاء
الأعلام، التي عُدَّ بعضها أصل العربية و أصولها؟

تحقيق في المعنى الحقيقي و الجذري لكلمة المولى

الاستشهاد بيت بُيُود من المعلقة السبع في تفسير كلمة المولى

بحث دقيق في معنى المَوْلَى و الأوَّلَى

ينبغي أن نعلم أن كثيراً من مفسري العامة قالوا في
تفسير الآية الواردة في سورة الحديد: {فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ
مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْكُمُ النَّارُ هِيَ
مَوْلَاكُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ} ^٢ إنَّ المولى هنا بمعنى

١ جاء في كتاب «النقض» المعروف بكتاب «بعض مثالب النواصب في نقض
بعض فضائح الروافض» تصنيف أبي رشيد عبد الجليل القزويني الرازي، في ص
٢٤٧ «أنَّ مَهْيَار بن مرزويه الكاتب من أحفاد كسري أنوشيروان العادل».

٢ الآية ٥١، من السورة ٥٧: الحديد.

الأولى، أي: النار أولى بكم. و من هؤلاء: الكلبي، و
الزجاج، و الفراء، و أبو عبيدة. ^١ و أبو عبيدة هو: مُعمر بن
مُثنى البصريّ المتوفى سنة ٢١٠ هـ. و بناءً على ما قاله
كثير من أعلام العربية كالشريف المرتضى علم الهدى، و
الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة، و ابن قتيبة، و
ثعلب: أحمد بن يحيى، و أبو بكر الأنباري، و شهاب الدين
أحمد الحفاجي، فإنّ أبا عبيده استشهد هنا بيت لبيد بن
ربيعة. و الإجماع قائم على أنّ المراد بالمولى في بيت لبيد
هو الأولى. و قد نقلنا قبلاً شيئاً من شعر لبيد عن تفسير
أبي الفتوح. و فيما يلي عدد من أبيات قصيدته، نقلًا عن
ديوانه، ليستبين الموضوع جيّدًا:

وَلَهْتَ تَرَدَّدُ فِي نَهَاءِ صَعَائِدِ

وَ تَوَجَّسْتُ رِزَّ الْأَنِيسِ

١ «تفسير الفخر الرازي» ج ٨، ص ١٣١.

و تبلغ هذه القصيدة ثمانية وثمانين بيتاً. يصف الشاعر في هذه الابيات بقرة وحشيّة جميلة وصفاً في غاية الحسن و الروعة إذ صادوا ولدها و هي حائرة قلقة خوفاً من بني آدم، و كانت تبحث عنه في الفيافي ليالى و أيّاماً؛ و سيطر عليها الخوف حتّى لم تجد وجهة خاصّة لدهشتها و خوفها، بل كانت ترى أمامها و خلفها كلّ واحد منهما مولى المخافة، أي: أولى بالخوف منه.

١- هذه البقرة البيضاء تضيء في أوّل الليل كاللؤلؤ البحريّ المنظّم في سلسلة واحدة، و ها هي السلسلة قد انقطعت و تناثرت حبّاتها على الأرض، فهي تتلالا في نقاط مختلفة. و تنقل من مكان إلى مكان بيضاء متلألئة.

٢- و هكذا إلى أن انجلى الظلام و خرجت في بياض الصبح مبكّرة فتزلّ قوائمها عن التراب النديّ، و هي تبحث عن ولدها.

٣- و كانت في جزع دائم بسبب فقدان ولدها، و جاءت في مواضع الماء المرتفعة، و تردّدت في الصعائد سبع ليال بأيامها علّها تتثف ولدها.

٤- و ترددت هذه البقرة كثيراً إلى أن يئست من ولدها، و صار ضرعها الممتلي لبناً خلقاً لانقطاع لبنها؛ و لم يبل ضرعها إرضاعها ولدها و لا فطامها إياه (و إنما أبلاه حزنها على ولدها).

٥- و أَحَسَّتْ فِي هَذِهِ الْحَالِ صَوْتَ النَّاسِ فَأَفْزَعَهَا

ذَلِكَ بَدُونَ أَنْ تَشَاهِدَهُمْ، وَ إِنَّمَا سَمِعَتْهُ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ.

ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ سَقَامَهَا لِأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهَا وَيَصِيدُونَهَا.

٦- وَ خَافَتْ خَوْفًا شَدِيدًا حَتَّى أَنهَا لَا تَعْرِفُ أَيَّ

فَرْجَةٍ بَيْنَ أَطْرَافِهَا أَوْلَى بِالْخَوْفِ، أَمَامَهَا أَوْ خَلْفَهَا (أَيَّ:

كَانَ فَزَعَهَا عَلَى دَرَجَةِ أَنهَا لَمْ تَفْهَمْ جِهَةَ الْخَطَرِ وَ مَجِيءِ

الْإِنْسَانِ، بَلْ كَانَتْ تَرَى الْخَطَرَ مُحَدَقًا بِهَا مِنْ جَمِيعِ

الْجَوَانِبِ).

وَ جَاءَ فِي شَرْحِ الْمَعْلَقَاتِ عِنْدَ شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ: قَالَ

ثَعْلَبٌ: إِنَّ الْمَوْلىَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِمَعْنَى الْأَوْلَى بِالشَّيْءِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ أَيَّ: هِيَ الْأَوْلَى بِكُمْ.

فِيكُونُ الْمَعْنَى: فَغَدَتِ الْبَقْرَةُ وَ هِيَ تَحْسَبُ أَنَّ كَلَا فَرْجِيهَا

مَوْلَى الْمَخَافَةِ.

أو أنّ الفَرْجَ (الفاصل بين ليدين و الرجلين) هو
موضع المخافة. فيكون المعنى: تحسب تلك البقرة أنّ
كلّ فرج من فرجها هو الأولى بالمخافة منه.^١
كان لُبَيْدٌ أحد شعراء الجاهليّة. و أفضل شعر له في
الجاهليّة قصيدتان: معلّته، و لاميتّه التي جاء فيها هذا
البيت:

و عند ما انشد هذا البيت بين يدي رسول الله صلّى
الله عليه و آله قال: **أَصْدَقُ شِعْرٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ.**
أدرك لبيد الإسلام، و أسلم؛ و عمّر حتّى زمان عثمان،
فكان أحد

١ «شرح المعلّقات السبع» للزوزنيّ: شرح قصيدة لبيد بن ربيعة، الطبعة
الحجريّة، ص ٧٨. توفي القاضي الزوزنيّ: الحسين بن أحمد شارح المعلّقات سنة
٤٨٦.

المعمّرين الطاعنين في السنّ. و من ترجم له، ذكر أنّ عمره لم يقل عن مائة و عشر سنين. و قيل: بلغ مائة و سبع و خمسين سنة.

و من الذين صرّحوا بأنّ معنى المولى في الآية: {هِيَ مَوْلَاكُمْ}: الأولى: البخاريّ، و أبو جعفر الطبريّ،^١ و أبو الحسن الواحديّ في «الوسيط»،^٢ و أبو الفرج بن الجوزيّ،^٣ و محمّد بن طلحة الشافعيّ،^٤ و سبط بن الجوزيّ،^٥ و التفتازانيّ في «شرح المقاصد» نقلًا عن أبي عبيدة،^٥ و ابن الصبّاغ المالكيّ، و السيوطيّ، و غيرهم.

و ذكر الشيخ المفيد في رسالة صنّفها في معنى المولى، و الشريف المرتضى علم الهدى في كتاب «الشافى» أنّ المولى بمعنى الأولى. و في ضوء هذا النهج استدّلوا على إمامة أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين.

١ «تفسير الطبريّ» ج ٩، ص ١١٧.

٢ «تفسير ابن الجوزيّ»: «زاد المسير».

٣ «مطالب السّئول» ص ١٦، الطبعة الحجرية.

٤ «تذكرة خواصّ الامّة» ص ١٩، الطبعة الحجرية.

٥ ص ٢٨٨.

و قال القوشجيّ في «شرح تجريد الاعتقاد» في شرح
قول الخواجة نصير الدين: وَ لِحَدِيثِ الْغَدِيرِ الْمُتَوَاتِرِ فِي
تقرير استدلال الشيعة: أحد معاني المَوْلى، الأولى في
التصرّف، قال الله: {مَا أَوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ}، أي:
أولى بِكُمْ و ذكر أبو عبيدة هذا المعنى؛ و قال رسول الله
صلّى الله عليه

و آله: **أَيُّ امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهَا** يعني: بِغَيْرِ

إِذْنِ الْأَوْلَىٰ بِهَا وَ الْمَالِكِ لِتَدْبِيرِ أَمْرِهَا. و مثل هذا في الشعر كثير.

و بالجمله فَإِنَّ اسْتِعْمَالَ الْمَوْلَىٰ بِمَعْنَى الْمُتَوَلَّى، و مالك الأمر، و الْأَوْلَىٰ فِي التَّصَرُّفِ شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، و منقول عن أئمة اللغة. و المراد أَنَّ الْمَوْلَىٰ اسْمٌ لِهَذَا الْمَعْنَى، لَا صِفَةٌ بِمِثَابَةِ الْأَوْلَىٰ لِئَلَّا يُعْتَرَضَ عَلَى أَنَّ الْمَوْلَىٰ لَيْسَ اسْمٌ تَفْضِيلٌ، و لَا يَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى التَّفْضِيلِ.

و لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ فِي حَدِيثِ الْغَدِيرِ لَكِي يَتطابق مع صدر حديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله:

أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟

و لَمَّا كَانَ الْقَوْشَجِيُّ عَلَى مَذْهَبِ الْعَامَّةِ، لِذَلِكَ جُهِدَ فِي دَفْعِ الْإِسْتِدْلَالِ بِحَدِيثِ الْغَدِيرِ، و لَكِنْ مِنْ جِهَاتٍ أُخْرَى، لَا مِنْ جِهَةٍ مَعْنَى الْمَوْلَى الَّذِي يَعْنِي فِي أَحَدِ مَعَانِيهِ الْأَوْلَىٰ بِالشَّيْءِ.^١

١ «شرح تجريد القوشجيين» الأوراق الثلاث عشرة الأخيرة من الكتاب، الطبعة الحجرية.

و قال الزمخشريّ في تفسير هذه الآية أيضاً: هي

{مَوْلَاكُمْ}. قيل: معناه أَوْلَى بِكُمْ. و استشهد بشعر لبيد،

ثمّ قال: وَ حَقِيقَةُ مَوْلَاكُمْ مُحْرَاكُمْ وَ مَقْمَنُكُمْ أَي مَكَانُكُمْ

الذي يُقَالُ فِيهِ: هُوَ أَوْلَى بِكُمْ كَمَا قِيلَ: هُوَ مَائَةٌ الْكَرَمِ أَي

مَكَانٌ لِقَوْلِ الْقَائِلِ: إِنَّهُ الْكَرِيمُ.^١

و ذكر البيضاويّ في تفسيره أيضاً عبارة الزمخشريّ

نفسها و استشهد بيت لبيد؛ و من الواضح أنّ البيضاويّ

اقتبس من الزمخشريّ، لأنّ وفاة الزمخشريّ كانت في سنة

٥٣٨، و وفاة البيضاويّ في سنة ٧٩١. و كلاهما

١ «تفسير الكشاف» ج ٢، ص ٤٣٥، الطبعة الأولى في المطبعة الشرقية.

مُحْرِي وَ مُحْرَاة، وَ كَذَلِكَ مَقْمَنٌ وَ مَقْمَنَةٌ، وَ مَمَانٌ وَ مَمَانَةٌ بِمَعْنَى الْمَخْلَقَةِ وَ الْمَجْدَرَةِ. وَ إِذَا قِيلَ: هُوَ مَقْمَنٌ أَوْ مُحْرِيٌّ أَوْ مَمَانٌ لِكَذَا يَعْنِي جَدِيرٌ وَ خَلِيقٌ بِكَذَا.

احتمل أن المراد من المولى في الآية الشريفة: الناصر.
إلا أن كل واحد منهما جاء بمثال مستقل. فقال
الزمخشري: و يجوز أن يكون المراد: هي ناصركم، أي: لا
ناصر لكم غيرها؛ و المراد نفي الناصر حتماً. كما يقولون:
اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع؛ أي: ليس له معين غير
الجزع. و يجري على هذا قوله تعالى: {وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا يُعَاثُوا
بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ}.^١ و

و قال البيضاوي: أو أن معنى المولى الناصر على
طريقة قول العرب: «تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَ جِيعٌ».^٢
و قال الخازن في تفسير الآية: هي {مَوْلَاكُمْ}: أي
وليككم. و قيل: هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب [في
الدنيا]. [و يكون] المعنى: النار تلى عليكم، لأنها ملكت
أمركم، و أسلمتم إليها، فهي أولى بكم من كل شيء! و

١ الآية ٢٩، من السورة ١٨: الكهف.

٢ «تفسير الكشاف» ج ٢، ص ٤٣٥، الطبعة الأولى في المطبعة الشرقية.

قيل: معنى الآية: لَا مَوْلَىٰ لَكُمْ وَلَا نَاصِرَ، لأنّ من كانت النار مولاه، فلا مولى له.^١

كلام الفخر الرازي في معنى المولى والاولى

و على الرغم من أنّ الفخر الرازيّ يعترف بأنّ أحد معاني المولى هو الأوّلَى، إلّا أنه اقتفى نهجاً آخر، و قال: على هذا النهج، لا يتمّ استدلال الشريف المرتضى بالآية على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. و نذكر فيما يلي كلامه ثمّ ناقشه:

١ تفسير «أنوار التنزيل و أسرار التأويل» للبيضاويّ، طبعة مكتبة الجمهوريّة المصريّة، ص ٥٥٥.

قال: الآية الكريمة {مَا أَوَّاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ

بئس المصير} في لفظ المولى ها هنا أقوال:

أحدها: قال ابن عباس: مَوْلَاكُمْ، أي: مَصِيرُكُمْ. و

تحقیقة أن المولى موضع الولى. و الولى هو القرب.

فالمعنى: أن النار هي موضعكم الذي تقربون منه و

تصلون إليه.

الثاني: قال الكلبي: يعني: أَوْلَى بِكُمْ. و هو قول

الزجاج، و الفراء، و أبي عبيدة. و اعلم أن هذا الذي قالوه

معنى و ليس بتفسير اللفظ، لأنه لو كان مَوْلَى و أَوْلَى بمعنى

واحد في اللغة، لصح استعمال كل واحد منهما في مكان

الآخر. فكان يجب أن يُقال: هَذَا مَوْلَى مِنْ فُلَانٍ، كما يقال:

هَذَا أَوْلَى مِنْ فُلَانٍ. و كذلك يجب أن يقال: هَذَا أَوْلَى فُلَانٍ،

كما يقال: هَذَا مَوْلَى فُلَانٍ. و لما بطل ذلك، علمنا أن الذي

قالوه [للمولى] (الأولى) هو] معنى و ليس بتفسير.

و إنما نبهنا على هذه الدقيقة لأن الشريف المرتضى لما

تمسك في إمامة عليّ [عليه السلام] بقول رسول الله صلى

الله عليه و آله: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، قال: أحد

معاني مَوْلَى أنه أَوْلَى. و احتجّ في ذلك بأقوال أئمة اللغة في تفسير هذه الآية {هِيَ مَوْلَاكُمْ} بأن مَوْلَى معناه أَوْلَى. و إذا ثبت أنّ اللفظ محتمل له، و جب حمّله عليه. لأنّ ما عداه إمّا بيّن الثبوت ككونه ابن العمّ، و الناصر؛ أو بيّن الانتفاء كالمعتقّ و المعتق. فيكون على التقدير الأوّل عبثاً؛ و على التقدير الثاني كذباً. [انتهى كلام السيّد المرتضى].

[ثمّ قال]: و أمّا نحن فقد بيّنا بالدليل أنّ قول هؤلاء في هذا الموضوع: معنى لا تفسير؛ و حينئذٍ يسقط الاستدلال بالآية [: هي {مَوْلَاكُمْ} لإثبات مذهب السيّد المرتضى].

و في الآية وجه آخر. و هو أنّ معنى قوله هي

{مَوْلَاكُمْ}: أي لا مَوْلَى لَكُمْ، و ذلك لأنّ من كانت النار

مولاه فلا مولى له؛ كما يقال: نَاصِرُهُ الحِذْلَانُ وَ مُعِينُهُ

البُكَاءُ، أي: لا ناصر له.

و هذا الوجه متأكد بقوله تعالى: {وَ أَنَّ الكَافِرِينَ لا

مَوْلَى لَهُمْ}.^١ و قوله: {يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ}.^٢

كلام العلامة الاميني في معنى المولى عند رده على الفخر الرازي

و بعد أن عرض العلامة الأميني رحمة الله عليه أكثر

ما ذكرناه هنا عن الفخر الرازي، نقل كلاماً له عن كتاب

«نهاية العقول»، قال فيه: إنّ تصرّف الواضع في الألفاظ و

الكلمات ليس إلّا في وضع الألفاظ المفردة لا في وضع

الجمل التركيبية؛ مثلاً، وضع لفظ الإنسان لمعنى منظور،

و لفظ الحيوان لمعنى منظور آخر. فإذا نسبنا الحيوان إلى

الإنسان و قلنا: الإنسان حَيَوَانٌ فهذه النسبة ليست متعلّقة

بالوضع بل هي أمر عقليّ. لذلك لو كان للفظة المَوْلَى، و

١ الآية ١١، من السورة ٤٧: محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٢ الآية ٢٩، من السورة ١٨: الكهف.

لفظة الأولى معنى واحد من غير زيادة و لا نقصان،
لاستطعنا أن نضع أحدهما مكان الأخرى في تركيبات
الكلام. لأننا علمنا أن النسبة غير متعلّقة بالوضع، بل
الكلمات المفردة وحدها تتعلّق بالوضع. و لما كنّا لا
نستطيع أن نضع لفظة المَوْلى بدلاً عن الأولى أو العكس،
فلهذا ينبغي أن نقول: المَوْلى و الأولى لهما معنيان
مختلفان.^١

و قال أيضاً: و للرازيّ كلمة اخرى صعّد فيها و
صوّب في كتابه «نهاية العقول»، قال: إنّ أحداً من أئمّة
النحو و اللغة لم يذكر مجيء مَفْعَل

١ تفسير «مفاتيح الغيب» المشهور بـ «تفسير الفخر الرازيّ»، ج ٨، ص ١٣١.

الموضوع للزمان، أو المكان، أو الحدثان بمعنى
أفعل الموضوع لإفادة التفضيل.

و تبعه القاضي عَضُدُ الإيجيِّ في «المَوَاقِف»، و شاه
صاحب الهنديِّ في «التُّحْفَةُ الاثنا عَشْرِيَّة»، و الكابليِّ في
«الصَّوَابِق»، و عَبْدُ الحَقِّ الدهلويِّ في «اللَّمَعَات»، و
القاضي سَنَاءُ اللهِ البانيِّ پتي في «السَّيْفُ الْمَسْلُوك». و فيهم
من بالغ في إنكار مجيء صيغة مَفْعَل بدل أَفْعَل حتّى أسند
ذلك إلى إنكار أهل العربيّة.

إنّ أساس هذه الشبهة من الرازيِّ الذي ذكرها في كتبه
و لم يسندها إلى غيره. و قلده اولئك تقليداً أعمي حيثما
وجدوا طعنًا في دلالة الحديث على ما ترتأيه الإماميّة.

و بناءً على هذا الأصل، قال شاه وليّ الله صاحب
الهنديِّ في «التُّحْفَةُ الاثنا عَشْرِيَّة»: لا تتم دلالة حديث
الغدِير على الإمامة إلّا إذا جاء المَوْلى بمعنى الوَليِّ، بينما لم
تأت صيغة مَفْعَل بمعنى فَعِيل.

فهو يريد دحض ما نصّ به أهل اللغة على مجيء
المولى بمعنى الوَليِّ، و نحن نعلم أنّ المَوْلى بمعنى وَليِّ

الأمر قد استعمل في اللغة و المحاورات كثيراً إذ يراد به
وليّ المرأة، و وليّ اليتيم؛ و وليّ العبد، و ولاية السلطان، و
وليّ العهد، و أمثال ذلك.

استدلال العلامة الأميني على أن معنى المولى هو الأولى

لقد تصدّى العلامة الأمينيّ لدحض شبهات الرازيّ
بكلّ إصرار، و كان في صدد إرجاع المعنى الحقيقيّ و
الأصليّ لكلمة المَوْلى إلى الأَوْلى بِالشَّيْء. فهو يقول:
العجب كلّ العجب أن يعزب عن الرازيّ اختلاف
الأحوال في المشتقات لزوماً و تعدية بحسب صيغها
المختلفة. إنّ اتّحاد المعنى أو الترادف بين الألفاظ إنّما يقع
في جوهريّات المعاني لا عوارضها الحادثة من أنحاء
التركيب و تصاريف الألفاظ و صيغها. فالاختلاف

الحاصل بين كلمة المَوْلى، و كلمة الأَوْلى بلزوم
مصاحبة الثاني للباء فنقول: الأَوْلى به؛ و الأَوَّل متجرّد عن
الباء فنقول: المَوْلى. و هذا إنّما حصل من ناحية صيغة
أفعل من هذه الهادّة؛ كما أنّ مصاحبة من هي مقتضى تلك
الصيغة و نقول: أَوْلى بِهِ مِنْ فُلان. إِذَنْ فمفاد فُلان أَوْلى
بِفُلان و فُلانٌ مَوْلى فُلان واحد. حيث يراد به الأولى به من
غيره.

كما أنّ صيغة أفعل بنفسه يستعمل مضافاً إلى المثنى و
الجمع أو ضميرهما بغير أداة، فنقول: زَيْدٌ أَفْضَلُ الرَّجُلَيْنِ
وَ أَفْضَلُهُمَا؛ وَ أَفْضَلُ الْقَوْمِ وَ أَفْضَلُهُمْ. و لا يستعمل
كذلك إذا كان ما بعده مفرداً؛ فلا يقال: زَيْدٌ أَفْضَلُ عَمْرٍو.
بل نستعمله بالأداة فنقول: أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو.

و لا يرتاب عاقل في اتّحاد المعنى في الجميع. و هكذا
الحال في بقيّة صيغ أفعل كأعلم، و أشجع، و أحسن، و
أسمع، و أجمل، و نظائرها.

و دعم كلامه بما ذكره التفتازانيّ في «شرح المقاصد»،
و القوشجيّ في «شرح التجريد» إذ لم ينكر هذان الاثنان

مجيء المَوْلَى في الحديث بمعنى الأَوْلَى؛ و كذلك مير سيّد شريف الجرجانيّ في «شرح المقاصد» فإنّه حذا حذوهما في القبول؛ و زاد بأنّه ردّ بذلك مناقشة القاضيّ عضد بأنّ مَفْعَلًا بمعنى أفْعَل لم يذكره أحد، فقال: اجيب عنه بأنّ المَوْلَى بمعنى المُتَوَلَّى، و المَالِكِ لِلْأَمْرِ، و الأَوْلَى بالتَصَرُّف شائع في كلام العرب منقول من أئمة اللغة.

و ابن حجر في «الصواعق» ص ٢٤ على تصلّبه في ردّ الاستدلال بحديث الغدير، سلّم مجيء المَوْلَى بمعنى الأَوْلَى بالشّيء، لكنّه ناقش في متعلّق الأولويّة في أنه هل هي عامّة الامور، أو أنها الأولويّة من بعض النواحي؟ و اختار الأخير. و نسب فهم هذا المعنى من الحديث إلى الشيخين: أبي بكر، و عمر في قولهما لأمير المؤمنين عليه السلام: أَمْسَيْتَ

مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ.

و حكى الشيخ عبد الحق في «اللّمعات» هذا المعنى عن ابن حجر. و كذا حذا حدوه الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الشافعي في «ذخيرة المآل» عن ابن حجر فقال: التَّوَلَّى: الْوَلَايَةُ، وَ هُوَ الصَّدِيقُ وَ النَّاصِرُ وَ الْأَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ وَ الْقَرَبِ مِنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ}. وَ هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي فَهَمَهُ عَمْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ، فَإِنَّهُ لَمَّا سَمِعَهُ، قَالَ: هَنِئِئًا يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ! أَمْسَيْتَ وَ لِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ - انتهى كلام ابن حجر.

و نقل الشريف المرتضى عن أبي العباس المبرّد أنّ أصلَ يَا وَ لِيَّ، الَّذِي هُوَ أَوْلَى وَ أَحَقُّ، وَ مِثْلُهُ الْمَوْلَى.

و قال أبو نصر الفارابيّ الجوهريّ في «صحاح اللّغة» في مادّة وَ لِيَّ في شرح بيت لُبَيْدٍ، إِنَّهُ يَرِيدُ: أَوْلَى مَوْضِعٍ يَكُونُ فِيهِ الْخَوْفُ. وَ أَبُو زَكْرِيَّا الْخَطِيبُ الْتَبْرِيْزِيُّ فِي شَرْحِ «دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ» ج ١، ص ٢٢ فِي قَوْلِ جَعْفَرِ بْنِ عَلْبَةَ الْحَارِثِيِّ:

أَلْهَفِي بِقُرِّي سَحْبَلٍ

عدّ من وجوه معاني المولى الثمانية الوَلِيّ، و الأولي
بالشيء. و عن عمر بن عبد الرحمن الفارسيّ القزوينيّ في
«كَشَفِ الكَشَافِ» في بيت لُبَيْد: مَوْلَى المَخَافَةِ. أي: أوْلَى وَ
أُخْرَى بِأَن يَكُونُ فِيهِ الخَوْفُ. و عدّ سبط بن الجوزيّ في
«التذكرة» ص ١٩ الأولى من معاني المولى العشرة
المستندة إلى علماء العربيّة. و مثله ابن طلحة الشافعيّ في
كتاب «مَطَالِبُ السَّؤْلِ» ص ١٦، و ذكر الأوْلَى في طليعة
المعاني التي جاء بها الكتاب. و تبعه الشبْلَنْجِيّ في كتاب
«نُور الأَبْصَارِ» ص ٧٨ و أسند ذلك إلى العلماء. و قال
شارحا المُعَلَّقات السبع: عبد الرحيم بن عبد الكريم، و
رشيد النبي في بيت لُبَيْد: إنّه أراد بوليّ المَخَافَةِ: الأوْلَى
بالمَخَافَةِ.^١

أجل، يصرّ المرحوم الأمنيّ على أنّ الأصل اللغويّ
للمولى، الأوْلَى، و حتّى في بقيّة المعاني الستّ و العشرين
التي تحدّث عنها للمولى، نجده يبحث في كلّ واحدة منها

١ - ملخص لما يستتج من كلام الأمنيّ رضوان الله عليه في «الغدير» ج ١،
ص ٣٥١ إلى ٣٦٢.

و يرجعها على أنها بمعنى الأولى. بينما يصّر الفخر الرازي
و من تبعه على أنّ المعنى الأصلي للمولى ليس الأولى، و
أنّ صيغة مفعّل لم تأت بديلاً عن أفعال التفضيل. لذلك لا
يمكن أن نستدلّ بالحديث المأثور. **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ**
مَوْلَاهُ على الإمامة كما ذهب إليه الشريف المرتضى في
«الشافئ».

و اعتقد أنّ الأمر قد التبس على هذين العالمين كليهما
من خلال تضارب رأييهما. أمّا الفخر الرازيّ فإنّه، و إن
زعم أنّ المعنى الحقيقيّ

للمولى ليس الأولى، يَدَّ أنه يعترف باستعماله في
موضع الأولى. و حسب الإمامية هذا القدر من
الاستدلال. و لا استفاد من استدلال الشريف المرتضى
أيضاً أكثر من هذا. فهو يقول: أحد معاني المولى، الأولى.
و لما كانت بقيّة المعاني إمّا بيّنة الثبوت، أو بيّنة الكذب،
فالمعنى المراد و المقصود من هذا الحديث: الأولى. و
هذا الاستدلال صحيح.

و أمّا العلامة الأميني: فإنه يجعل المعاني الموضوعه
للمولى تصبّ في معنى الأولى. و لا دليل عندنا على أنّ
الأولى هو المعنى الموضوع له و الحقيقي للمولى، بل ورد
الدليل على خلاف ذلك. فلهذا لا حاجة إلى هذا
الاسلوب المسهب لإثبات عقيدة الإمامية. إنّنا نثبت
الولاية و الإمامة من حديث الغدير باسلوب بسيط، و
نجد أنفسنا في غني عن استشهادات الفخر الرازيّ بعدم
مجيء بعض الصيغ بديلة عن صيغ اخرى. و نحتاج هنا
إلى مقدّمتين لتوضيح هذا الموضوع:

المقدمة الأولى: إنَّ اختلاف الألفاظ و الصيغ

المتنوعة هو من أجل إفادة المعاني المتفاوتة، و إلا فإنَّ وضع الكلمات المختلفة و الصيغ المتباينة عبث لا طائل تحته. و في ضوء هذه الحقيقة يعتقد الكثيرون أن اللغة تخلو من الألفاظ المترادفة، و ما يبدو أنه مترادف، أو أن أهل اللغة ذكروه في كتبهم بوصفه مترادفاً، هو غير مترادف في الحقيقة. و لم يوضع لمعنى مشترك في جميع النواحي، بل لكل واحد من تلك المعاني خاصية وُضِعَ اللفظ لأجلها؛ و إن كان اللفظان أو الألفاظ المتعددة تشترك في الانطباق على المعاني المشتركة. فعلى سبيل المثال، يبدو أن الإنسان و البَشَر مترادفان، و قد وضعا لحقيقة معنى الإنسان، بَيَدَ أَنَّ البَشَرَ اطلق على الإنسان بسبب بَشَرته و جلده، في مقابل المَلَك و الجنّ اللذين لا بَشَرَة لهما. و أن الإنسان اطلق عليه لأنه كائن فيه انس أو نسيان فيما إذا اشتقَّ من الفعل أنَسَ أو

نَسِيَّ (نسيان). و من هذا المنطلق جاء في القرآن الكريم أنّ الأنبياء يخاطبون الناس قائلين لهم: إن نحن بشرٌ مثلكم، أي: لنا بشرة مثل بشرتكم. قال تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} ١. وقال: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ} ٢.

ذلك أنّ الكفار في هذه المحاورات كانوا ينكرون رسالة الرسول لأنها صادرة عن إنسان له جلد و بشرة، أي: طبيعي و مادّي. أو أننا نقرأ في القرآن الكريم أنّ مريم تخاطب الملك السماوي متعجبة من ولدٍ يكون لها، و هي الطاهرة التي لم يمسهها بشر. و النجيبه التي تجل عن البغاء! قال تعالى: {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا} ٣. ذلك أنّ شرط الحمل و الإنجاب هو أنّ يباشر المرأة إنسان له بشرة، لا أن يباشرها إنسان بنفسه الملكوتيّة.

١ الآية ١١، من السورة ١٤: إبراهيم.

٢ الآية ١١٠، من السورة ١٨: الكهف.

٣ الآية ٢٠، من السورة ١٩: مريم.

و في ضوء هذا الكلام، وضعت صيغة مَفْعَل
للحديث، أو للزمان، أو للمكان، و صيغة أَفْعَل لإفادة
التفضيل. و هذان معنيان مختلفان على الرغم من اشتراكهما
في أصل المعنى المشترك الذي اشتقا منه.

فلهذا قال الفخر: الخليل و أضرابه لم يذكروا معنى
الأولى في كتبهم.^١ و قال مير سيّد شريف في «شرح
المواقف»: لم يذكر أحد من أئمة اللغة مجيء صيغة مَفْعَل
بمعنى أَفْعَل. و قوله تعالى: {مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ
مَوْلَاكُمْ}، أي: مَقَرُّكُمْ وَ مَا إِلَيْهِ مَأْلُكُمْ وَ عَاقِبَتُكُمْ. و
لذلك قال في ذيلها:

{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.^٢

و يستفاد ممّا قيل أنّ كثيراً من التفاسير قد ذكرت إرادة
معنى الأولى من لفظ المَوْلى، بناءً على إيصال المعنى
بألفاظ تناسب المعنى الحقيقيّ لذلك اللفظ في كثير من
الجهات، و إن لم يكن معناها الحقيقيّ. و يُلاحظ هذا

١ «الغدير» ج ١، ص ٣٥٩.

٢ «شرح المواقف» للإيجي ص ٦١٢.

الاسلوب أيضاً في كثير من كتب اللغة التي لا تتطرق إلى المعاني الحقيقية فحسب، بل و تذكر مواطن استعمال الألفاظ معها أيضاً.

المقدمة الثانية: الحَمْل على قسمين: أوّلي ذاتيّ، و

شائع صناعيّ.

المراد من الحَمْل الأوّليّ اشتراك اسمين في مفهوم

واحد؛ أي: نريد أن نقول بأنّ المفهوم المحمول متّحد

مع المفهوم الموضوع، مثل: الإنسانُ حيوانٌ ناطقٌ إذ لا

تفاوت بين مفهوم الإنسان، و مجموع الحيوان الناطق.

و المراد من الحَمْل الصناعيّ اشتراك مفهومين في

مصادق واحد، أي: نريد أن نقول: يشترك المفهوم

المحمول مع المفهوم الموضوع في المصادق و التحقق

الخارجيّ، و إن كان ذانك المفهومان لا يشتركان معاً،

مثل: زيدٌ إنسانٌ، و زيدٌ قائمٌ. فمفهوم الإنسان اتّحد مع زيد

في الخارج. و يصدق المفهومان على هذا الموجود

الخارجيّ. و اتّحد مفهوم «قائم» مع «زيد» أيضاً. و بناءً على

ذلك، فإنّ هذا الموجود الخارجيّ ينطبق عليه المفهومان
«قائم» و«زيد».

و بعد أن استبانّت هاتان المقدمتان نقول: لا ريب أنّ
مفهوم صيغة مَفْعَلٍ يختلف عن مفهوم صيغة أَفْعَلٍ
التفضيل؛ و لكنّها كثيراً ما يتحدان في المصداق. و على
هذا، إذا قلنا: فُلَانٌ مَوْلى فُلَانٍ، و أردنا من المولى أَفْعَلٍ
التفضيل، صحّ الحمل الشائع الصناعيّ هنا، و إذا قلنا:
المَوْلى هو

الأوّلَى، صحّ الحمل الشائع أيضاً.

و إذا قلنا: فُلَانٌ لَيْسَ مَوْلى فُلَانٍ، و كان المراد من

المَوْلى أفعال التفضيل، صحّ الحمل الشائع أيضاً. و كذلك

إذا قلنا: المَوْلى لَيْسَ الأوّلَى، فلا يصحّ الحمل الشائع، بل

يصحّ الحمل الأوّلَى، ذلك أنها ليسا متّحدي المفهوم. كما

أنّ قولنا: زَيْدٌ لَيْسَ بِقَائِمٍ لا يصحّ على الحمل الشائع، و

يصحّ على الحمل الأوّلَى؛ عند ما يكون زيد قائماً في الخارج.

استبان ممّا عرضناه أنّ كلّاً من الفخر الرازيّ، و

العلامة الأمينيّ في زاوية واحدة من البحث، و يثبتان شيئاً

لا ينبغي لهما أن يثبتاه؛ و ينفيان شيئاً لا ينبغي لهما أن ينفياه.

يقول الفخر الرازيّ: المَوْلى لَيْسَ الأوّلَى. و هو أمرٌ

صحيح بحسب الحمل الأوّلَى الذاتيّ، بيد أنه غير صحيح

بحسب الحمل الشائع؛ لأننا لا نعزم إثبات الاتّحاد بين

مفهوميهما. بل نطلب الاتّحاد الوجوديّ في الخارج لمثل

قولهم: زَيْدٌ انْسَانٌ؛ و هذا المعنى يتمّ بالحمل الشائع أيضاً،

لأنّ الاتّحاد المصدقيّ و الخارجيّ لمعنى المَوْلى مع معنى

الأوّلَى يكفي لإثبات الولاية. بيد أنّ الفخر الرازيّ يريد أن

يستنتج عدم الائتّاح بين المصداقين من عدم الائتّاح بين
المفهومين؛ و لذلك ظنّ تمسّك الشريف المرتضى باطلاً.
و هذا الكلام خاطئ.

يقول العلامة الأميني: المَوْلى هُوَ الأَوْلى. و هذا
صحيح بحسب الحمل الشائع الصناعي، و لكنّه غير
صحيح بحسب الأَوْلى الذاتي، لعدم الائتّاح بين
مفهوميهما. و حسبنا الائتّاح المصداقي. بيد أنّ العلامة
الأميني يريد أن يستنتج الائتّاح بين المصداقين من الائتّاح
بين المفهومين، و يقول: لما كان المفهومان شيئاً واحداً،
فمفهوم الأولويّة ينطبق على الإمام عليّ عليه السلام في
الخارج. و هذا خطأ، لأننا في غنى عن الائتّاح المفهومي
من

أجل الأئمة المصداقيّ. دع المفهومين: المَوْلى، و
الأوّلَى يتباينان فيما بينهما، و اسم المكان يتفاوت مع أفعل
التفضيل، و لكن بعد الأئمة المصداقيّ، و الحمل الشائع،
و انطباق معنى الأوّلَى على عليّ عليه السلام في الخارج بعد
عدم إمكان انطباق المعاني الأخرى المذكورة للمَوْلى،
فإنّ الإمامة تثبت للإمام عليه السلام؛ و لا مناص
لمنكري الولاية من الإقرار بذلك.

و استبان ممّا عرضناه إلى الآن أنّ حقيقة لفظ المَوْلى
عند العلامة الأمينيّ بمعنى الأوّلَى بالشيء، و لكنّ
حقيقتها عند الحقيّر أنّها اسم مكان لموضع فيه حقيقة
الولاية. و الولاية - كما بيّناها مراراً - ارتفاع الحجاب بين
شيئين بحيث لا يفصل بينهما ما ليس منهما. و كافّة المعاني
المذكورة للمَوْلى، و الوَلِيّ، و الأوّلَى، و غيرهما هي بواسطة
هذا المعنى الذي يستعمل في كلّ مصداق من المصداق
عبر انطباق هذا المعنى عليه. وَ أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا وَليُّ اللَّهِ؛
أي: أشهد أنّ عليّاً قد بلغ درجة، و تسنّم منزلة ارتفع فيها
الحجاب بينه و بين الله في مقام العبوديّة المحضّة، و هذا

هو معنى الولاية الكاملة، وهذا هو معنى العبودية التامة.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلَايَتِهِ. وفي هذا المقام تقع
الولاية التي تمثل مظهر تجلي جميع الصفات و الأسماء
الإلهية الكلية، و منشأ ظهور الجمال و الجلال، مرآة و آية
عظيمة لا تُظهر نفسها بل تُظهر الله، فهي تقتبس من الله،
و تفيض على ما سوى الله.

و هنا جرى بيت العارف الكامل ابن الفارض
المصريّ على لسانه بلا اختيار.

حكاية عرض أمير المؤمنين عليه السلام على الناس كعرض يوسف على نسوة مصر

و ما أروع أن ننقل هنا القصة التي ذكرها شيخ
التفسير: أبو الفتوح الرازيّ أعلى الله تعالى مقامه الشريف:
«ثمّ أوماً إلى أمير المؤمنين عليّ، و دعاه، و رقى ذلك
المنبر و هو معه، و أخذ بعضديه، و رفعه، و عرضه على
الناس كما تعرض العروس حتى رأى الناس بياض
إبطيهما. و كان صامتاً ساعةً. و نُقل أنّ الشبليّ دنا من أحد
العلويّين المعروفين يوم الغدير، و هنّاه، ثمّ قال له: يَا

سَيِّدِي! هل تعلم السرّ من أخذ جدّك يدَ أبيك و رفعها
دون أن يتكلّم؟! قال: لا أعلم.

قال: كانت إيباءة إلى أنّ النسوة اللّائي جهلنَ بجمال
يوسف، فَلَمَنَ زليخا، و قلن: {امْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.
فأرادت أن تريهنّ شيئاً من جمال يوسف، فصنعت لهنّ
وليمة و دعتهنّ إليها. و لَمَّا جئنها، أجلستهنّ في بيت ذي
بابين؛ و ألبست يوسف قميصاً أبيض و قالت له: ادخل
من هذا الباب و اخرج من ذلك الباب لأجلي! و قالت
لهنّ: اريد أن اريكنّ مَن احبّ مرّة واحدة، و أرجو منكنّ
أن تبررنه لأجلي!

قلن: ماذا نصنع؟! قالت: آتي كلّ واحدة منكنّ سكّيناً
و اترجّجاً؛ فإذا خرج عليكنّ، فلتأخذ كلّ واحدة منكنّ
قطعة من اترجّجها و تعطّيها إيّاه! قلن: نفعل. و لَمَّا خرج و
وقع بصرهنّ على جماله، أردن أن يقطّعن الاترج، فقطّعن
أيديهنّ انبهاراً و ذهولاً. و لَمَّا انصرف، قلن: {حَاشَ لِلَّهِ
مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}.

قالت: رأيتنَّ! {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ}.

فكذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أوماً و قال:

ذلك الرجل الذي لو قلتُ في حقِّه شيئاً، لما راق لكم، و

للمتموني فيه. فانظروا اليوم ما ذا يقول الله تعالى في حقِّه؟

و أين يضعه؟ و ما هي المنزلة التي يتحفه بها؟ ثمَّ

قال: أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟!!

قَالُوا: بَلَىٰ. قَرَّرَهُمْ فَأَقْرَبُوا. وَلَمَّا أَقْرَبُوا كَلَّمَهُمْ، قَالَ عَلِيٌّ

الْفُور: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ

وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَ اخذْ مَنْ

خَذَلَهُ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟! قالوا: بلى.

قال: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيَّهِمْ. إلى آخر القصة.^١

و قد أنشد جلال الدين الرومي في هذا المجال قائلاً:

الحديث «أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» مفسر لمعنى المولى أيضاً

الثاني: الشاهد و الدليل على أنّ المراد من المولى في

حديث الغدير، الإمامة و الولاية الكلّية، قول رسول الله

صلّى الله عليه و آله قبل عرض هذه الفقرة من الخطبة، إذ

١ تفسير «روح الجنان و روح الجنان» المشهور بـ «تفسير أبي الفتوح الرازي» ج

٢، ص ١٩٢، طبعة مظفري.

خاطب الناس و سأهم بأسلوب الاستفهام التقريري: أ
لَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قالوا: بلى. و على هذا
الأساس فرّع كلامه قائلاً: **فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ.**
و لَمَّا كَانَتْ عبارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: **أَلَسْتُ أَوْلَى**
بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نتيجة متفرعة عن الآية القرآنية الكريمة:
{التِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}.^١ التي تبين أن
ولاية النبي على المؤمنين أكثر من ولايتهم على أنفسهم؛
و هذه الولاية تعني بلا شك الأولوية من جميع الجهات
الروحية و المادية، و الظاهرية و الباطنية، و الدينية و
الدنيوية؛ فعلى هذا، فإن المراد من الاستفهام التقريري
الذي أثاره رسول الله بقوله: **أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ** هو هذا
الضرب من الولاية. و في ضوء ذلك، فإن الولاية المعطاة
لأمير المؤمنين في كلامه: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ.**
ستكون هذه الولاية نفسها.

١ فابتهجوا أيها المؤمنون، و ارفلوا بالحرية كالسرو و السوسن.

الآية ٦، من السورة ٣٣: الأحزاب.

هذه الجملة الاستفهامية لرسول الله كحديث الولاية
نفسه، ذكرها علماء الشيعة قاطبة، و ذكرها أيضاً أعلام
أهل السنة و حفاظهم، مثل: أحمد بن حنبل، و الترمذي، و
ابن ماجة، و النسائي، و الطبري، و الطبراني، و أبي حاتم،
و الدارقطني، و الذهبي، و الحاكم، و أبي نعيم، و الثعلبي،
و البيهقي، و الخطيب، و الحسكاني، و ابن المغازلي، و
السجستاني، و الخوارزمي، و ابن عساكر، و البيضاوي، و
ابن الأثير، و أبي الفرج، و التفتازاني، و الحموي، و
الكنجي، و الإيجي، و ابن صباغ، و ابن حجر،

و السيوطي، ذكرها هؤلاء و كثيرون غيرهم في كتبهم. و قد أحصى أسماء هؤلاء الأعلام من أهل السنة العلامة الأميني في أربعة و ستين شخصاً.^١

و في ضوء ذلك، فإن هذه المقدمة الاستفهامية نفسها قد بلغت وحدها حد التواتر، و كثير من صحابة النبي صلى الله عليه و آله الذين رووا حديث الولاية، نقلوا هذه المقدمة معه.

و نقول الآن: المراد من المولى في حديث الولاية، الأولى في مقدمة هذه الخطبة عبر الاستفهام الذي أثاره رسول الله. و بعبارة اخرى فإن قوله: **أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ** و قوله: **فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** ذوا معنى واحد، و إلا لانفصلت الجملة الاولى عن الثانية، و أصبحت بلا مغزي، و سقطت عن درجة البلاغة.

و الشاهد على هذا الموضوع هو أن كثيراً من الأعلام الذين نقلوا الحديث - كما رأينا في تضاعيف الكلام ضمن الدروس السابقة - نقلوه بهذه العبارة، و هي أن رسول الله

^١ «الغدير» ج ١، ص ٣٧١.

قال بعد طرحه السؤال: **أَلَا فَمَنْ كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**،
وهذه الجملة تشعر بالارتباط بين الجملتين الاستفهامية و
الإخباريّة اللتين قالهما رسول الله.

يقول الحافظ أبو الفرج يحيى بن سعيد الثقفي
الإصفهاني في كتاب «مَرَجُ الْبَحْرَيْنِ» بعد نقل المقدمات
المتعلّقة بخطبة الغدير: أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ: **مَنْ كُنْتُ وَلِيًّا وَ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ
فَعَلِيٌّ وَ لِيٌّ**.

و يقول سبط بن الجوزي بعد ترجمته معنى الأولى في
حديث الغدير: المراد من المَوْلى في الحديث الطاعة
المحضة المخصوصة،

و الأُولَى، فيكون المعنى: مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ

فَعَلِيٍّ أَوْلَى بِهِ.^١

و يقول ابن طلحة الشافعيّ: يرى جماعة أنّ المراد من

الحديث، الأولوية.^٢

«اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ» مؤيد لاستنباط معنى الإمامة من كلمة المولى

و نستخلص ممّا عرضناه عدم صحّة ما قاله بعض

العامة من أنّ دلالة تقديم **أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ،** على **مَنْ كُنْتُ**

مَوْلَاهُ على الولاية التامة و الإمامة تتمّ عند ما لا يستتلي

الحديث دعاءً رسول الله: **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ**

عَادَاهُ. و هذا الدعاء الدالّ على موالاته أولياء عليّ. الوارد

بلفظ «**وَالِ**» يفيدنا أنّ المراد من المَوْلَى، المحبّ أيضاً. و

حينئذٍ لا تتمّ دلالة الحديث على الولاية.

فهذا الاستدلال غير صحيح لأنه يستند على أنّ

المراد من قوله: **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ،** المحبّة أو النصرة.

و ليس كذلك، بل المراد هو المعنى الحقيقيّ للولاية.

١ «تذكرة الخواصّ» ص ٢٠.

٢ «مطالب السّئول» ص ١٦.

فمعنى **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ**: اللهم تَوَلَّ مَنْ يلتزم بولاية
علي! و تعهد من انضوي تحت لواء عليّ بالرعاية و الحماية!
و قم بأمر من جعل عليّاً وليّ أمره! لأننا قلنا إنّ الولاية
تعني رفع الحجاب، و يستعمل لفظ المَوْلى و الوليّ بالنسبة
إلى الطرفين. و يقع تصريف الفعل في كلا الطرفين أيضاً.
و كلمة «وَالِ» و هي فعل أمر تعني تعهد بأمر الولاية، و
«وَالَاهُ» و هي صيغة الفعل الماضي تعني: انضوي تحت
ولايته.

فهذه الفقرة من دعاء رسول الله، مضافاً إلى أنها لا
تتنافي مع الولاية في المقدمة و الحديث، فهي تؤيدها و
تسددها.

ذلك لأنها أوّلا: أوجبت ولاية عليّ على جميع الناس
بصيغة

العموم، ودعت الجميع إلى أتباعه و طاعته. و هذا
المعنى ينسجم مع الولاية، لا مع المحبة أو النصره.
و ثانياً: أمرت الناس كافة بالمؤازرة و المعاوضة
حتى يتيسر رفع العقبات التي تعترض إمامته و ولايته، و
ذلك بغية ترسيخها. و من المعلوم أن الإمامة منصب
عام يحتاج إلى مؤازرة الناس و طاعتهم؛ و إلا فإن المحبة
و النصره لا تحتاج عموميتها إلى كل هذا التأكيد و
الإصرار.

و ثالثاً: يمكن الاستدلال بهذه الفقرة على عصمته
عليه السلام، لأن دعوة الناس عامتهم بلا قيد و شرط إلى
لزوم التّوّليّ و النصره، و البراءة من الأعداء، و من الخذلان
و عدم الاهتمام بالأوامر و النواهي، لا معنى لها بدون
تحقق معنى العصمة و حقيقتها.

و يستبين ممّا عرضناه أن جعل قوله: **وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ.**
عدلاً و قرينةً لقوله: **وَإِلِ مَنْ وَآلَاهُ** ليس دليلاً على معنى
المحبة و النصره من كلمة: **وَإِلِ مَنْ وَآلَاهُ**، لأن من لوازم
عدم الولاية و البعد- طبعاً- ظهور الخصومة و العداء.

ناهيك عن أنّ كلّ جملة من الجمل المأثورة: **مَنْ كُنْتُ**

مَوْلَاهُ فَعَلِيٍّ مَوْلَاهُ، وَاللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ مستقلة وحدها،

ولها معنى خاصّ بها، و على فرض أنّ المراد من قوله:

وَالِ مَنْ وَالَاهُ، المحبّة و النصره، فإنّ ظهور قوله: **مَنْ**

كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٍّ مَوْلَاهُ على الولاية الكلّية و الإمامة

بخاصّة مع تفرّيع قوله: **أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟**

ثابت في حدّ نفسه، و لا محلّ للتشكيك في حجّية

الظهورات في المحاورات و الكلمات.

دلالة شواهد الخطبة على معنى الإمامة المتخذة من لفظ المولى

الشاهد و الدليل الثالث، العبارات الواردة في الخطبة،

فكلّ واحدة منها تدلّ وحدها على أنّ المراد من كلمة

المولى، الإمامة. و على هذا فكلّ واحدة منها قرينة للمعنى

المنظور.

منها، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا النَّاسَ إِلَى
اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ. وَأَطْلَقَ عَلَى هَذَيْنِ الْاِثْنَيْنِ: الثَّقَلَيْنِ
(وَالثَّقَلُ يَعْنِي كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ) وَذَكَرَ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ قَالَ فِيهِمَا: **فَلَا تُقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا! وَ لَا
تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا!** أَلَيْسَ فِي التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمَا، وَالْقَصُورِ
عَنْهُمَا مَعْنَى يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ غَيْرَ الْمَعْنَى الْوَارِدِ فِي مَوَاطِنِ
الطَّاعَةِ وَ لَزُومِ الْاِتِّبَاعِ ككِتَابِ اللهِ؟ وَ لَزُومِ الطَّاعَةِ مِنْ آثَارِ
الْإِمَامَةِ.

و منها، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ
مِنَ النَّاسِ الْإِقْرَارَ وَ الْاِعْتِرَافَ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَ رِسَالَتِهِ، جَعَلَ
وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْتَبَةً عَلَيْهَا مَبَاشَرَةً. وَ
مِنَ الْوَاضِحِ الْبَيِّنِ أَنَّ اقْتِرَانَ الْوَلَايَةِ بِرِسَالَةِ الرَّسُولِ، وَ
تَوْحِيدِ اللهِ لَا يَعْنِي شَيْئاً آخَرَ غَيْرَ الزَّعَامَةِ وَ الْإِمَامَةِ. قَالَ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! بِمَ تَشْهَدُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ! قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟! قَالُوا: وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ! قَالَ:
فَمَنْ وَلِيُّكُمْ؟! قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مَوْلَانَا.**

و ضرب بيده يؤمئذٍ على عضد عليّ، فرفعها، و قال:

مَنْ يَكُنِ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ.

إنَّ إلقاء نظرة خاطفة على هذه العبارات يبيّن لنا
بجلاء أنّ ولاية عليّ هي ولاية الله و رسوله بنفس المعنى
و المفاد، و لا تنفصل عنها أبداً. و لا يُتصوّر معنى آخر
غير هذا؛ و إلاّ فالعبارة لغو، و الكلام هراء.

و جاء في عبارة مأثورة عن أحمد بن حنبل قال فيها:

فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟

قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ!

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَ أَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَا أَوْلَى بِهِمْ

مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. و كرّر الجملة

الأخيرة ثلاث مرّات، و في

رواية أحمد ابن حنبل، أربع مرّات.

أجل، إنّ اقتران الولاية و وحدتها، و اتّحاد سنخيّة الإمارة و الأولويّة بين ولاية رسول الله و ولاية أمير المؤمنين عليهما أفضل الصلوات و التحيّات في هذه الفقرات من الخطبة بديهيّ، و لا يحتاج إلى التفكير و التأمل.

و منها، أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال في بداية الخطبة: **كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ. أَوْ: يُوشِكُ أَنْ ادْعَى فَاجِيبَ.**
أَوْ: أَلَا وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَفَارِقَكُمُ. أَوْ: يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَاجِيبَ.

و هذا النمط من الكلام يشعر أنّ أمراً مهمّاً للغاية لم يُبلِّغ، و أنّ النبيّ كان يخشى أن يأتيه الموت، و لم يبادر إليه فيبقي دين الله ناقصاً و رسالته غير تامّة.

و نحن لا نلاحظ في هذه الخطبة إلّا الوصيّة بالعترة الطاهرة، و نصب أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المُصلّين. و لم تضمّ تعليماً آخر. و من المعلوم أنّ ذلك الأمر المهمّ- الذي يخشى من عدم المبادرة إليه قبل

حلول الأجل - ليس إلا الولاية. و على هذا، فهل يمكن أن نفترض لهذه الولاية الواردة في الخطبة معنى آخر غير الإمامة و الحكومة التي تمثل الامتداد الطبيعي لإمامة رسول الله و إمارته. و نقول: إنَّها المحبَّة و النصره، مع وجود هذا القلق الذي كان يعانية رسول الله؟ حاشا و كلاً.

و منها، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ: **وَ لِيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**. فلو كان المراد من الولاية النصره أو المحبَّة. مع فرض لزوم هذين الأمرين على المؤمنين، المستفاد من الكتاب و السنَّة، فما معنى التأكيد على ضرورة إيصالها للغائبين؟ إذن، يستبين لنا أنَّ هذه الرسالة رسالة جديدة و مهمَّة يتوجب على الشاهد إبلاغها الغائب.

بخاصّة و نحن نقرأ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَشْهَدَ اللهُ

بعد الإبلاغ، فقال: **اللَّهُمَّ أَنْتَ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ أَنِي قَدْ بَلَغْتُ**

وَ نَصَحْتُ! و إشهاد الله على هذا الأمر الذي تكرر في هذه

الخطبة: **اللَّهُمَّ أَشْهَدُ، اللَّهُمَّ أَشْهَدُ** دليل على أن أمراً جديداً

قد حدث ذلك اليوم، و لم يكن قبله شيئاً مذكوراً.

و منها، قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي عَقْبِي

الحديث: **اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وَ إِتْمَامِ النِّعْمَةِ، وَ رِضَا**

الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَ الْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَعْدِي.^١

و جاء في رواية مأثورة عن شيخ الإسلام الحمويّ

قوله: **اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى تَمَامِ نُبُوَّتِي وَ تَمَامِ دِينِ اللَّهِ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ**

بَعْدِي. و منها قول رسول الله بعد الفراغ من الخطبة:

هَنْئُونِي! هَنْئُونِي! إِنَّ اللَّهَ خَصَّنِي بِالنُّبُوَّةِ وَ خَصَّ أَهْلَ بَيْتِي

بِالإِمَامَةِ!

^١ «فرائد السمطين»، ج ١، ص ٧٤، ح ٤٠؛ و «شواهد التنزيل»، ج ١ ص ١٥٧.

رواها بسنده عن الخوارزميّ متّصلاً عن أبي هارون العبديّ، عن أبي سعيد

الخدريّ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و صريح العبارة إمامة أهل البيت، و في طليعتهم عليّ
بن أبي طالب عليه السلام. و من المعلوم أنّ عقد الاجتماع
يومئذٍ، و نصب خيمة مستقلة لتقديم التهاني و التبريكات،
و جلوس الإمام صلوات الله عليه في تلك الخيمة بوصفه
أمير المؤمنين، و مفزع الناس، و أمر المؤمنين بالذهاب
إلى تلك الخيمة و تقديم التهاني، و إرسال النبيّ صلى الله
عليه و آله زوجاته إليه لتقديم التبريكات و التهاني، كلّ
اولئك دليل على تخويل الإمام منصب الإمارة و الإمامة و
الولاية.

فلهذا رأينا الشيخين: أبي بكر، و عمّر لما التقيا الإمام

قاما بتهنئته

بالولاية، و كلّ منها يقول: **بَخِّ بَخِّ لَكَ يَا بَنَ أَبِي**

**طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ وَ أَمْسَيْتَ مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ
مُؤْمِنَةٍ.**^١

و منها، جاء التعبير عن الموقف يوم الغدير في
أحاديث جمّة بلفظ النَّصْب، فقال رسول الله ما مضمونه:
أمرني ربّي أن أنصب لكم إمامكم. و ورد لفظ النَّصْب في
كثير من طُرُق الحديث مقروناً بلفظ الولاية أيضاً، و
جاءت الولاية بوصفها نصباً، و في ذلك دلالة على درجة
تكون الحكومة مطلقة فيها لجميع أفراد الامّة، و هذا هو
معنى الإمامة الملازم للألويّة في الشؤون المتعلقة
بالامّة.

١ «فرائد السمطين» ج ١، ص ٦٥، الباب ٩، الرواية ٣٠ و ٣١، و ص ٧١
الباب ١١، الرواية ٣٨، ص ٧١، و ص ٧٧ الباب ١٣، الرواية ٤٤؛ و «شواهد
التنزيل» ج ١، ص ١٥٧، الرواية ١٢٠، و ص ١٥٨، الرواية ٢١٣؛ و «تاريخ
ابن عساكر» ج ٢، ص ٤٨، الرواية ٥٤٦ و ٥٤٧، و ص ٧٦، الرواية ٥٧٧ و
ص ٧٨، الرواية ٥٧٨، و ص ٧٦، الرواية ٥٧٥. و جاء في بعض روايات ابن
عساكر: "أصبحت مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ".

و يتبيّن هذا اللفظ درجة جديدة لأمر المؤمنين عليه السلام من الله بها عليه في ذلك اليوم، ولم يسبق بها. ولا يمكن أن تكون هذه الدرجة المحبّة والنصرة. فقد كانت هذه الدرجة موجودة منذ القديم، وهي واضحة بصورة عامّة لجميع أفراد المسلمين.

إنّ لفظ النّصب في موارد الإقامة هو لأمر الحكومة و تقرير الولاية. مثلاً يقولون: نصب السلطان فلاناً واليا و حاكماً على المحافظة الفلانيّة. و لا يقولون: نصبه محبباً، أو ناصراً، أو محبوباً، أو منصُوراً، و أمثال ذلك من العناوين التي يشترك فيها أفراد المجتمع كافّة. و هذا هو مقام الخلافة و الإمامة و الوصاية و القيام بالامور، الذي نصب رسول الله فيه علياً بأمر الله.

روى شيخ الإسلام الحَمُوئي بسنده عن سُليم بن
 قيس الهلاليّ، قال: رأيت عليّاً عليه السلام في مسجد
 رسول الله صلّى الله عليه [وآله] في خلافة عثمان رضي الله
 عنه و جماعة يتحدّثون و يتذاكرون العلم و الفقه و
 الحديث. ثمّ ذكر الحديث مفصّلاً حتى بلغ قوله: «قام زيد
 بن أرقم، و البراء بن عازب، و سلمان، و أبو ذرّ، و المقداد،
 و عمّار، و قالوا: نشهد لقد حفظنا قول النبيّ صلّى الله عليه
 و آله و هو قائم على المنبر و أنت إلى جانبه و هو يقول:
**"يا أيّها النّاس! إنّ الله عزّ و جلّ أمرني أن أنصب لكم
 إمامكم و القائم فيكم بعدي و وصيي و خليفتي، و الذي
 فرّض الله عزّ و جلّ على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرّنه
 بطاعته و طاعتي، و أمركم بولائيته. و إنّي راجعت ربّي
 خشية طعن أهل النفاق و تكذيبهم فأوعدني لأبلغها (ظ)
 أو ليعدّني".**^١

و روى السيّد علي شهاب الدين الهمدانيّ عن عمّار بن
 الخطّاب أنه قال: نصّب رسول الله صلّى الله عليه [وآله]

^١ «فرائد السمطين» ج ١، ص ٣١٥ و ٣١٦، الباب ٥٨، الحديث ٥٠.

وَسَلَّمَ، عَلِيًّا عَلَمًا، فَقَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ،
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ،
وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ شَهِيدِي عَلَيْهِمْ".^١

و منها، أن ابن عباس قال بعد فراغ النبي من خطبته:

وَجَبْتُ وَاللَّهِ فِي رِقَابِ الْقَوْمِ.^٢

إذا كان المراد من الولاية المحبة أو النصرة، فهل
يمكن أن نتصور وجهاً لكلام ابن عباس؟ ذلك أن أيّاً من
النصرة والمحبة لا يحتاج إلى

^١ كتاب «مودة القربى»، حسب نقل «ينابيع المودة» ص ٢٤٩، طبعة إسلامبول.

^٢ «كشف الغمة» علي بن عيسى الإربلي، ص ٩٤.

الوجوب في الرقاب، بيد أن منصب الإمامة و الخلافة
المستلزم للإمارة و الحكومة يجب في رقاب من يريد
التنصل من المسؤولية، و عدم الانضواء تحت لواء تلك
الحكومة.

القصيدة الكوثريّة للسيد رضا الهندي

و إذ نصل الآن إلى ختام البحث في معنى المولى في
حديث الغدير، أرى من المناسب جداً أن أذكر قصيدة
المرحوم السيد رضا الهنديّ المعروفة بالقصيدة
الكوثريّة، و نتوسّل إلى الله بركات النفس النفيسة لرسول
الله صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين سلام الله عليه، و
نستمدّ من تينك الروحين المقدّستين اللتين هما أعلى من
روح القدس. و نطلب من الذات الأحديّة الخير و الرحمة
لرفع عقبات السير، و طيّ درجات القرب من ذينك
العظيمين.

تضمّ هذه القصيدة أربعة و خمسين بيتاً، موضوع
الآيات الأربعة و العشرين الأولى التوسّل برسول الله، و

سائر الأبيات في التوسّل بأمر المؤمنين، و ذكر محامد و
مناقب و فضائل ذلك الدرّ الثمين لعالم الإمكان:

فَاُصْدَعُ بِالْأَمْرِ فَنَاصِرُكَ التَّبَارُ

بحث في القصيدة الكثرية

أقول: المعروف بين العلماء أنّ هذه القصيدة كلّها

منظومة في

أمير المؤمنين عليه السلام. بَيَدَ أَنِي أَرَى أَنَّ الْأَبْيَاتِ
الْأَرْبَعَةَ وَالْعَشْرِينَ الْأُولَى مِنْهَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ. فَالْبَيْتِ الْأَوَّلِ:

لا يَنَاسِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَخَاطَبُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامِ. وَ الشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ:

أَوَّلًا: نَقَلَ جَمِيعُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ وَ أَلِهِ كَانَ مُفَلِّجَ الْأَسْنَانِ، أَي: أَسْنَانَهُ الْأَمَامِيَّةَ
مُتَفَارِقَةً.

ثَانِيًا: ذَكَرَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي قَوْلَهُ تَعَالَى:

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}

وَالْمَخَاطَبُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ.

ثَالِثًا: قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَشَرَ:

وَالنَّبُوَّةُ لِرَسُولِ اللَّهِ.

رَابِعًا: قَالَ فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ عَشَرَ:

و هذا الاحمرار بسبب الحياء، و قد عدّ المؤرّخون من صفات رسول الله، قالوا: وَهُوَ رَجُلٌ حَيٌّ. و كذلك سائر الأبيات فإنّها تناسبه.

و يواصل الشاعر قصيدته في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْبَيْتِ الْخَامِسِ وَ الْعَشْرِينَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

و هذا البيت و ما يليه من الأبيات حَتَّى آخِرِ الْقَصِيدَةِ قَدْ نَظَمَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ الْحَقُّ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ أَجَادَ وَ أَجْمَلَ كَثِيرًا.

و نقل أنّ هذه القصيدة فازت بالجائزة الاولى في المسابقات الشعرية

التي اقيمت في العراق لمدح أمير المؤمنين عليه
السلام. وَ لِكُلِّ بَيْتٍ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ. رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً
وَ حَشَرَهُ مَعَ مَوَالِيهِ بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

روى ابن عساكر بسنده عن عمّار الدّهنيّ، عن أبي
فاخته، قال: أَقْبَلَ عَلِيٌّ وَ عُمَرُ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، فَلَمَّا رَأَهُ
عُمَرُ تَضَعَضَعَ وَ تَوَاضَعَ وَ تَوَسَّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ. فَلَمَّا قَامَ
عَلِيٌّ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّكَ تَضَعُ بِعَلِيٍّ
صَنِيعاً مَا تَضَعُهُ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ! قَالَ عُمَرُ: وَ مَا
رَأَيْتَنِي أَضَعُ بِهِ؟! قَالَ: رَأَيْتَكَ كُلَّمَا رَأَيْتَهُ تَضَعَضَعْتَ وَ
تَوَاضَعْتَ وَ أَوْسَعْتَ حَتَّى يَجْلِسَ! قَالَ: وَ مَا يَمْنَعُنِي وَ اللّهِ
إِنَّهُ لَمَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ^١.

و جاء في كتاب «الفتوحات الإسلامية»: حكم عليّ بن
أبي طالب مرّة على أعرابيّ بحكم، فلم يرض بحكمه.

١ «تاريخ دمشق»، ج ٢، ص ٨٢، الحديث ٥٨٢.

فتلبّبه^١ عمر بن الخطّاب و قال له: وَيْلَكَ! إِنَّهُ مَوْلَاكَ وَ
مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ.^٢

و أخرج الطبرانيّ أنه قيل لعمر: إِنَّكَ تَصْنَعُ بِعَلِيٍّ - أَي
مِنَ التَّعْظِيمِ - شَيْئاً لَا تَصْنَعُ مَعَ أَحَدٍ مِّنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ! فَقَالَ: إِنَّهُ مَوْلَايَ.^٣

١ «الفتوحات الإسلامية»، ج ٢، ص ٣٠٧. (فتلبّبه: أخذ بأطرافه).

٢ «نفس المصدر السابق».

٣ «الغدير» ج ١، ص ٣٨٢ و ٣٨٣. و قال أيضاً: ذكره الزرقانيّ المالكيّ في
«شرح المواهب» ص ١٣، عن الدار قطنيّ.